جمال الأداء لآي الذكر الحكيم
في ضوء علم الصـوتيات

د. ممدوح إبراهيم محمود محمد
كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر ـ فرع أسيوط
عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

جمال الأداء لآي الذكر الحكيم
في ضوء علم الصـوتيات

د. ممدوح إبراهيم محمود محمد
كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر ـ فرع أسيوط
عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث:

تعد البحوث المتعلقة بالقرآن الكريم من أجمل البحوث وأمتعها وأثراها، بل هي غاية يسعى إليها باحثو العربية في مختلف التخصصات، والبحث في جمال الأداء لآي الذكر الحكيم واحد من الموضوعات المهمة؛ لارتباطه الوثيق بالقرآن الكريم من ناحية، وتناوله جانباً مهماً وهو تلاوة القرآن الكريم تلاوة صحيحة تتسم بجمال الأداء وكمال الإقراء من ناحية ثانية. فالقراءة الصحيحة المجودة تشد انتباه السامع وتجذب عقله وفكره للتأمل والتدبر في مقصود الآيات، فيخشع قلبه لذكر الله، وهي الأساس الأول لتدبر القرآن والتأثر والتأثير به.

ومن هنا يهدف البحث إلى بيان كيفية التلاوة الصحيحة لآي الذكر الحكيم، كما يهدف إلى بيان الأسس التي عن طريقها يتم الكشف عن عوامل جمال الأداء ومظاهره، وعن طريقها أيضا يكون الوصف أو الحكم على القارئ بجمال الأداء أو العكس. كما يهدف البحث أيضا إلى تعليل وتحليل هذه العوامل عن طريق معطيات علم الأصوات الذي يعنى في المقام الأول باللغة الشفاهية أو المنطوقة.

ويظهر هذا البحث أهمية تحسين الصوت بقراءة القرآن الكريم؛ لما للصوت الحسن من دور فعال في جذب الانتباه واستمالة القلوب ومن ثم التدبر والتأمل ومعرفة مقصود الآيات.

كما يظهر البحث أن القارئ الجيد هو من يستطيع التحكم في أعضاء نطقه، والسيطرة على تيار نفسه، وتنويع درجات صوته ونبراته تبعاً لمعاني التنزيل الحكيم. كما يظهر دور لغة القرآن وفواصله ومدوده في جمال الأداء.

تقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين، سيدنا محمد النبي الأمي الأمين وعلى آله وأصحابه الغر الميامين.

وبعد ...

فقد أحدث نزول القرآن الكريم على قلب النبي – ﷺ – ثورةً لغويةً أذهلت العرب عما بأيديهم من فنون القول، ونبهتهم إلى فرادة هذا النص القرآني، وجمالية الأداء الكامنة وراء تلك التراكيب والأصوات المُكَوِّنَة لها ؛ إذ مَلَكَ النص القرآني ناصية لغتهم على نحو فريد لم يعتادوه من قبل. فألفاظه غرة في كل كلام، ولها رونق، ولها دخل في إعجازه، وصورة الكلمة ومخارج حروفها لها روعة ذاتية، فقد جاء القرآن الكريم بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف، متضمناً أصح المعاني ؛ لأن ذلك من عند العزيز الحكيم الذي أحسن كل شيء خلقه.

وبهذا صار للقرآن الكريم أداءُ صوتي متميز وتأثير صوتي عجيب، يتجلى في تنقله بين مقاطع مختلفة وأساليب متعددة من الأداء الصوتي، مما يثير الشجن أو الأمل أو الفرح لدى سامعه ولو لم يكن يعرف العربية. وقد أدرك العلماء من قبل هذه الميزة الصوتية للقرآن الكريم، وعدوها من وجوه إعجازه، فسامعه لا يمجه، وقارئه لا يمله، فتلذ له الأسماع، وتشغف له القلوب، فلا تزيده تلاوته إلا حلاوة، ولا ترديده إلا محبة. "فهو يقتحم بمبانيه ومعانيه أعماق القلوب قبل أن يتجاوز الآذان، ويغوص في بواطن النفوس وخلجات المشاعر، حتى يهيمن بسلطانه على ملكات العقل والحسِّ، فينشر فيها السرور بجميل وعده، ويشيع فيها الحزن والخوف بشدة وعيده، ويجمع بين هذا وذاك في آنٍ واحد من خلال أسلوب ترغيبه وترهيبه ؛ فتنقلب القلوب بين الخوف من عذابه، والطمع في رحمته، وتتجلجل الجوارح في خشية الله بين التصدُّع والطمأنينة، وفي هذا وذاك

يكون الدواء، والشفاء من أمراض القلوب، وعللها، فتسلم بتلاوته وسماعه من كل ما يعكِّر صفوها، ويكدِّر جلوتها، ويطمس شيئًا من نورها. قال تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾. [1] وقال: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾. [2]، [3]

وليس هدفنا في هذا البحث هو المقارنة بين القراء في جمال الأداء، وإنما نهدف من خلاله إلى بيان الأسس والضوابط وشرح العوامل التي على أساسها يتم الحكم على أداء القارئ لآي الذكر الحكيم ووصفه بالجمال أو العكس اقتداء بالأحاديث النبوية الشريفة الداعية إلى تحسين الصوت بقراءة القرآن الكريم والتغني به، فنكشف عن أسباب جمال الصوت ونبين دوره كواحد من أهم العوامل المؤثرة في جمال الأداء لآي الذكر الحكيم وطرق تأديته، فقارئ القرآن مرتلا كان أو مجوداً بالإضافة إلى الصوت الحسن يحتاج إلى مجموعة من المهارات الصوتية التي تساعد على إظهار التلاوة بصورة أجمل وأرقى. وتطبيق ذلك على بعض القراء عن طريق الاستماع الجيد لقراءاتهم المجودة ووصفها وبيان سبب جمال الأداء وتعليله في ضوء معطيات علم الصوتيات.

وطبقاً لذلك فقد جاء البحث في مقدمة، وفصلين، وخمسة مباحث، وخاتمة كالتالي:

المقدمة: وفيها ذكرت أن للقرآن الكريم أداءً صوتياً متميزاً وتأثيراً صوتياً عجيباً يتجلى في تنقله بين مقاطع مختلفة وأساليب متعددة من الأداء الصوتي، مما يثير

---

(١) سورة الحشر الآية : (٢١) .

(٢) سورة الزمر الآية : (٢٣) .

(٣) دراسات في علوم القرآن - محمد بكر إسماعيل صـ ٤٥٠ - دار المنار - الطبعة / الثانية ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

الشجن أو الأمل أو الفرح لدى سامعه ولو لم يكن يعرف العربية، كما بينت الهدف من البحث، وسبب اختياره، ومنهجه، وخطته.

الفصل الأول : الأداء القرآني مفهومه ومراتبه وأثره في نفوس المستمعين

ويشتمل على مبحثين كالتالي :

المبحث الأول : الأداء القرآني مفهومه ومراتبه وأهميته

المبحث الثاني: أثر الأداء القرآني في نفوس المستمعين

الفصل الثاني: جمال الأداء القرآني وعوامله

ويشتمل على ثلاثة مباحث كالتالي :

المبحث الأول: جمال الأداء القرآني كيفيته والآثار الواردة فيه

المبحث الثاني: عوامل جمال الأداء التي ترتبط بالقارئ أو المرتل

أولا : العوامل الفسيولوجية (العضوية) ودورها في جمال الأداء

ثانيا: العوامل الفيزيائية ودورها في جمال الأداء

ثالثا: عوامل أخرى وتشمل :

أ: أحكام التجويد ودورها في جمال الأداء وكمال الإقراء لآي الذكر الحكيم

ب: المهارة بقراءة القرآن ترتيلاً وتجويداً

ج: التلوين الصوتي ودوره في جمال الأداء

المبحث الثالث: عوامل جمال الأداء التي ترتبط بلغة القرآن الكريم خاصة وبطريقة ترتيله وتشمل:

أولا : للقرآن الكريم لغة خاصة تساعد على ترتيله وعلى جمال الأداء

ثانيا: معاني التنزيل ودورها في جمال الأداء

ثالثا: الفاصلة القرآنية ودورها في جمال الأداء

رابعا: المد ودوره في جمال الأداء

الخاتمة: وفيها أوجزت أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

وبعد فإني أرجو من الله العلي القدير أن أكون قد وفقت فيما صبوت إليه إنه نعم المولى ونعم النصير، والله أسأل أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعني يوم العرض عليه. فإن كان فيه من نقص أو تقصير أو خلل فهو مني، فالله الكامل والنقص في الناس شامل.

﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾

***

الفصل الأول

المبحث الأول : الأداء القرآني مفهومه و مراتبه و أهميته

يمثل الأداء الصوتي جانباً مهماً من جوانب اللغة، وأساساً من الأسس التي يبنى عليها الكلام، وتدرك من خلالها الأفهام مراد المتكلم الذي قد تطرب السامع أو تحزنه طريقة إيقاعه. فلطبيعة أداء العبارة، ولطريقة النطق بها، أثر واضح ومهم في صياغة المعنى، وتوجيه الدلالة، يقول أحد الباحثين المحدثين: " إن اللغة المنطوقة هي اللغة المثلى للمحاكاة ؛ لأنها الوحيدة القادرة على حمل التعابير التي يريد المتكلم أن يبلغ عنها ".[1] فبتلون الإيقاع، وتعدد الأنغام، تتلون المعاني وتتعدد الأغراض، ومن هنا كان للأصوات قيمتها المعنوية التي تؤثر أثرا بالغاً في تحديد دلالات الكلمات ".[2]

وبحسن الأداء وحلاوته تقضى الحاجات وإن عظمت بدليل قول عمر بن عبدالعزيز – ﷺ – لرجل أحسن في طلب حاجة: " وتأتي لها بكلام وجيز ومنطق حسن هذا والله السحر الحلال ".[3]

وبحسن الأداء وحلاوته تفاضل الخطباء وتفاوت الشعراء بل القبائل والأحياء ومما يدل على ذلك ما رواه أبواليقظان قال: قال عمر بن عبدالعزيز: ما كلمني رجل من بني أسد إلا تمنيت أن يمد له في حجته حتى يكثر كلامه فأسمعه. وقال يونس: ليس في بني

---

(١) مدخل إلى معرفة اللسانيات – د / محمد إسماعيل بصل ص ١١١ بتصرف – دار المتنبي / دمشق .

(٢) مقدّمة لدراسة فقه اللغة – د / محمد أحمد أبو الفرج ص ١٣٢ – دار النهضة العربية / بيروت – ط /أولى ١٩٦٩م

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال – ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك – تح / أبو تميم ياسر بن إبراهيم ٩/ ٤٤٨ – مكتبة الرشد / السعودية، الرياض – ط / ثانية ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م ، والبيان والتبيين – الجاحظ – تح /المحامي فوزي عطوي ص ١٣٩ – دار صعب / بيروت – ط /أولى ١٩٦٨م.

أسد إلا خطيب أو شاعر أو قائف أو راجز أو كاهن أو فارس قال: وليس في هذيل إلا شاعر أو رام أو شديد العدو". [1]

وإذا نظرت في أحوال العرب في أداء لغتهم وجدت أن المروي عنهم في شغفهم بلغتهم وتعظيمهم لها، واعتقادهم أجمل الجميل فيها أكثر من أن يورد وجزء من أجزاء كثيرة. ومنه قول ابن جني: " فكأن العرب إنما تحلي ألفاظها وتدبجها وتَشِيها وتزخرِفها عنايةً بالمعاني التي وراءها وتوصُّلاً بها إلى إدراك مطالبها وقد قال رسول الله – ﷺ –: " إن من الشعر لحكماً وإن من البيان لسحرا ".[2] فإذا كان رسول الله – ﷺ – يعتقد هذا في ألفاظ هؤلاء القوم التي جعلت مصايد وأشراكاً للقلوب وسبباً وسُلَّماً إلى تحصيل المطلوب عُرِف بذلك أن الألفاظ خَدَم للمعاني والمخدوم لاشك أشرف من الخادم ". [3]

ولما كان أداء الكلام بهذه المنزلة كان جديراً أن نتعرف عليه في آي الذكر الحكيم خاصة حيث يفوق في حسنه وشدة تأثيره وقوة إيقاعه أداء أي منطوق آخر ولاسيما إذا قرئ مجوداً حيث تتضح أهميته ويظهر أثره في نفوس السامعين له. وقبل ذلك علينا أن نتعرف على مفهوم الأداء عامة، والأداء القرآني خاصة، ونبين كيفيته ومراتبه، ونوضح أهميته، وأثره في نفوس المستمعين وذلك على النحو التالي :

---

(١) البيان والتبيين ص ١٠٤.

(٢) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال – علاء الدين علي بن حسام الدين الهندي – تح / بكري حياني، وصفوة السقا – حديث رقم (٨٩٥٠) – ٣ / ٨٥٨ – مؤسسة الرسالة – ط / خامسة ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٣) الخصائص – أبو الفتح بن جني ١/ ٢٢٠ – الهيئة المصرية العامة للكتاب / القاهرة – ط / رابعة .

الأداء في اللغة هو: مصدر أدى الشيء أي: قام به، وأدى الدين: قضاه، والصلاة: قام بها لوقتها، والشهادة: أدلى بها... [1] والأداء: التلاوة. [2] فالمادة تدور حول معنى قيام الشيء وقضائه على أكمل وجه.

واصطلاحاً أداء الكلام هو: التلفظ به حسب أعراف وقواعد معينة للتعبير عن المعاني المختلفة. فاللفظ هو أهم مكونات الكلام إلا أنه في كثير من الأحوال مفتقر إلى مكونات الكلام الأخرى كعناصر السياق المقامي، ومقاصد المتكلم، ودلالات الصيغ ومعاني التركيب.... وغيرها في إيصال المعاني الدقيقة إلى المستمع. [3] أو هو: الصورة النطقية التي تأتي عليها اللغة المنطوقة بأصواتها وكلماتها وجملها. [4] أو هو: الصورة الصوتية التي يؤدى بها الحدث الكلامي. [5]

وفن الأداء هو فن الإلقاء ويعنى به: المهارة الفنية في استغلال الصوت بما يخدم الإنسان في تعامله واتصاله بالآخرين في شكل جميل وممتع ومثير. [6] وتسمى هذه المهارة بـ الأداء الشفاهي: وهو ما يتحقق بواسطة الوصف الأكوستيكي – (الفيزيائي) –

---

(١) لسان العرب – ابن منظور (أ د ا) – دار صادر / بيروت – ط /ثالثة ١٤١٤ه ، والقاموس المحيط – الفيروز أبادي (أ د ا) – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧م .

(٢) المعجم الوسيط – إبراهيم مصطفى ، وآخرون – أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة (أ د ا) – دار الدعوة .

(٣) أداء الكلام وعلاقته بالمعنى والإعراب – محمد بن علي العمري – مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها. العدد الثالث ص ١٥ – ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م .

(٤) عن علم التجويد القرآني في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة – د /عبدالعزيز أحمد علام ص ٢٣ – ط / أولى ١٤١٠ه / ١٩٩٠م ، والإدراك الآلي للنظام الأدائي في اللغة العربية في ضوء ظاهرة التزمين – د / أميرة زين رفاعي سمبس ص ٣ المملكة العربية السعودية / كلية التربية للبنات مكة المكرمة

(٥) أسباب التعدد في التحليل النحوي – د / محمود حسن الجاسم ص ٣٦ – بالمكتبة الشاملة .

(٦) الأداء الصوتي في اللغة العربية – د / سالم محمد سالم – مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية مجلد (٢) العدد (٢) ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م ص ٢١٤ نقلا عن فن الإلقاء – د / عبدالحميد حسن ص ٧ – دار الثقافة الإسكندرية

للنص حال قراءته، أو الاستعانة برواة ومتابعة مديات الصوائت، والصوامت والنبرة والتنغيم.[1]

ويتكون هذا النوع من الأداء من عناصر مختلفة كـ النبر، والتزمين، والطول، والتنغيم، والوقفات، والإيقاع.[2]

وتكون هذه العناصر أكثر وضوحاً في الأداء القرآني خاصة إذ لا بد فيه من: تتابع خط الشدة للأصوات والمقاطع والكلمات في الجملة، ومن تتابع النغمة أو الدرجة في الجملة، ومن تتابع خط الكم الزمني للأصوات، أو خط الطول للأصوات والمقاطع في الجملة، ومن أنواع السرعة التي تنطق بها الكلمات والجمل وهو الذي يسمى التزمين، ومن تتابع خط اللون للأصوات، ومن نظام الوقفات من حيث عددها وحجمها في الكلام، ومن الإيقاع.[3] ومن النطق بحروف القرآن الكريم كما نطق بها في عهد النبي – ﷺ – من حيث تحقيق الحروف وإعطاؤها حقها دون حيف أو تقصير أو زيادة من غير تكلف أو تصنع، ومن حيث إجادة الوقف ومعرفة ما يحسن منه وما يقبح، ومن حيث الكيفية النطقية لها حين تمتزج بما يجاورها وهو ما يسمى بالصورة الصوتية لبعض حروف العربية كالغنة والإمالة والتفخيم والترقيق والإدغام بنوعيه والإشمام... إلخ.

وعلى هذا يمكننا أن نصف الأداء القرآني بأنه: الأداء الذي تحكمه معايير خاصة على مستوى الإخراج والصفات حال تلاوة النص الكريم تبعاً للغرض من الآية المتلوة.

---

(١) الأداء الصوتي في المستوى الأسلوبي لأدونيس قي أغاني مهيار الدمشقي – رسالة ماجستير في كلية الآداب / جامعة القادسية قسم اللغة العربية وآدابها – للباحث / عادل نذير بيري الحساني صـ١ – ١٤٢٣هـ / ٢٠٠١م .

(٢) الإدراك الآلي للنظام الأدائي في اللغة العربية في ضوء ظاهرة التزمين صـ ٣ .

(٣) عن علم التجويد القرآني صـ ٢٧، ٢٨ .

وقد بين أبو عمرو الداني – رحمه الله – حدود القراءة السليمة المجودة وميزها عن القراءة الملحونة، فذكر أنها القراءة السهلة العذبة الحلوة اللطيفة التي لا مضغ فيها ولا لوك ولا تعسف ولا تكلف ولا تصنع ولا تنطع، ولا تخرج عن طباع العرب وكلام الفصحاء بوجه من وجوه القراءات والأداء ".[1]

وهذه المعايير هي التي تحدد السمات الأدائية للقارئ أثناء تلاوته للقرآن الكريم، وهذه السمات الأدائية يتفاوت فيها القراء تفاوتاً كبيرا، وتعد أهم العوامل التي تبرز جمال أداء القارئ وتبرهن على فقهه بالمعنى القرآني ومقام الآية أو غرضها، فلكل مقام أو غرض طريقة أدائية تناسبه وتختلف عن غيره.

أما فائدة الأداء: فهي تبرز وتتضح أساساً من اتصاله بالأداء الصحيح والمتميز لكتاب الله – ﷻ – أكثر من أي منطوق آخر، فأي خلل في أدائه يؤدي إلى خلل في فهم معناه، والوقوف على أسراره ؛ لذا كان تعلمه من أجل العلوم نظراً لهذا الارتباط، فقد ورد عن الإمام حمزة – ﷺ – أنه قال: " إن الرجل يقرأ القرآن فما يلحن حرفاً. أو قال: ما يخطئ حرفاً وما هو من القرآن في شيء ".[2]

فحسن الأداء – (بخلوه من اللحن) – فرض في القراءة، ويجب على القارئ أن يتلو القرآن حق تلاوته صيانة للقرآن عن أن يجد اللحن والتغيير إليه سبيلاً.[3]

---

(١) النشر في القراءات العشر – ابن الجزري – تح / علي محمد الضباع ١/ ٢١٣ – المطبعة التجارية .

(٢) التحديد في الإتقان والتسديد في صنعة التجويد – أبو عمرو الداني – تح د/ غانم قدوري حمد صـ ٨٤ – دار الأنبار / بغداد – ط /أولى ١٤٠٧هـ / ١٩٨٨م .

(٣) النشر ١/ ٢١١ .

والأداء بهذه الصورة يختلف باختلاف فنون القول الأخرى، بل يختلف في الفن الواحد باختلاف الحالة النفسية للمتكلم، وفي الحالة النفسية الواحدة يختلف باختلاف شخصية المتكلم، بل يختلف كذلك باختلاف نوع الجملة.[1]

مراتب الأداء القرآني وكيفياته :

مع أن القرآن الكريم نزل بالعربية وببيانها وعلى أساليبها، فإن له قراءة خاصة به وأحكاماً تجويدية يتلى بها وفق الطريقة الثابتة عن رسول الله – ﷺ – وهذا ما يعرف بالترتيل أو التجويد الذي اختص بأنه قابل للتنغيم والصوت الحسن اللذين ثبتا للقرآن وحده من سائر النثر العربي الفني.

فلتلاوة القرآن الكريم أسلوب فريد، ونموذج رائع جمع بين استحسان الشرع، وملائمة الطبع، بحيث يحقق الهدف المنشود من تلاوته، وهذا الأسلوب الخاص الذي تفرَّد به القرآن الكريم تلاوةً وأداءً – يعتمد أساساً على تصحيح الحروف، وإجادة الوقوف، وتدبُّر المعنى، وتفهم المغزى، مع حسن الأداء الصوتي، وجمال النطق به، والترديد له.

والحق أن تلاوة القرآن الكريم لا تنحصر في الترتيل وإن كان أعلى المراتب حيث ينقسم الأداء القرآني إلى ثلاث مراتب هي المراتب المعروفة في علم القراءة والتجويد للقراءة، ومحور تقسيمها وحيثيته هو مدى التأني والتؤدة، مع بقاء الأركان الأخرى للترتيل كما هي، فللتأني وللطمأنينة المقبولة في علم القراءة أعلى وأوسط وأدنى، فالأعلى اصطلح عليه بالتحقيق أو بالترتيل (بالمعنى الخاص)، والأوسط يدعى بالتدوير، والأدنى يدعى بالحدر... ولكنها تشترك في جميع أركان الترتيل (بالمعنى العام)،

(١) عن علم التجويد القرآني ص ٢٨ .

وتتفاوت في ركن واحد هو التأني والتؤدة....." [1] فكلام اللَّه تعالى يُقرأ بالترتيل [2]، والتحقيق [3]، والحدر [4]، والتدوير الذي هو التوسط بين الحالتين - (التحقيق والحدر) - مرتلاً مجوَّداً بلحون العرب وأصواتها وتحسين اللفظ والصوت بحسب الاستطاعة.[5]

وذهب بعضهم مذهباً مغايرًا فجعل مراتب القراءة أربعة يجمعها الترتيل بالمعنى العام، وأعلاها التحقيق وبعده الترتيل، وجعل الفرق بين الترتيل وبين التحقيق فيما

---

(١) إذهاب الحزن وشفاء الصدر السقيم في تعليم النبي ﷺ. أصحابه ألفاظ القرآن الكريم (المنهج النبوي في التعليم القرآني) -عبدالسلام مقبل المجيدي اليمني صـ ٢٧٠ - دار الإيمان /الإسكندرية، مصر - ط/أولى ٢٠٠٤م.

(٢) وهو لغة : التمهل والترسل (تهذيب اللغة- أبومنصور الأزهري - تح / عبد السلام هارون وآخرون مادة (ر ل ت) - الدار المصرية /مصر١٣٨٤/١٩٦٤م)، واصطلاحاً عرفه الإمام على بن أبي طالب - كرم الله وجهه - بقوله : " الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف . (الإتقان في علوم القرآن - السيوطي - تح / محمد أبو الفضل إبراهيم ١/٢٨٢، ٢/٥٤١ - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م)، وعرفه آخرون بقولهم : " الترتيل : رعاية مخارج الحروف وحفظ الوقوف . وقيل : الخفض والتحزين بالقراءة (دستور العلماء - القاضي الأحمد نكري . تحقيق وتعريب / حسن هاني فحص ١/ ١٩٧- دار الكتب العلمية / بيروت - ط / أولى ١٤٢١ه / ٢٠٠٠م)

(٣) ومعناه لغة : المبالغة في الإتيان بالشيء على حقه من غير زيادة فيه ولا نقصان منه. (النشر ١/ ٢٠٥) . واصطلاحاً: عبارة عن إعطاء كل حرف حقه من إشباع المدّ، وتحقيق الهمزة، وإتمام الحركات، واعتماد الإظهار، والتشديدات، وتوفية الغنات، وتفكيك الحروف وهو بيانها وإخراج بعضها من بعض بالسكت والترسل والتؤدة ، وملاحظة الجائز من الوقوف ولا يكون غالباً معه قصر ولا اختلاس ولا إسكان محرّك ولا إدغامه . (كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم - محمد على التهانوى ١/ ٣٨٨ - مكتبة لبنان ناشرون / بيروت ١٩٩٦).

(٤) وهو لغة : الإسراع بالقراءة (جمهرة اللغة - ابن دريد - تح / رمزي منير بعلبكي (ح د ر) - دار العلم للملايين / بيروت - ط /أولى ١٩٨٧م)، واصطلاحا: إدراج القراءة بسرعتها وتخفيفها بالقصر والتسكين والاختلاس والبدل والإدغام الكبير وتخفيف الهمزة ونحو ذلك مما صحت به الرواية (كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ١/٦٥٢ ، والنشر ١/٢٠٧).

(٥) النشر ١/٢٠٥ .

ذكره بعضهم: أن التحقيق يكون للرياضة والتعليم والتمرين، والترتيل يكون للتدبر والتفكر والاستنباط، فكل تحقيق ترتيل وليس كل ترتيل تحقيقاً.[1]

وهذا يعني أن الترتيل هنا يأتي بالمعنى العام الشامل للحدر والتدوير والمرتبة الثالثة التي قد تدعى بالترتيل، وقد تدعى بالتحقيق، وقد يستعمل هذا المصطلح في معنى خاص.

وأقل الترتيل أن يأتي بما يبين ما يقرأ به وإن كان مستعجلاً في قراءته، وأكمله أن يتوقف فيها ما لم يخرجه إلى التمديد والتمطيط. فمن أراد أن يقرأ القرآن بكمال الترتيل فليقرأه على منازله فإن كان يقرأ تهديداً لفظ به لفظ المتهدد وإن كان يقرأ لفظ تعظيم لفظ به على التعظيم.[2] قال الإمام أبو حامد الغزالي – رحمه اللَّه –: " اعلم أن الترتيل مستحب لا لمجرد التدبر، فإن العجميَّ الذي لا يفهم معنى القرآن يستحب له – أيضاً – في القراءة الترتيل والتؤدة ؛ لأن ذلك أقرب إلى التوقير والاحترام وأشد تأثيرًا في القَلْب من الهَذْرَمَة والاستعجال.[3]

فالترتيل إذاً هو الأداء الأمثل الذي انفردت به تلاوة كتاب الله، وتميَّزت به عما عداه في النطق والأداء، وهذا الترتيل الذي ندب إليه القرآن في أكثر من آية، وعبر عنه بصيغة الأمر الذي يوحي بالوجوب أو الأهمية، أو الأولوية، هو الطريقة المثلى التي ينبغي أن يلتزم بها كل قارئ، وأن تتحدد بها كل تلاوة.... والترتيل في لغة العرب: تتابع الكلام، وأخذ بعضه بعناق بعض على مكث وتلبث مع حسن الصوت ورقة الأداء.[4]

---

(١) إذهاب الحزن وشفاء الصدر السقيم في تعليم النبي – ﷺ – أصحابه ألفاظ القرآن الكريم ص ٢٧٠.

(٢) البرهان في علوم القرآن – الزركشي – تح / محمد أبو الفضل إبراهيم ٤٥٠/١ – إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه – ط / أولى ١٣٧٦هـ /١٩٥٧م، والإتقان في علوم القرآن ٦٧٨/٢.

(٣) النشر ٢٠٩/١.

(٤) تلاوة القرآن الكريم – محمد الشرقاوي – مقال بالنت.

ويعد الترتيل بما هو الكيفية التي نزل بها القرآن الكريم (ورتلناه ترتيلا) هو أفضل مراتب القراءة الأربع: الترتيل، ثم التحقيق الذي هو أكثر اطمئنانا والذي يؤخذ به في مقام التعليم، ثم الحدر الذي هو الإسراع في القراءة مع مراعاة الأحكام، ثم التدوير الذي هو مرتبة ومتوسطة بين الترتيل والحدر، والنبي – ﷺ – كانت قراءته ترتيلا... وكان يحبب في الترتيل فيقول لصاحب القرآن: اقرأ وأرق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها.[1]

أهمية الأداء القرآني :

للأداء القرآني من قارئ جيد يعرف أغراض الآيات ومدلولاتها أهمية بالغة في إدراك الأسرار الجمالية والقيم التعبيرية لمضمون الآي، وتبدو هذه الأهمية على النحو الآتي:

١. أن لجمال الأداء لآي الذكر الحكيم أثرًا كبيرًا في نفس السامع، ومما يدل على ذلك أنه قد يقرأ القرآن حافظ متقن مجوّد ؛ لكنه لا يحسن الأداء في القراءة، فلا يؤثر في مستمعيه. وقد يقرأ القرآن مجود ليس بحافظ متقن فيُبكي سامعيه بجودة أدائه، وحسن صوته – (فمراعاة أحكام التجويد، وحسن الصوت أمران مهمان في الإحساس بجمال الأداء والتأثير في المستمع) – ومثله في ذلك مثل الخطبة الجيدة إذا ألقاها من لا يحسن الأداء كانت كالسيف البتّار في اليد الضعيفة، والخطيب المصقع الذي يلقي خطبة رديئة كالبطل المغوار الذي يقاتل بسيف كالٍّ. فإذا اجتمعت قوة السيف، وقوة اليد التي تحملها، وقوة قلب صاحبها عملت عملها، وهكذا الخطبة إن كانت جيدة في بلاغتها ولغتها وأسلوبها، وألقاها من يحسن الإلقاء عملت عملها في قلوب

(١)الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم – لبيب السعيد ص ٨٨ – دار الكاتب العربي بالقاهرة .

السامعين..... [1] وكم من قارئ يُبهر السامعين بحسن صوته وجودة أدائه، وكم من قارئ سمعنا قراءته فتأثرنا بها ! مع أنها لم تزد حرفاً ولم تنقص حرفاً عن قراءة آخر لا يثير فينا إحساساً بجمال أدائه ولا تدعونا طريقة أدائه إلى التأمل والتدبر وفقه المعنى القرآني ؛ مما يدل على أن للأداء المجود والصوت الحسن أثرين كبيرين على السامع. فبجمال الأداء نتأمل ونتدبر ونتعظ ونتمنى ونتحسر ونتألم ونخشع ونخاف، ومن دونه لا نكاد نشعر بشيء من ذلك.

٢. أن للأداء القرآني دورًا بارزًا في إيضاح الدلالة. حيث يمتاز الأداء القرآني بالتعبير عن قضايا ومدلولات ضخمة في حين يستحيل على البشر أن يعبروا فيه عن مثل هذه الأغراض، وذلك بأوسع مدلول، وأدق تعبير، وأجمله وأحياه أيضاً ! مع التناسق العجيب بين المدلول والعبارة والإيقاع والظلال والجو... ويبلغ من ذلك كله مستوى لا يدرك إعجازه أحد ". [2] ذلك أن النص الواحد في الأداء القرآني المتنوع تنغيماً أو تزميناً أو نبراً أو وقفاً يحوي مدلولات متنوعة متناسقة في النص ؛ وكل مدلول منها يستوفي حظه من البيان والوضوح دون اضطراب في الأداء أو اختلاط بين المدلولات.

٣. أن القارئ الجيد ذا الأداء المتميز يساعد المستمع على استحضار المشاهد كما لو كانت حاضرة.

---

(١) انظر: الخطابة – د / نقولا فياض صـ ٥٣ بتصرف – طبعة دار الهلال / مصر ١٩٣٠م ، وفن الخطابة ـ للشيخ / علي محفوظ صـ ٦٥ – طبعة دار الاعتصام ، وفن الإلقاء – محمد عبد الرحيم عدس صـ ٤١ – دار الفكر / الأردن . ط / أولى ، والخطابة أصولها وتاريخها في أزهر عصورها عند العرب – محمد أبو زهرة صـ ١٤٨ – دار الفكر العربي – ط / ثانية ١٩٨٠م.

(٢) في ظلال القرآن – الشيخ / سيد قطب ٣ / ١٧٨٦ – دار الشروق / بيروت، القاهرة – طبعة (١٧) – ١٤١٢هـ .

٤. أن في أداء القرآن الكريم أداءً حسناً تزييناً له في قلوب سامعيه، فيقبلون عليه يتعلمونه، ويتدبرونه، ويلتزمون بهداه، فإن حسن تلاوته وترتيله هو أول الطريق الرئيس إلى فقه معناه المؤدّي إلى حسن التزام هديه أمراً ونهياً، ولن يتحقق لبيان أن يرتّل وأن يتغنى به إلا إذا كان نسقه ونظمه وجرس كلماته وموقع معانيه غنياً بمقومات الإيقاع وأنواعه وألوانه المتعددة وهذا ما تحقق للقرآن الكريم، فلا يشاركه فيه بيان آخر.[١]

٥. أن للأداء القرآني الجميل تأثيرًا في النفوس على اختلاف الزمان والمكان، سواء أكانت النفوس كافرة أم مؤمنة، وسواء أكانت نفوس عرب تعرف العربية لغة القرآن الكريم وتتذوقها أم كانت نفوس أعاجم لا تكاد تعرف من العربية شيئًا فله سلطان عجيب على القلوب ليس للأداء البشري.

٦. أن فائدة علم التجويد أو الأداء تنبع أساساً من اتصاله بالأداء الحسن لكتاب الله – ﷻ – فأي خلل في أدائه يؤدي إلى خلل في فهم معناه، والوقوف على أسراره ؛ لذا كان تعلمه من أجل العلوم نظرًا لهذا الارتباط. وعلى هذا ففائدته تبدو في إتقان قراءة القرآن بالنطق بحروفه مكتملة الأحكام والصفات ومحققة المخارج من غير زيادة ولا نقصان ولا تعسف ولا تكلف.[٢]

---

(١) العزف على أنوار الذِّكر معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآنيّ في سياق السورة – د / محمود توفيق سعد ص ٢١٣.

(٢) أصوات العربية بين الوصف والتنظيم – د /محمد عبدالحفيظ العريان ص ٣٦١ – مطبعة أبناء وهبة حسان – طنطا – ط /أولى ١٤١٢ه /١٩٩١م .

٧. أن حسن طريقة الأداء القرآني تظهر فصاحة الألفاظ وجمال التعبير، ونحو ذلك مما يؤدي إلى وضوح المعاني وإبراز الأفكار؛ فينبغي أن تكون درجة صوت القارئ معتدلة، لا منخفضة غير مسموعة فتضايق، ولا مرتفعة صارخة فتزعج، وكلا الأمرين منفر.[١]

***

(١) اللغة العربية أداءً ونطقاً وإملاء وكتابة – فخري محمد صالح صـ ٩٣، ٩٤ بتصرف – الوفاء للطباعة النشر .

المبحث الثاني

أثر جمال الأداء القرآني في نفوس المستمعين

لجمال الأداء دور مهم في استمالة القلوب ووضوح المعاني والأفكار ولا يتحقق ذلك إلا بتوافر أمور معينة في القارئ لآي الذكر الحكيم خاصة، وتحسن في الإلقاء عامة وقد أجملها الجاحظ في حديثه عن فصاحة المتكلم حيث قال: " إن البيان يحتاج إلى تمييز وسياسة، وإلى ترتيب ورياضة، وإلى تمام الآلة وإحكام الصنعة، وإلى سهولة المخرج، وجهارة المنطق، وتكميل الحروف، وإقامة الوزن، وإن حاجة المنطق إلى الحلاوة والطلاوة كحاجته إلى الجزالة والفخامة. وأن ذلك من أكثر ما تستمال به القلوب وتثنى به الأعناق وتزين به المعاني ". (١)

وإذا كان للأداء هذا الدور في إظهار فصاحة المتكلم، وفي نفوس المستمعين فهو في أداء القرآن الكريم أجلى وأوضح ؛ لما تتميز به لغة القرآن من مميزات كثيرة – على النحو الذي سيأتي تفصيله – تجعل القارئ يستطيع أن يلون في أدائه وينوعه بطرائق شتى تجعل سامعه وإن كان أعجمياً لا يمجه، وقارئه لا يمله، فتلذ له الأسماع، وتشغف له القلوب. فحسن تلاوته وترتيله أول الطريق الرئيس إلى فقه معناه المؤدِّي إلى حسن التزام هديه أمراً ونهياً.

فللقرآن الكريم أداء صوتي متميز وتأثير صوتي عجيب، وليس أدل على ذلك مما جرى مع الشيخ / سيد قطب في سفينة أجنبية أقلته هو ورفاقه، وأقام فيها صلاة الجمعة وخطب، فتأثرت فتاة يوغسلافية بسماع القرآن الكريم، وأدركت الفرق بين لغة القرآن التي أحدثت فيها رعشة وقشعريرة، ولغة الخطيب الذي ألقى خطبة الجمعة

---

(١) البيان والتبيين ١ / ١٤.

على النحو الذي سيأتي بيانه... وكذا سماع العوام للقرآن، فهم يتأثرون به كتلك اليوغسلافية، دون أن يفقهوا منه شيئا، ويرى من وجوه الإعجاز: الأداء القرآني الواسع الدقيق الجميل المتناسق بين المدلول والعبارة والإيقاع والظلال والجو.[1]

وقد تنبه العلماء من قبل إلى هذه الميزة الصوتية للقرآن الكريم، وعدوها من وجوه إعجازه، يقول السيوطي في ذكره لوجوه الإعجاز: " الوجه الحادي والعشرون من وجوه إعجازه: أن سامعه لا يمجه، وقارئه لا يمله، فتلذ له الأسماع، وتشغف له القلوب، فلا تزيده تلاوته إلا حلاوة، ولا ترديده إلا محبة، ولا يزال غضاً طرياً، وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغه يُمل مع الترديد، ويُعادى إذا أعيد ؛ لأن إعادة الحديث على القلب أثقل من الحديد، وكتابنا بحمد الله يستلذّ به في الخلوات، ويؤنس به في الأزمات، وسواه من الكتب لا يوجد فيها ذلك... هو الذي لم تنْتَه الجن حين سمعته أن قالوا: ﴿ إنّا سمعنا قرآناً عجباً * يهدي إلى الرشد فآمنّا به ﴾ ... ".[2]

فتزيين القرآن الكريم عن طريق تحسين الصوت به، والتطريب بقراءته له أعظم الأثر في النفس، وأجل الوقع في القلب، وهو أدعى إلى الاستماع والإصغاء إليه، فبه تنفذ ألفاظه إلى الأسماع، وتنفذ معانيه إلى القلوب، وهو بمنزلة الحلاوة التي تجعل في الدواء ليسوغ تعاطيه فينفذ إلى الداء، وبمثابة الطيب الذي يضاف إلى الطعام لتقبل النفس عليه برغبة وشهية. قالوا: لا بد للنفس من الطرب والاشتياق إلى الغناء، فعوضت عن طرب

---

(١) ديناميكية الأداء الصوتي في القرآن الكريم نقلا عن : فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر مع نقد وتعليق – نعيم الحمصي صـ ٣٥٠ ، مؤسسة الرسالة / بيروت – ط /ثانية ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

(٢) معترك الأقران في إعجاز القرآن – جلال الدين السيوطي ١/ ١٨٤ – دار الكتب العلمية / بيروت – ط /أولى ١٤٠٨هـ / ٩٨٨م .

الغناء بطرب القرآن، كما عوضت عن كل محرم ومكروه بما هو خير منه. وقد روى ابن الجزري بسند صحيح عن أبي عثمان النهدي قال: " صلى بنا ابن مسعود المغرب بـ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ فو الله لوددت أنه قرأ بسورة البقرة من حسن صوته وترتيله... ".[1] ثم قال أيضاً: " ولقد أدركنا من شيوخنا من لم يكن له حسن صوت، ولا معرفة بالألحان، إلا أنه كان جيد الأداء، قيماً باللفظ. فكان إذا قرأ أطرب السامع، وأخذ القلوب بالمجامع، وكان الخلق يزدحمون عليه، ويحبون الاستماع إليه، أمم من الخواص والعوام، يشترك في ذلك من يعرف العربية ومن لا يعرفها من سائر الأنام مع تركهم جماعات من ذوي الأصوات الحسان، عارفين بالمقامات والألحان لخروجهم عن التجويد والإتقان ".[2]

فابن الجزري بين في النص الأول أثر الصوت الحسن في أداء آي الذكر الحكيم في النفوس والقلوب والأسماع واستدل على ذلك بقراءة ابن مسعود لسورة الإخلاص، وفي النص الثاني أشار إلى أن جودة الأداء هي الأصل في التأثير وليس حسن الصوت. والحق أنهما مترابطان ؛ لأنه إذا فقد الأداء أحدهما ذهب رونقه وبهاؤه، ولم يكن فيه ما يجذب المستمع إلى الانتباه لما يقرأ، ثم التأمل والتدبر والاتعاظ وفقه المعنى القرآني. فأجمل الأداء وأحسنه ما جمع بين التجويد وحسن الصوت، ومما يدل على صحة ذلك ما رواه جُوَيْبِر عن الضَّحَّاك قال: قال عبد الله بن مسعود: " جَوِّدوا القرآن وزينوه بأحسن الأصوات، وأعربوه فإنه عربيٌّ، واللَّه يُحِبُّ أن يُعْرَبَ به ".[3] فجمع بين الأمرين معاً. وسيتضح في هذا البحث أن حسن الصوت من مكملات الترتيل وأن عماد الترتيل

---

(١) النشر ١/ ٣١٢ .

(٢) السابق نفسه .

(٣) الجامع لأحكام القرآن –القرطبي – تح / أحمد البردوني ، وآخر١/٢٣ –دار الكتب المصرية /القاهرة – ط /ثانية ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م، والنشر١/ ٢١٠ .

المطلوب في قراءة كتاب الله – ﷻ – إنما هو تجويد الحروف، ومعرفة الوقوف. وأنه لا يجوز الاقتصار على هذه المكملات.

أما منبع هذا الإتقان أو التجويد في الأداء القرآني كما ذكر ابن الجزري فيكمن في: " اتساق القرآن وائتلاف حركاته وسكناته، ومدّاته وغنّاته. ..ما يسترعي الأسماع ويستهوي النفوس بطريقة لا يمكن أن يصل إليها أي كلام آخر من منظوم أو منثور، وكان ذلك كالسور المنيع لحفظ القرآن الكريم " بحيث لو داخله شيء من كلام الناس لاعتل مذاقه، واختل نظامه. فالقرآن الكريم كله وحدة مترابطة من حيث قوة الموسيقى في حروفه وتآخيها في كلماته، وتلاقي الكلمات في عباراته ونظمه المحكم في رنينه... وكأن المعاني مؤامنة للألفاظ، وكأن الألفاظ قُطِعتْ لها وسويت حسبها. ففي الحروف وطريقة نظمها وصفاتها ومخارجها أسرار ولطائف ودلالات أودعها الله تعالى فيها. وقد وضح ذلك الشيخ الزرقاني – رحمه الله – في حديثه عن خصائص الأسلوب القرآني في نظامه الصوتي وجماله اللغوي.[1]

لكن مما ينبغي الإشارة إليه أن هذا التطريب الذي أشار إليه ابن الجزري وغيره أمر راجع إلى كيفية الأداء، وتارة يكون سليقة وطبيعاً، وأخرى يكون تكلفًا وتعملاً، وكيفيات الأداء لا تخرج الكلام عن وضع مفرداته، بل هي صفات الصوت المؤدى، جارية مجرى مدود القراء الطويلة والمتوسطة، لكن تلك الكيفيات متعلقة بالحروف، وكيفيات الألحان والتطريب متعلقة بالأصوات.[2]

---

(١) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن – محمد عبدالعظيم الزرقاني ٢/ ٢٢٢ وبعدها – دار الفكر/ بيروت – ط/أولى ١٩٩٦م.

(٢) مع القرآن الكريم ص ٥٥ وما بعدها.

وقد أقر بهذه الحقيقة – (الأثر الذي تحدثه حسن تلاوة القرآن في نفوس مستمعيه وبعظمة القرآن) – بعض المستشرقين ومن هؤلاء د/ سيدني فيشر (**Sydney Fisher**) أستاذ التاريخ في جامعة أوهايو الامريكية حيث قال: "إن القرآن كلام الله يشد فؤاد المسلم، وتزداد روعته حين يتلى عليه بصوت مسموع، ولكنه لا يفهم هذه الروعة كما لم يفهمها زملاؤه الذين سبقوه الى الاعتراف ببلاغة القرآن، اعتماداً على أثره البليغ في قلوب قرّائه وسامعيه، ثم يقفون عند تقرير هذه البلاغة بشهادة السماع".[1] ويقول الكونت هنري دي كاستري (١٨٥٠ - ١٩٢٧ **Cte.H.de Castries**) وهو مقدم في الجيش الفرنسي وقد قضى في الشمال الإفريقي ردحاً من الزمن: "إن العقل يحار كيف يتأتى أن تصدر تلك الآيات عن رجل أمي وقد اعترف الشرق قاطبة أنها آيات يعجز فكر بني الإنسان عن الإتيان بمثلها لفظاً ومعنى. آيات لما سمعها عقبة بن ربيعة حار في جمالها، وكفى رفيع عبارتها لإقناع عمر بن الخطاب – ﷺ – فآمن برب قائلها، وفاضت عين نجاشيّ الحبشة بالدموع لما تلى عليه جعفر بن أبى طالب سورة زكريا وما جاء في ولادة يحيى، وصاح القسس أن هذا الكلام واردٌ من موارد كلام عيسى – ﷺ – لكن نحن معشر الغربيين لا يسعنا أن نفقه معاني القرآن كما هي لمخالفته لأفكارنا، ومغايرته لما ربيت عليه الأمم عندنا، غير أنه لا ينبغي أن يكون ذلك سبباً في معارضة تأثيره في عقول العرب... وكيف يعقل أن النبي – ﷺ – ألّف هذا الكتاب باللغة الفصحى مع أنها في الأزمان الوسطى كاللغة اللاتينية ما كان يعقلها إلا القوم العالمون.. ولو لم

(١) قالوا عن القرآن – د/ عماد الدين خليل ص ٣٠ بالمكتبة الشاملة.

يكن في القرآن غير بهاء معانيه وجمال مبانيه لكفى بذلك أن يستولي على الأفكار ويأخذ بمجامع القلوب...".[1]

فللقرآن الكريم أداء خاص متميزٌ عن غيره من فنون القول؛ لما يملكه من التأثير في النفوس حال أدائه أداءً صحيحاً من ذي الصوت الحسن الرخيم، وقد عد الإمام الخطابي ذلك وجهاً من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم بل جعله من أهم الوجوه حيث قال: " في إعجاز القرآن وجه آخر، ذهب عنه الناس، فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك صنيعه بالقلوب، وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن – منظوماً ولا منثوراً – إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه، تستبشر به النفوس، وتنشرح له الصدور، حتى إذا أخذت حظها منه، عادت إليه مرتاعة قد عراها الوجيب والقلق، وتغشاها الخوف والفرق، تقشعر منه الجلود، وتنزعج له القلوب، يحول بين النفس ومضمراتها وعقائدها الراسخة فيها، فكم من عدو للرسول – ﷺ – من رجال العرب وفتاكها أقبلوا يريدون اغتياله وقتله، فسمعوا آيات من القرآن فلم يلبثوا حين وقعت في مسامعهم أن يتحولوا عن رأيهم الأول، وأن يركنوا إلى مسالمته، ويدخلوا في دينه، وصارت عداوتهم موالاة، وكفرهم إيماناً. خرج عمر بن الخطاب – ﷺ – يريد رسول الله – ﷺ – ويعمد إلى قتله، فسار إلى دار أخته وهي تقرأ (سورة طه)، فلما وقع في سمعه لم يلبث أن آمن. وبعث الملأ من قريش عتبة بن ربيعة إلى رسول الله – ﷺ – ليوقفوه على أمور أرسلوه بها، فقرأ عليه رسول الله – ﷺ – آيات من (حم السجدة) فلما أقبل عتبة وأبصره الملأ من قريش قالوا: أقبل أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به. ولما قرأ رسول الله – ﷺ – القرآن في

(١) السابق ص ١٥.

الموسم على النفر الذين حضروه من الأنصار آمنوا، وعادوا إلى المدينة فأظهروا الدين بها، فلم يبق بيت من بيوت الأنصار إلا وفيه قرآن. وقد روي عن بعضهم أنه قال: فتحت الأمصار بالسيوف، وفتحت المدينة بالقرآن. ولما سمعته الجن لم تتمالك أن قالت: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً﴾ [1] ومصداق ما وصفناه في أمر القرآن في قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا القُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ﴾ [3]. وغير ذلك في آي ذوات عدد منه، وذلك لمن ألقى السمع وهو شهيد، وهو من عظيم آياته، ودلائل معجزاته".[4]

والأمثلة أو النماذج على تأثير القرآن الكريم في النفوس عديدة على اختلاف الزمان والمكان، سواء أكانت النفوس كافرة أم مؤمنة، وفيما يلي نماذج لأصناف ثلاثة تأثروا بتلاوة القرآن الكريم وهم المؤمنون، والكفار، وغير العرب. وبيان ذلك على النحو الآتي:

أولا: تأثير القرآن في نفوس المؤمنين:

لقد كان لتلاوة القرآن الكريم أثر عظيم في نفوس المؤمنين، والأمثلة على ذلك عديدة على مدار التاريخ الإسلامي، وكان في مقدمة الذين أثر فيهم القرآن من نزل القرآن على قلبه سيدنا محمد – ﷺ – الذي كان يتأثر وهو يتلو القرآن، ويتأثر وهو يسمع القرآن،

---

(١) سورة الجن الآيتان : (١، ٢).

(٢) سورة الحشر من الآية : (٢١).

(٣) سورة الزمر من الآية : (٢٣).

(٤) بيان إعجاز القرآن – الخطابي ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن – سلسلة ذخائر العرب صـ٧١ – دار المعارف.

ويبدو التأثر دموعاً غزيرة تذرفها عيناه الشريفتان وخير دليل على صحة ذلك بكاؤه لسماع القرآن من ابن مسعود كما ورد في الأثر.[1] وكان ابن مسعود – رحمه الله – ينصح المسلمين بتجويد القرآن الكريم وتحسين الصوت بتلاوته وقد روى جُوَيبر عن الضَّحَّاك قال: قال عبد الله بن مسعود: " جَوِّدُوا الْقُرْآنَ وَزَيِّنُوهُ بِأَحْسَنِ الْأَصْوَاتِ،... ". وبذلك يكون ابن مسعود أول من استخدم هذه الكلمة (التجويد) في معنى قريب من معناها، وقد عد ذلك المرحلة الأولى لنشأة علم التجويد. ويبدو أن نشأة علم التجويد جاءت استجابة لدعوة ابن مسعود، ومحاولة لتقنين قواعد القراءة اقتفاء لأثره.[2]

كذا أثر القرآن الكريم في نفوس الصحابة تأثيرًا عظيماً قادهم إلى الانتقال من الشرك والكفر والجاهلية إلى الإسلام، ومن أوضح الأمثلة على ذلك عمر بن الخطاب – ﷺ – الذي كان سبب إسلامه سماع القرآن الكريم.[3]

ثانيا: تأثير القرآن في نفوس الكفار من العرب :

لقد بلغ تأثير القرآن الكريم في القلوب مبلغًا عظيمًا لم يعرف قبله ولا بعده كلام قط، إذ تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم روعة وخشية وتعتريهم هيبة وتهيمن عليهم عظمته، ونرى آثاره على الجاحدين أبلغ وأظهر، إذ يقرعهم عن ضلالهم ويقيم عليهم حججاً لا معقب لها فيستثقلون سماعه ويتولون عنه بنفور مدبرين كما أخبر الله – ﷻ

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور – جلال الدين السيوطي ٢ / ٥٤١ – دار المعرفة / بيروت .

(٢) البحث اللغوي عند العرب – د / أحمد مختار عمر ص ٩٥ – عالم الكتب – ط / ثامنة ٢٠٠٣م .

(٣) السيرة النبوية – عبدالملك بن هشام – تح / مصطفى السقا وآخرين ١/٣٧١ : ٣٧٣ – مطبعة الحلبي بمصر – ط /ثانية ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م ، والإعجاز التأثيري للقرآن الكريم – د / خالد محمد القضاة ص ٢٧ بحث فى مؤتمر كلية الشريعة السابع (إعجاز القرآن الكريم) جامعة الزرقاء الأهلية في ١٨ : ٢٠ رجب ١٤٢٦هـ / ٣٢ : ٢٥ أغسطس ٢٠٠٥م.

– عنهم في قوله: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا القُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ نُفُوراً ﴾[1] وقال – ﷻ –: ﴿ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي القُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً ﴾[2]،[3]

فقد بلغ القرآن الكريم الذروة في التأثير في سمع العربي ووجدانه، وذلك بعذوبة جرسه وجمال إيقاعه ونغمه، وما لذلك من صلة بدلالته. يقول أحد الباحثين المحدثين: " من الثابت أن القرآن الكريم كان يأخذهم بروعة بيانه وأنهم لا يملكون أنفسهم عند سماعه ؛ ولذلك سعوا إلى أن يحولوا بين القرآن وأسماع الناس، سعوا إلى أن لا يصل إلى الأذن ؛ لأنهم يعلمون أن مجرد وصوله إلى السمع يحدث في النفس دوياً هائلاً وهزة عنيفة وقد حكى الله عنهم هذا الأسلوب فقال – ﷻ –: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لاَ تَسْمَعُوا لِهَذَا القُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾. [4] وكان صناديد قريش وأعتاهم محاربة للرسول وأشدهم كيلاً له ونيلاً منه لا يملكون أنفسهم عند سماعه، فقد كان كل من أبي جهل وأبي سفيان والأخنس بن شريق يأخذ نفسه خلسة لسماعه بالليل والرسول – ﷺ – في بيته لا يعلم بمكانهم ولا يعلم أحد منهم بمكان صاحبه حتى إذا طلع الفجر تفرقوا حتى إذا جمعتهم الطريق تلاوموا وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً ثم انصرفوا، وتكرر منهم ذلك الفعل وذات القول في الليلة الثانية، وفي الليلة الثالثة وفيها قال بعضهم لبعض: لا نبرح حتى نتعاهد على ألا نعود فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا. وقد أخبر الله –ﷻ– نبيه –ﷺ– بهذا الأمر فقال:﴿نَحْنُ

---

(١) سورة الإسراء الآية : (٤١) .

(٢) سورة الإسراء من الآية : (٤٦) .

(٣) الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم – د / خالد محمد القضاة ص ١٧.

(٤) سورة فصلت الآية : (٢٦) .

أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُوراً﴾[1].[2]

فالأداء الصوتي للنص القرآني يزيد المعنى جمالاً ويكسب اللفظ نغماً يأسر القلب ويأخذ اللب وتزداد النفس معه رقة فيكون أوقع أثراً في النفوس كما سبق مع صناديد قريش، وهو أيضاً الذي دفع الوليد بن المغيرة أن يقول حين سمع رسول الله – ﷺ – يتلو عليه سورة (حم السجدة) فإذا به يدهشه أمر القرآن، فيقول لبني مخزوم من غير تردّد ولا كتمان: " والله لقد سمعت آنفاً من محمد كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن. إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو ولا يعلى عليه" [3] وكذا حديث عتبة بن ربيعة وذكر فيه قوله عن القرآن: " إني قد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، وما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة " [4] وهو أيضاً السر الذي جعل عمر بن الخطاب – ﷺ – يعلن إسلامه رغم شدته وعنفه وقسوة قلبه الذي رق عند سماعه لآيات القرآن تتلى حيث قال: "ما أجمل هذا الكلام وأكرمه". ولعل

---

(١) سورة الإسراء الآية : (٤٧).

(٢) التعبير القرآني – د / فاضل صالح السامرائي صـ ٩ ، ١٠- دار عمار / عمان - ط / رابعة ١٤٢٧ه /٢٠٠٦م، الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم – د / خالد محمد القضاة ص ٢٤ وما بعدها، والإعجاز التأثيري في القرآن الكريم – د / زياد عوّاد أبوحمّاد مجلة جامعة دمشق- المجلد الثامن عشر - العدد الأول ٢٠٠٢ صـ ٣٦٦ وما بعدها بتصرف.

(٣) غرائب القرآن ورغائب الفرقان – نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري - تح الشيخ / زكريا عميرات ٦ /٣٩١ ـ دار الكتب العلمية / بيروت - ط /أولى ١٤١٦هـ، والكشف والبيان عن تفسير القرآن - أبو إسحاق الثعلبي– تح الإمام / أبي محمد بن عاشور ٦ / ٣٨ – دار إحياء التراث العربي بيروت / لبنان - ط /أولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١٥ / ٣٣٩ .

ذلك يرجع إلى الجمال الصوتي في الأداء والتآلف بين الأصوات والكلمات، والانسجام بين مخارجها وصفاتها، أو ما يعتريها من المد والقلقلة والإدغام والحذف وغيرها.

ولا أدل على تأثير الأداء القرآني – بما يتميز به من جمال الأداء – في نفوس سامعيه العرب غير المسلمين وإسلام جماعة من اليهود والنصارى من قول ابن الجزري: "إن الأستاذ عبدالله البغداديَّ، المعروف بسبط الخياط كان قد أعطي حظًّا عظيماً من حسن الترتيل، وأنه أسلم جماعة من اليهود والنصارى من سماعهم لتلاوته، ومثله في ذلك الشيخ /ابن بصخان شيخ الشام، والشيخ / إبراهيم الحكري شيخ الديار المصرية".[1]

ثالثا: تأثير القرآن في نفوس غير العرب:

كما أثر القرآن الكريم تأثيراً بليغاً في نفوس العرب كفارًا ومسلمين، وفي نفوس المسلمين من غير العرب المؤمنين به الخاشعين عند تلاوته، أثر كذلك في نفوس غير العرب الذين لا يعرفون من اللغة العربية شيئاً. فتأثير القرآن الكريم عن طريق حسن الأداء لم يتوقف عند العرب الذين يعرفون العربية وحدهم لكن تعداهم إلى غيرهم ممن لا يفقهون العربية لعذوبة جرسه ونغمته وحلاوة أدائه، وقد بين ذلك الشيخ سيد قطب عند تفسيره لقول الله – ﷻ – ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ..... ﴾.[2] حيث قال: "إن الأداء القرآني يمتاز ويتميز من الأداء البشري. إن له سلطاناً عجيباً على القلوب ليس للأداء البشري ؛ حتى ليبلغ أحياناً أن يؤثر بتلاوته المجردة على الذين لا يعرفون من العربية حرفاً....".[3] وضرب

---

(١) النشر في القراءات العشر ١/ ٢١٣ .

(٢) سورة يونس الآيات من (٢٦ إلى ٧٠).

(٣) في ظلال القرآن ٣ / ١٧٨٦ .

لذلك مثلا بسيدة يوغسلافية كانت على ظهر سفينة مصرية تمخر به ومعه ستة نفر من المسلمين عباب المحيط الأطلسي إلى نيويورك ؛ وعلى متنها عشرون ومائة راكب وراكبة أجانب ليس فيهم مسلم.. وقد يسر قائد السفينة – وكان إنجليزياً – للمسلمين أن يقيموا صلاتهم ؛ وسمح لبحارة السفينة وطهاتها وخدمها – وكلهم نوبيون مسلمون – أن يصلي منهم من لا يكون في » الخدمة « وقت الصلاة ! وقد فرحوا بهذا فرحاً شديداً، إذ كانت المرة الأولى التي تقام فيها صلاة الجمعة على ظهر السفينة.. وقام الشيخ / سيد قطب بخطبة الجمعة وإمامة الصلاة ؛ والركاب الأجانب – معظمهم – متحلقون يرقبون صلاتهم !.. وبعد الصلاة جاءت سيدة يوغسلافية مسيحية وكانت شديدة التأثر والانفعال، تفيض عيناها بالدمع ولا تتمالك مشاعرها. جاءت تشد على أيديهم بحرارة ؛ وتقول: – في إنجليزية ضعيفة –: أي لغة هذه التي كان يتحدث بها قسيسكم ! – (أي خطيب الجمعة) –.... إن اللغة التي يتحدث بها ذات إيقاع موسيقي عجيب، وإن كنت لم أفهم منها حرفاً.. ثم كانت المفاجأة الحقيقية لنا وهي تقول: إن الموضوع الذي لفت حسي، هو أن الإمام كانت ترد في أثناء كلامه – بهذه اللغة الموسيقية – فقرات من نوع آخر غير بقية كلامه ! نوع أكثر موسيقية وأعمق إيقاعاً. هذه الفقرات الخاصة كانت تحدث في رعشة وقشعريرة ! إنها شيء آخر ! كما لو كان – الإمام – مملوءا من الروح القدس ! – حسب تعبيرها المستمد من مسيحيتها ! – وتفكرنا قليلاً. ثم أدركنا أنها تعني الآيات القرآنية التي وردت في أثناء خطبة الجمعة وفي أثناء الصلاة ! وكانت – مع ذلك – مفاجأة لنا تدعو إلى الدهشة، من سيدة لا تفهم مما تقول شيئاً ! وليست هذه قاعدة كما قلت. ولكن وقوع هذه الحادثة – ووقوع أمثالها مما

ذكره لي غير واحد – ذو دلالة على أن في هذا القرآن سراً آخر تلتقطه بعض القلوب لمجرد تلاوته.[1]

كذا ذكر الشيخ عضيمة – رحمه الله – أن: " القرآن الكريم معجز بنظم أسلوبه، وبجرس ألفاظه، وأصوات كلماته.... أما إعجاز جرس ألفاظه وأصوات كلماته فيحس بها من له أذن موسيقية ولو كان أعجميا لا يعرف اللغة العربية. ففي عصرنا وفي أيامنا هذه فتاة أمريكية مسيحية، ثقافتها لا تتجاوز دراسة الموسيقى، سمعت تلاوة القرآن الكريم من الإذاعات المختلفة فشد انتباهها جرس ألفاظ القرآن وأصوات كلماته، ودفعها ذلك إلى أن تتعلم اللغة العربية حتى تستطيع قراءة القرآن، تعلمت اللغة العربية واستطاعت أن تقرأ القرآن لكنها لم تقنع بذلك، وحضرت إلى القاهرة لتتعلم قراءة القرآن مع التجويد على يد شيخ من شيوخ القراءة وهو الشيخ عامر، وقد تركتها في القاهرة. وأخبرني الشيخ عامر بأن فتاة أمريكية أخرى قد انضمت إليها. وفيما قرأت: ضابط كندي من جنود الحلفاء في الحرب العالمية الثانية تأثر بقراءة الشيخ محمد رفعت – رحمه الله – فحضر إلى مجلسه واستمع لقراءته ثم أعلن إسلامه. إنما تأثر هؤلاء بجرس ألفاظ القرآن، وأصوات كلماته من غير فقه لمعاني الألفاظ القرآنية، ولا وقوف على أسرار النظم في القرآن الكريم ".[2]

وقد أقر مسيحيو العصر الحديث بعظمة القرآن الكريم وما أحدثه في نفوسهم حيث اعترف الدكتور / ماردريس المستشرق الفرنسي بعظمة القرآن الكريم وذلك بعد أن كلفته وزارتا الخارجية والمعارف الفرنسية بترجمة (٦٢) سورة من السور

---

(١) في ظلال القرآن ٣ / ١٧٨٦ بتصرف .

(٢) دراسات في أسلوب القرآن الكريم – الشيخ / محمد عبدالخالق عضيمة – القسم الثالث ١/ ٧، ٨ .

الطوال التي لا تكرار فيها ففعل. وقال في مقدمة ترجمته الصادرة ١٩٢٦م: " أما أسلوب القرآن فهو أسلوب الخالق – جل وعلا – لأن الأسلوب الذي ينطوي على كنه الخالق الذي صدر عنه هذا الأسلوب لا يكون إلا إلهاً " والحق الواقع أن أكثر الكتاب شكاً وارتيابا قد خضعوا لسلطان تأثيره ".[١]

كذا ذكر أحد الباحثين نموذجاً على تأثر غير العرب بالقرآن الكريم وإعلانهم الإسلام لمجرد سماع تلاوة القرآن الكريم من شيخ حسن الصوت من دون أن يكون لهم علم بالعربية ومن هؤلاء الدكتور / لويس أميليو بلسوني البرازيلي وهو طبيب أسنان نشأ في عائلة مسيحية كاثوليكية حرصت منذ البدء على تربيته على مبادئ الديانة المسيحية.[٢]

ويقول جان جاك روسّو (١٧١٢–١٧٧٨م) في كتابه (محاولة في أصل اللغات) مبيناً الأثر النفسي الذي يحدثه ترتيل القارىء وتغنِّيه مما يبعث فيضاً من الاستحسان للبيان القرآني إلى قلبك: "... إنك لترى الذي له بعض معرفة باللغة العربية يبتسم إذ يتصفح القرآن، ولعمري، إنّه لو أنْصَتَ إلى محمد يقرأه بنفسه في تلك اللغة البليغة الموقَّعة، وبذلك الصوت الجهوري المقنع الذي كان يستهوِي الأذن قبل أن يستهوِي القلب، ولو أنصت إليه إذ لا ينفكُّ ينفثُ في حكمه نبرةً وحماسا لسجد على الأرض من الرهبة، ثم لناداه: ألا، أيها النبي، ألا، يا رسول الله خذنا إلي المجد والشهادة: نريد أن نغلب أو نموت في سبيلك "[٣]

---

(١) الإعجاز اللغوي والبياني ١/ ٤١٨ .

(٢) الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم – د / خالد محمد القضاة ص ٣٣ .

(٣) محاولة في أصل اللغات – جان جاك روسو- تعريب / محمد محجوب ص٧١ – دار الشؤون الثقافية العامة / بغداد ١٩٨٦. والعزف على أنوار الذكر ص ١٦٢.

وكان ريسلر (**restler**) وهو باحث فرنسي معاصر، وأستاذ بالمعهد الإسلامي بباريس ممن تأثر بروعة أسلوب القرآن الكريم وبتلاوته فبين أثره في النفوس حيث قال: "لما كانت روعة القرآن في أسلوبه فقد أنزل ليقرأ ويتلى بصوت عال. ولا تستطيع أية ترجمة أن تعبر عن فروقه الدقيقة المشبعة بالحساسية الشرقية. ويجب أن تقرأه في لغته التي كتب بها؛ لتتمكن من تذوق جمله وقوته وسمو صياغته. ويخلق نثره الموسيقى والمسجوع سحراً مؤثراً في النفس حيث تزخر الأفكار قوة وتتوهج الصور نضارة، فلا يستطيع أحد أن ينكر أن سلطانه السحري وسموه الروحي يسهمان في إشعارنا بأن محمداً – ﷺ – كان ملهماً بجلال الله وعظمته".[1]

وتقول عائشة برجت هوني (**Ayesha Bridget Honey**) وهي فتاة نشأت في أسرة انكليزية مسيحية، وشغفت بالفلسفة، ثم سافرت الى كندا لإكمال دراستها، وهناك في الجامعة أتيح لها أن تتعرف على الإسلام، وأن تنتهى إليه، وقد عملت مدرسة في مدرسة عليا في نيجيريا: "..لن أستطيع مهما حاولت، أن أصف الأثر الذي تركه القرآن في قلبي، فلم أكد أنتهي من قراءة السورة الثالثة من القرآن حتى وجدتني ساجدة لخالق هذا الكون، فكانت هذه أول صلاة لي في الإسلام". [2]

***

(١) قالوا عن القرآن ص ١٩.

(٢) السابق ص ٣٧.

الفصل الثاني

المبحث الأول: جمال الأداء القرآني كيفيته والآثار الواردة فيه

التفاوت سنة من سنن الله الثابتة، ومن ذلك تفاوت الناس في قدرتهم على أداء كلامهم في طبقات شتى ما بين عيي لا يكاد يبين وما بين صاحب بيان يكاد يسمع من به صمم.

فلكل صوت طابعه المميز الذي يحدده بناء الرأس والعنق والوجه وطريق اهتزاز الطيات الصوتية ووسيلة تشكيل فتحة المزمار، كما يحدده أيضاً طريقة المتحدث الكلامية: درجة وضوح أصواته، وسرعة أدائه، وتنغيم جملته، مما يدل على شخصيته أكثر مما تدل عليه الكلمات المنطوقة، ولذلك فإن تجاوب المستمع لا يحدده: ماذا يقال؟ بقدر ما يحدده: كيف يقال؟ .[1]

وعلى هذا نجد أن نطق اللغة الواحدة يختلف – قليلاً أو كثيراً – في أفواه أبنائها ويخضع ذلك لعوامل عديدة يرتبط معظمها بالتنفس، حيث يبرز أثره واضحاً في التمييز بين الأصوات الصادرة عن شخصين أو أشخاص مختلفة ؛ لما له من ارتباط وثيق بكمية الهواء شهيقاً كان أو زفيراً. حيث ترتبط أكبر كمية هواء يمكن إخراجها عند أقصى زفير سبقه أقصى شهيق – (طاقة التنفس الحيوية) – بعدة عوامل مثل: نوع الشخص، وبيئته، وقدرته الفيزيقية، ومهنته، ووزن جسمه وطوله، ومحيط صدره، كما أن طاقة التنفس الحيوية تزيد عند الوقوف بسبب نقص الدم في الرئتين.[2]

---

(١) دراسات صوتية – د/ تغريد عنبر صـ ١٤٨ – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم القاهرة ١٤٠١ هـ/ ١٩٨٠م.

(٢) السابق صـ ٨٥ .

وهذا الكلام الذي يتفاوت الناس في أدائه شريان رئيس من شرايين الحياة وركن ثابت من أركانها، ارتبطت به كثير من أمور الشرع، فبه يُدخَلُ في الإسلام، وبه يذكر الله ويعبد، وبه ينادى للصلاة، وبه يُقرأ القرآن.....؛ والنية في كل ذلك خلفه.... ولأجل هذا كله أولى الإسلام أداء الكلام عناية تتناسب مع قدره، فكان محمد – ﷺ – المثل الأعلى فيه. عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: " كان كلام رسول الله – ﷺ – كلاماً فصلاً يفهمه كل من يسمعه ". (١)

وقد حث الإسلام على حسن الصوت وعلى جمال الأداء عند قراءة القرآن الكريم، بل جعل الإسلام أداء القرآن من تمام الإسلام، إذ تذكر الروايات الكثيرة أن النبي – ﷺ – هو أوّل من أسّس تلاوة القرآن وقراءته بصوت حسن، وكان يؤكّد كثيرًا على قراءة القرآن بالأصوات الحسنة فجاءت في هذا المجال أحاديث كثيرة تؤكّد حسن الأداء والقراءة الصحيحة بل دعت صراحة إلى التغني بالقرآن الكريم حال ترتيله فقد صح عن النبي – ﷺ – أنه قال: " من لم يتغن بالقرآن فليس منا " (٢) قال النووي: " ومعنى (يتغنى): يحسن صوته بالقرآن "(٣) وقيل: تحسين الصوت وتطييبه بالقراءة من غير تغريد الصوت.(٤)

---

(١) سنن أبي داود – أبو داود سليمان بن الأشعث – تح / محمد محيي الدين عبد الحميد ٤ / ٣٦١ – المكتبة العصرية / بيروت .

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري – بدر الدين العيني – (باب من لم يتغن بالقرآن) حديث رقم (٥٠٢٣) – ١٠/ ٣٩ – دار إحياء التراث العربي / بيروت .

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم – أبو زكريا بن شرف النووي ٦ / ٧٨ – دار إحياء التراث العربي / بيروت – ط / ثانية ١٣٩٢ه .

(٤) روح البيان – إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي ٤ / ٤٨٧ – دار الفكر / بيروت .

فالرسول – ﷺ – كان يُعجبه الصوت الموهوب في ترتيله لآيات الذّكر الحكيم ؛ حيث تنسجم روعة الأداء مع قدسية المضمون، والجمال مع الكمال، وتتوافق الصورة، في نفس مطبوعة على السمو المطلق، والتكامل الفطري ؛ ولهذا كان – ﷺ – يحب الإنصات لعبدالله بن مسعود – ﷺ – المسمى بابن أم عبد، وكان – ﷺ – يتميز بصوت نفاذ، وأداء للقرآن أخّاذ، وكان النبي – ﷺ – يقول لأصحابه: " مَن أحبَّ أن يقرأ القرآنَ غضًا كما أُنزل فليقرأ قراءة ابن أمِّ عبد " [1] ؛ يعني: ابن مسعود، وقد سبق أن ذكرت أن الرسول – ﷺ – كان يجهش بالبكاء حيت يسمع قراءة ابن مسعود. كذا نُقل عن عثمان النهدي قوله: " صلَّى بنا ابن مسعود المغرب بـ { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } [2]، ووالله لوددت أنه قرأ بسورة البقرة من حسن صوته وترتيله ". [3]

وممن طرب له الرسول – ﷺ – في تلاوته، واستمالته قراءته: أبو موسى الأشعري – ﷺ – وكان من ذوي الحناجر الذهبيَّة الموهوبة، سمعه النبي – ﷺ – يقرأ من وراء جدر بيته فتلبث مليًا ؛ إعجابًا بهذا الصوت المشرق، والأداء الرائع، فلما عرف ذلك أبو موسى قال للرسول – ﷺ –: "لو علمت بوقوفك لحبرته لك تحبيرًا" [4] أي: حسنته لك أكثر مما سمعت.

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل – أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل – تح / شعيب الأرنؤوط ، وآخرين – حديث رقم (١٨٤٥٧) – ٣٠ / ٤٠٠ – مؤسسة الرسالة – ط /أولى ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.

(٢) سورة الإخلاص آية : (١) .

(٣) النشر ١ / ٢١٢ .

(٤) شعب الإيمان – أبو بكر البيهقي – تح د / عبد العلي عبد الحميد حامد – ٤ / ١٨٣ – مكتبة الرشد /الرياض – ط /أولى ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣ م .

وإذا كان النبي – ﷺ – يعجبه الصوت الحسن في ترتيل القرآن الكريم فإنه قد أكد أن يكون تجميل الصوت وتحليته عند قراءة القران الكريم من أولويات الترتيل له فعن ابن عباس – رضي اللّه عنهما – قال: قال رسول اللّه – ﷺ – وعن البراء – ﷺ – قال: قال رسول اللّه – ﷺ –: "زينوا القرآن بأصواتكم".[1] وفي رواية عن علقمة قال: كنت رجلاً قد أعطاني اللّه حسن الصوت، وكان ابن مسعود يرسل إلي فأقرأ عليه القرآن فكنت إذا فرغت من قراءتي قال: زدنا من هذا فداك أبي وأمي فإني سمعت رسول اللّه – ﷺ – يقول: "حسن الصوت زينة للقرآن".[2] فابن مسعود كانت تعجبه قراءة (علقمة الأسود) – لحسن صوته بقراءة القرآن.

والمراد من تحسين الصوت بالقرآن: تطريبه وتحزينه والتخشع به؛ لأن التطريب بقراءة القرآن والترنّم به من شأنه أن يبعث على الاستماع والإصغاء، وهو أوقع في النفس، وأنفذ في القلب وأبلغ في التأثير.

ويشترط في تحسين الصوت عند قراءة القرآن الكريم أو الترنم به الالتزام بأحكام التجويد وآداب التلاوة، والخروج عن نغم الألحان الموسيقية؛ لأنه إذا كان القارئ متحاشياً الأنغام الموسيقية وألحان أهل الفسق قارئاً على لحون العرب محسناً صوته فلا مجال للطعن فيه والدخل ظاهراً وباطناً والله أعلم.[3]

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل – حيث رقم (١٨٤٩٤) ٣٠ / ٤٥١، وتنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين – أبو الحسن النوري الصفاقسي – تح / محمد الشاذلي النيفر ص ١١٩ – مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله.

(٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد أبو الحسن نور الدين بن أبي بكر الهيثمي – تح / حسام الدين القدسي – حديث رقم (١١٧٠٧) – ٧ / ١٧١ – مكتبة القدسي / القاهرة ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، وتاريخ دمشق – ابن عساكر – تح / عمرو بن غرامة العمروي ٤١ / ١٧٣ – دار الفكر ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

(٣) روح البيان ٣ / ٦٦.

كما يشترط في تحسين الصوت عند قراءة القرآن ألا يغيّر التلحين والتطريب من ألفاظ القرآن، أو يخلّ بما نقل إلينا من طرق الأداء، وألا يكون تكلّفاً وتصنّعاً ورفعاً وخفضاً على نحو توقيعات الموسيقى، فلا كلام في أن هذا ممنوع ومحرّم. أما إذا كان تحبيرًا وترقيقاً وتحزيناً، وشيئاً قضى به اتعاظ القارئ، وكمال تأثّره بمعاني القرآن، فليس هناك من الأدلة ما ينهض على منعه، بل الأدلة شاهدة به وداعية إليه. وعلى هذا ينبغي حمل كل ما أورده المانعون في منع التغني على التغني المذموم الذي يسير فيه القارئ مع الهوى ويلهو به عن تدبر المعنى ويخرج فيه عن الحدود والقوانين المأثورة في الأداء والترتيل. وهذا محمل قريب جدًا وهو فوق ذلك مؤيد بتلك النصوص والآثار التي تجيز التغني في قراءة القرآن.[1]

فتحسين الصوت بالقراءة أمر متفق على استحبابه، أما الألحان فوقع بين السلف اختلاف في جواز القراءة بها. والفقهاء جميعاً متفقون على حرمة قراءة القرآن بالأنغام التي لا تراعى فيها أحكام التجويد كمدّ المقصور، وقصر الممدود، وترقيق المفخّم، وتفخيم المرقق، وإظهار ما ينبغي إدغامه، وإخفاء ما ينبغي إظهاره... إلخ، والتي يكون الغرض منها (التطريب) وإظهار جمال الصوت فحسب دون تقيّد بالأحكام وآداب التلاوة، فإن هذا لا يشك أحد في تحريمه، أما إذا كان المراد بـ (التلحين) هو تحسين الصوت بالقراءة وإخراج الحروف سليمة من مخارجها، دون تقعر أو تمطيط، مع تطبيق أحكام التجويد ومراعاة الوقوف والمدود فإن هذا لا يقول أحد بتحريمه ؛ لأن الصوت

(١) تفسير آيات الأحكام – محمد علي سايس – تح / ناجي سويدان صـ ٨١٥ – المكتبة العصرية للطباعة ٢٠٠٢م .

الحسن يزيد في جمال القرآن، وله أثر في نفس الإنسان.[1] وهذا ما أيده ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) في قوله: " والذي يتحصل من الأدلة أن حسن الصوت بالقرآن مطلوب، فإن لم يكن حسناً فليحسنه ما استطاع... ومن جملة تحسينه أن يُراعى فيه قوانين النغم [2]. فإن الحسن الصوت يزداد حسناً بذلك وإن خرج منها أثّر ذلك في حسنه، وغير الحسن ربما انجبر بمراعاتها ما لم يخرج عن شرط الأداء المعتبر عند أهل القراءات، فإن خرج عنها لم يف تحسين الصوت بقبح الأداء، ولعل هذا مستند من كره القراءة بالأنغام ؛ لأن الغالب على من راعى الأنغام أن لا يراعي الأداء، فإن وجد من يراعيهما معاً فلا شك في أنه أرجح من غيره ؛ لأنه يأتي بالمطلوب مع تحسين الصوت، ويجتنب الممنوع من حرمة الأداء ". [3]

وتحسين الأداء – حتى يحتاج في إثباته إلى التواتر، وحتى يمكن ضبطه ونقله – إنما هو كيفية من الكيفيات المتعلقة بالأصوات، وهو ضرب من أضرب التحدث بالكلام وطريق من طرق إلقائه. والناس في هذا متفاوتون تفاوتهم في الغرائز، والاستعدادات، والخصائص، فلكل شخص صوته الخاص، ونبراته الخاصة، وإلقاؤه الخاص، فحينئذ يتعذر

---

(١) روائع البيان تفسير آيات الأحكام – محمد علي الصابوني ٦٣١/٢ – مكتبة الغزالي /دمشق – مؤسسة مناهل العرفان / بيروت – ط /ثالثة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

(٢) المقصود بقوانين النغم : الألحان العربية الفطرية الطبيعية ومذاهبه وأنواعه، وليس المقصود قوانين النغم الموسيقي التي تخرج القراءة عن أحكام التلاوة والترتيل، فالتحزين والترجيع نوع من تلحين الأداء الذي هو من التنغيم المشروع (أثر القراءة بالتجويد في تدبر القرآن المجيد – دراسة تأصيلية – د/ باسم بن حمدي بن حامد السيد صـ ١١١ – دار الحضارة للنشر/ الرياض – ط /أولى ١٤٣٥ه / ٢٠١٤م). فالقرآن منزه عن الأوزان والأوضاع الملهية، والقانون الموسيقائي كما ذكر ابن كثير في (فضائل القرآن – صـ ١٩٥ – مكتبة ابن تيمية – ط / أولى ١٤١٦هـ).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري – ابن حجر العسقلاني – رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه / محمد فؤاد عبد الباقي ٩/ ٧٢ – دار المعرفة / بيروت ١٣٧٩ه .

نقل هذه الكيفيات المتعلقة بالضبط والأداء التي لا تختلف باختلاف الأشخاص فيتيسر نقلها ومحاكاتها جيلاً بعد جيل، وعصرًا إثر عصر. وقولهم: إنَّ الترجيع والتطريب فيه همز ما ليس بمهموز. إلخ غير مسلم، فإن القارئ يستطيع – في سهولة ويسر – أن يتغنى بالقرآن، ويرجع فيه ويحسن صوته بتلاوته، مع تحريه الدقة في تجويد كلماته، وإتقان حروفه، وتجميل أدائه، ومراعاة حسن الوقف والبدء، إلى غير ذلك من القواعد التي وضعها أئمة القراءة. وكم سمعنا من قراء هذا العصر من يجمع بين الحسنيين، ويوفق بين الفضيلتين: متانة الترتيل، وعذوبة التطريب.[1]

ومن الأحاديث الواردة في الحض على تحسين الصوت بالقرآن قوله – ﷺ –: " ما أَذِنَ اللَّهُ لشيءٍ ما أَذِنَ لنبيٍ أن يتغنى بالقرآن "[2] أي: يجهر به، والأذن: الاستماع ؛ لدلالة السياق عليه، وكما قال تعالى: ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ * وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ * وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾[3] أي: وحق لها أن تستمع أمره وتطيعه، فالأذن هو الاستماع ؛ ولهذا جاء في حديث رواه ابن ماجة بسند جيد عن فضالة بن عبيد قال: قال رسول الله – ﷺ –: " لله أشد أذنا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن [يجهر به] من صاحب القَيَنَةِ إلى قينته ".[4]

---

(١) تفسير آيات الأحكام ص ٦١٠، نقلا عن كتاب " روائع البيان ".

(٢) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله – ﷺ – مسلم بن الحجاج – تح / محمد فؤاد عبد الباقي – (باب استحباب تحسين الصوت بِالقرآنِ) حديث رقم (٧٩٢) ١/ ٥٤٥ – دار إحياء التراث العربي / بيروت، وعمدة القاري- (باب من لم يتغن بالقرآن) حديث رقم (٣٢٠٥) ١٠/ ٤٠، وفتح الباري (باب من لم يتغن بالقرآن) حديث رقم (٥٠٢٣) ١/ ٦٨.

(٣) سورة الانشقاق الآيات : (١، ٢، ٣، ٤، ٥).

(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل – حديث رقم (٢٣٩٤٧) – ٣٩ / ٣٧٢.

وروى الطبري: عن عمر بن الخطاب – ﷺ – أنه كان يقول لأبي موسى الأشعري: ذكّرنا ربنا، فيقرأ أبوموسى ويتلاحن فيقول عمر: من استطاع أن يتغنى بالقرآن غناء أبي موسى فليفعل.[1]

فالتغني بالقرآن معناه: التطريب به والحداء و" تحزين القراءة وترقيقها "[2] وفق قواعد معلومة ؛ لأنه أوقع في النفوس، وأنجع في القلوب.[3] وذهب الشافعي وأصحابه وأكثر العلماء من الطوائف وأصحاب الفنون إلى أن معناه: يحسن صوته به.[4] وقال صالح: قلت لأبي – (أي أحمد بن حنبل)–: "زينوا القرآن بأصواتكم"[5] ما معناه؟ قال: أن يحسنه. وقيل: تزيين القراءة يكون بحيث تختلف عن سجية معتاد الكلام حال التلاوة، فهذا هو الواجب الشرعي ؛ إذ يمثل الترتيل المأمور به.[6] وقيل له (أي أحمد بن حنبل): ما معنى " من لم يتغن بالقرآن " قال: يرفع صوته به ". وقال الليث: " يتحزن به، ويتخشع به، ويتباكى به ". ورد الإمام الشافعي على ابن عيينة تأويله التغني بالاستغناء فقال – رحمه الله تعالى –: نحن أعلم بهذا، لو أراد النبي – ﷺ – الاستغناء به لقال: ليس منا من لم يستغن بالقرآن. فلما قال: " ليس منا من لم يتغن بالقرآن" علمنا أنه التغني به. وقال: معناه يقرأه حزناً وتحزيناً.[7] ولعل السبب في ذلك أن الحزن مفتاح القلب.

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري – ٢٠ / ٤١ .

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج – ٦ / ٧٩ .

(٣) شرح السنة – البغوي – تح /شعيب الأرنؤوط ، وآخر ٤ / ٤٨٥ – المكتب الإسلامي / دمشق – ط /ثانية ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج – ٦ / ٧٩ .

(٥) سبق تخريجه .

(٦) إذهاب الحزن وشفاء الصدر السقيم ص ٢٤١ .

(٧) السابق ص ٢٨٧ .

والميل بالقراءة نحو الحزن إخبار ضمني من القارئ بفقره وخشيته من ربه، واعترافه بالتقصير، وهي الضابط الحقيقي لحسن القراءة وزينتها، ثم ضبط النبي – ﷺ – لهم هذا التحزن وهو يعلمهم بأنه الذي يحقق هذا المقصد من إظهار الجزع على النفس بين يدي اللّه – ﷻ – والخشية منه، والإشفاق من عذابه، والطمع في رحمته كما في الحديث عن جابر قال: قال رسول الله – ﷺ –: "إن من أحسن الناس صوتًا بالقرآن، الذي إذا سمعتموه يقرأ، حسبتموه يخشى اللّه". [1] قال الحسن: "قراء القرآن ثلاثة أصناف: فصنف اتخذوه بضاعة يأكلون به، وصنف أقاموا حروفه وضيعوا حدوده واستطالوا به على أهل بلادهم واستدروا به الولاة كثير هذا الضرب من حملة القرآن لا كثرهم الله، وصنف عمدوا إلى دواء القرآن فوضعوه على داء قلوبهم واستشعروا الخوف وارتدوا الحزن فأولئك الذين يسقي الله بهم الغيث وينصر بهم على الأعداء. والله لهذا الضرب في حملة القرآن أعز من الكبريت الأحمر". [2]

وقد ورد في حديث أبي موسى الأشعري أن النبي – ﷺ – قال له: "لو رأيتني وأنا أستمع إلى قراءتك البارحة لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود. فقال: يا رسول الله لو علمت لحبرته لك تحبيرا". [3] والتحبير هنا يقصد به: شدة التحسين، وقوة الجمال، مع المبالغة

---

(١) سنن ابن ماجه – أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني – تح / محمد فؤاد عبد الباقي – (باب في حسن الصوت بالقرآن) حديث رقم (١٣٣٩)١/٤٢٥ – دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي، وصححه الألباني في (صحيح الجامع الصغير وزياداته) – أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني – حديث رقم (٢٢٠٢)١/ ٤٣٩ – المكتب الإسلامي.

(٢) جمال القراء وكمال الإقراء – علم الدين السخاوي – تح د/علي حسين البواب ١/ ١٠٦ – مكتبة التراث /مكة المكرمة – ط /أولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م.

(٣) صحيح مسلم باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن – حديث رقم (٢٣٦)١/٥٤٦، وفتح الباري شرح صحيح البخاري – حديث رقم (٥٠٤٨) ٩/ ٩٣ – دار المعرفة / بيروت ١٣٧٩هـ.

في ذلك. والمراد به – هنا – في الصوت حتى يسر به المرء. فأبو موسى يريد بالتحبير شدة تحسين الصوت وتحزينه.[1] وهذا القدر من شدة التحسين ليس بواجب لكنه قد يزيد النشاط في التلاوة، إذ لم ينكر النبي – ﷺ – عدم وجوده، وتدخل فيه الخلقة البشرية، والمنحة الإلهية وفق القواعد المتلقاة. ولا أدل على اهتمام ابن مسعود بحسن الأداء لآي الذكر الحكيم والتغني به وتحبيره من قوله: " إذا وقعتُ في (آل حم) وقعتُ في روضات دمثات أتأنق فيهن " أي: أتتبع محاسنهن. قال ذلك من أجل أوزان الكلمات، ومن أجل الفواصل في أواخرِ الآيات؟ أما تَرى أنهم لذلك قالوا: " لا تفنى عجائبه، ولا يَخْلُقُ على كثرة الرد ".[2]

وفي ترجمة أبى موسى هذا يقول أبو عثمان النهدي: " ما سمعت صوت صنج ولا بربط[3] ولا مزمار مثل صوت أبي موسى – ﷺ – ومع هذا قال – ﷺ –: " لقد أوتي مزمارا من مزامير آل داود ".[4] وقال عنه الذهبي: ".... إليه المنتهى في حسن الصوت بالقرآن، روى

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر – ابن الأثير – تح / طاهر أحمد الزاوى، وآخر– المكتبة العلمية / بيروت ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

(٢) دلائل الإعجاز في علم المعاني – عبد القاهر الجرجاني – تح / محمود محمد شاكر ص ٣٨٨، ٣٨٩ – مطبعة المدني بالقاهرة، ودار المدني بجدة – ط /ثالثة ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.

(٣) الصّنج العربيّ: هو الذي يكون في الدّفوف ونحوه، فأما الصّنج ذو الأوتار فدخيل معرّب، تختص به العجم وقد تكلمت به العرب. لسان العرب (ص ن ج). والبربط: الْعُودُ، أعجمي ليس من ملاهي العرب فأعربته حين سمعت به. التهذيب: الْبَرْبَطُ من ملاهي العَجَمِ شُبِّه بصدر البَطّ، والصدْرُ بالفارسيَّةِ بَرْ فقيل بَرْبَطٌ. فارسي معرب. قال ابن الأثير: أصله بَرْبَتْ فإن الضارب به يضعه على صدره، واسم الصدر بَرْ. لسان العرب (ب ر ب ط).

(٤) تفسير القرآن العظيم – ابن كثير الدمشقي – تح / محمد حسين شمس الدين ٥ / ٣١٤ – دار الكتب العلمية / بيروت – ط /أولى ١٤١٩هـ، وقد سبق تخريجه في الصفحة السابقة.

علماً طيباً مباركاً وأقرأ القرآن ".[1] ومنها ما رواه جعفر بن سليمان قال: سمعت مالك بن دينار في قوله: ﴿وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ قال: يُقَامُ داود يوم القيامة، عند ساقِ العرش. ثم يقول: يا داود، مَجِّدْنِي اليوم بذلك الصوت الْحَسَنِ الرَّخِيمِ الذي كنت تُمَجِّدُنِي به في الدنيا، فيقول: وكيف وقد سلبته؟ فيقول: إني أرده عليك اليوم. قال: فيرفع داود بصوت يستفرغ نعيم أهل الجِنَان ".[2] الصوت الحسن الرخيم أي: الرقيق الشجي الطيب النَّغَمة.[3]

وغير ذلك من الأحاديث التي تحض على جمال الصوت، مما يدل على أن تزيين الصوت بالقرآن أمر مستحب ؛ لما له من أثر واضح في حُسن الأداء حين التلاوة. لكن ينبغي للإنسان أن يعرف أن ذلك له قدر بألا يكون مشغلاً أو محرفاً للقرآن على هيئته التي أنزل عليها، كما ينبغي عدم الإفراط في جمال الصوت وحسن الأداء مما يترتب عليه البعد عن التفكر والتأمل لمضمون الآي وهو الغرض الأهم من التلاوة. فكما لا يجوز الإخلال بصحة الحروف، واستقامة الوقوف، كذلك لا يجوز المبالغة في نطق الحروف، والتكلُّف في إخراجها، حتى تصل إلى صورة مشوَّهة جافية، وذلك على النحو الذي سنوضحه في حديثنا عن أحكام التجويد ودورها في جمال الأداء وكمال الإقراء لآي الذكر الحكيم.

---

(١) تذكرة الحفاظ – شمس الدين الذهبي ٢٢/١ – دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان – ط /أولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم – أبو محمد عبد الرحمن الرازي ابن أبي حاتم – تح / أسعد محمد الطيب – ١٠/ ٣٢٤٠ – مكتبة نزار مصطفى الباز/المملكة العربية السعودية – ط /ثالثة ١٤١٩هـ، والدر المنثور في التفسير بالمأثور ٧ / ١٦٨

(٣) كلام رخيم أي رقيق، ورخمت الجارية رخامة فهي رخيمة الصوت، سهلة المنطق. لسان العرب (ر خ م).

وقد دلت الآثار المروية على أن عناية الرسول – ﷺ – بحسن الأداء وجمال القراءة لم تشغله عن الهدف الأساس من القراءة ؛ وهو الانتفاع والذكرى، فكان – ﷺ – يجمع فكره وقلبه في التلاوة ؛ للوصول من خلالها إلى أبلغ المفاهيم الدينية، والانتفاع بأقصى ما يمكن الانتفاع به من مذخور الحِكم، وكنوز الأحكام، حكى عنه ذلك أصحابه في غير موضع ؛ ومن هؤلاء أبو الدرداء – ﷺ – الذي روى: أن الرسول – ﷺ – قام في ليلة يردد آيةً واحدة حتى الصباح؛ وهي: {إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [1]، وهذا أنس بن مالك – ﷺ – الذي خدم الرسول – ﷺ – تسع سنين يُسأل عن تلاوته – ﷺ – فيقول: " كانت مدًا هكذا، ثم قرأ: { بسم الله الرحمن الرحيم}، يمدُّ {الله}، ويمد {الرحمن}، ويمد {الرحيم}. [2]

وبالتأمل والتدبر فيما ورد من الأحاديث ندرك أن الرسول – ﷺ – قد دعانا إلى تمييز القرآن الكريم عن غيره من ألوان الكلام في الأداء والتعبير، ووضعه في إطار خاص يتفق مع جلالة رسالته... ؛ نظراً لأن لتلاوة القرآن الكريم أسلوباً فريداً، ونموذجاً رائعاً جمع بين استحسان الشرع، وملائمة الطبع، بحيث يحقق الهدف المنشود من تلاوته، وهذا الأسلوب الخاص الذي تفرد به القرآن الكريم تلاوةً وأداءً يعتمد أساساً على تصحيح الحروف، وإجادة الوقوف، وتدبر المعنى، وتفهم المغزى، مع لطف الأداء الصوتي، وجمال النطق به، والترديد له.

فللنص القرآني الكريم طبيعة خاصة، وعلى قارئ القرآن أن يتحلى بالمعرفة الدقيقة للكيفية التي ينساب النص الكريم من خلالها، من أجل أن يتوصل قارئ

---

(١) سورة المائدة آية : (١١٨) .

(٢) المقدمات الأساسية في علوم القرآن – عبد الله بن يوسف بن عيسى اليعقوب صـ ٤٤٦ – مركز البحوث الإسلامية ليدز / بريطانيا – ط / أولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .

القرآن إلى الصورة الجمالية والفنية المتكاملة التي يطرحها، والتي غالباً تغيب عن أذهاننا.[1] لأن الصوت الحسن يزيد في جمال القرآن، وله أثر في نفس الإنسان كما ذكرنا. بل إن أثر الصوت الحسن بالقرآن قد يتعدى الإنسان على النحو الذي يجعل المخلوقات تميل مع القارئ، وتجيبه ويدل على ذلك قوله – ﷻ –: ﴿وسَخَّرْنا مَعَ داوُدَ الْجِبالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾[2] وذلك لطيب صوته بتلاوة كتابه الزبور، وكان إذا ترنم به تقف الطير في الهواء فتجاوبه، وترد عليه الجبال تأويباً.[3] ويقول ابن الجزري: "أخبرني جماعة من شيوخي وغيرهم أخبارًا بلغت التواتر عن شيخهم الإمام تقي الدين محمد بن أحمد الصائغ المصري – (رَحِمَهُ اللَّهُ) – وكان أستاذًا في التجويد أنه قرأ يوما في صلاة الصبح قوله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الغَائِبِينَ﴾.[4] وكرر هذه الآية فنزل طائر على رأس الشيخ يسمع قراءته حتى أكملها فنظروا إليه، فإذا هو هدهد".[5]

فللصوت الحسن لذة تكتسب بلا تعب ولا إرهاق للجسم والجوارح.[6] قال ابن العربي (ت ٥٤٣ هـ) عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلاً﴾[7]: "سمعت بمدينة السَّلام شيخ الْقُرَّاء البصريين يقرأ في دار بها الملك: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾[8]

---

(١) من أسرار البناء الداخلي في القرآن الكريم – محمد صبحي السويركي – ط /أولى ص ٣٤ .

(٢) سورة الأنبياء من الآية : (٧٩) .

(٣) إذهاب الحزن وشفاء الصدر السقيم = المنهج النبوي في التعليم القرآني ص ٢٩٩ .

(٤) سورة النمل الآية : (٢٠) .

(٥) النشر في القراءات العشر ١/ ٢١٤ .

(٦) مجلة المورد – المجلد (١٣)، العدد (٤) ص ٣ سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م) بحث عن : الغناء والموسيقى حتى نهاية العصر الأموي – د/ شحادة علي الناطور – نقلا عن كتاب : المستطرف للأبشيهي ٢/ ١٤٦.

(٧) سورة سبأ الآية : (١٠) .

(٨) سورة البروج الآية : (١) .

فكأني ما سمعتها قط حتى بلغ إلى قوله تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [1] فَكأن الْإِيوَانَ قد سقط علينا. والقلوب تخشع بالصوت الحسن كما تخضع للوجه الحَسَنِ، وما تتأثر به القلوب في التقوى فهو أعظم في الأجرِ وأقرب إلى لين القلوب وذهاب القسوة منها... والأصوات الحسنة نعمة من الله تعالى وزيادة في الخلق ومنّة، وأحق ما لبست هذه الحُلّة النفيسة والموهبة الكريمة كتاب الله.... ".[2]

لكن مما ينبغي الوقوف عنده أن تحلية القراءة، وتزيين التلاوة بالصوت الحسن، والأداء الأغنِّ الجميل من مكملات التلاوة أو الترتيل ؛ لأن عماد الترتيل المطلوب في قراءة كتاب الله – ﷻ – إنما هو تجويد الحروف، ومعرفة الوقوف – (فالقراءة المجوَّدَة تجعل السامع لآي الذكر الحكيم يلتذُّ بتلاوته، والقلوب تخشع عند قراءته) – على أن الاقتصار على هذه المكملات، وحصر الاهتمام في استهواء القلوب والأسماع بجمال النبرات، وتناسُق الألحان، مع صرف العناية عن الهدف الأوَّل من الترتيل: وهو الإدراك الواعي، والفهم الناضج لما يشتمل عليه القرآن من حِكم وأحكام، ومعان وآداب، وعِبر ومواعظ، يذهب بالفائدة المرجوّة من الترتيل، ويُضحِّي بالكثير من أجل القليل، ويقصد المعنى حفاظًا على صورة المبنى، وهذا خروج عن الجادَّة المرسومة لتحديد معنى الترتيل الذي اختص به القرآن، وتميز به في تلاوته عما عداه. قال محمد بن كعب القُرَظي: " لأن أقرأ في ليلتي حتى أصبح: " إذا زلزلت الأرض "، و" القارعة " لا أزيد عليهما، وأتردد فيهما،

---

(١) سورة البروج من الآية : (١٦).

(٢) أحكام القرآن – أبو بكر بن العربي– تح / محمد عبد القادر عطا ٤ / ٥ –دار الكتب العلمية / بيروت– ط / ثالثة ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م

وأتفكر أحب إلي من أن أهـذَّ القرآن هذًّا ". [1] أي: أُسرع فيه إسراعًا ليس فيه شيء مما ذكر.

ومعنى ذلك: أن إجادة الترتيل ليس لها حد تقف عنده، وأنها قابلة للتطوير إلى الحد الذي لا يفسد المبنى، ولا يلهي عن المعنى. ومن هنا نعلم أن حسن الأداء – وهو جزء من دراسة الأصوات وطرق أدائها – لا يتأتى إلا باتباع سنن أهل اللغة في النطق، والاهتمام بالجانب التطبيقي، والتعود على مجاراة الفصحاء، والسماع للقراء المجودين. فالقراءات التي نسمعها من القراء من وقف، ومد، وسكت، ومدود مختلفة هي التنغيم. هذه الجوانب المشرقة في تراثنا يجب أن نضع أيدينا عليها؛ لأن حسن الأداء ووضوح المعاني من أهم ما سعى إليه العلماء.

والفرق بين حسن الأداء وحسن الصوت في القرآن الكريم: أن الهدف من تعلّم حسن الأداء هو العمل بأقوال الرّسول بتحسين الأداء لنصل إلى درجة الخشوع والتّأمّل في الآيات عند سماعها بأداء يريح القلب ويطرب الأذن ويسعد السّامع، فالهدف بالتالي هو حُسن الأداء وليس فن الغناء ؛ لأن حسن الأداء فرض في القراءة، ويجب على القارئ أن يتلو القرآن حق تلاوته صيانة للقرآن عن أن يجد اللحن والتغيير إليه سبيلا على أن العلماء قد اختلفوا في وجوب حسن الأداء في القرآن فبعضهم ذهب إلى أن ذلك مقصور على ما يلزم المكلف قراءته في المفترضات، فإن تجويد اللفظ وتقويم الحروف وحسن الأداء واجب فيه فحسب، وذهب الآخرون إلى أن ذلك واجب على كل من قرأ شيئًا من القرآن كيفما كان ؛ لأنه لا رخصة في تغيير اللفظ بالقرآن وتعويجه واتخاذ اللحن سبيلاً إليه إلا عند الضرورة قال اللَّه تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾. وهذا الخلاف على الوجه

(١) النشر في القراءات العشر ١/ ٢٠٩.

الذي ذكره غريب، والمذهب الثاني هو الصحيح، بل الصواب على ما قدمناه، وكذا ذكره الإمام الحجة أبو الفضل الرازي في تجويده وصوب ما صوبناه واللَّه أعلم.[1] أما حسن الصوت فهو من أحد وسائل حسن الأداء.

تعريف جمال الأداء :

الجمال لغة: الجمال مصدر الجميل، والفعل جَمُل، قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾[2] بمعنى : البهاء والحسن.[3] واصطلاحاً هو: ما يثير فينا إحساساً بالانتظام والتناغم والكمال، وقد يكون ذلك الجمال في مشهد من مشاهد الطبيعة، أو في أثر فني من صنع الإنسان ". [4]

والمقصود بجمال الأداء في القرآن الكريم هو: توازن الصوت وتناغمه وتوافق طبقته طبقاً للمقام والمعنى مع مراعاة أحكام التجويد.

والناس عامة والقراء خاصة في جمال الأداء وحسن الصوت متفاوتون ويتفاضلون، وقد كان أصحاب النبي – ﷺ – يتفاضلون في حسن تغنيهم بالقرآن، ويثني النبي – ﷺ – عليهم في كل ذلك – كما سبق –... وقد عدوا من حكم تلاوة النبي – ﷺ – على أبي " أن يتعلم أبي ألفاظه، وصيغة أدائه، ومواضع الوقوف، وصنع النغم في نغمات القرآن على أسلوب ألفه الشرع وقدره بخلاف ما سواه من النغم المستعمل في غيره ". [5]

---

(١) السابق ١/ ٢١١ ، ٢١٢ .

(٢) سورة النحل الآية (٦) .

(٣) لسان العرب (ج م ل).

(٤) جماليات الإيقاع الصوتي في لغة القرآن الكريم – ماجستير بكلية الآداب واللغات / جامعة محمد بسكرة في الجزائر للباحث / محمد الصغير ميسة ص ٩ سنة ٢٠١٢م – نقلا عن: المعجم الأدبي – جبور عبدالنور ص ٨٥ – دار العلم للملايين /بيروت ١٩٨٤م .

(٥) التغني بالقرآن – لبيب السعيد ص ١٠ – الهيئة العامة للتأليف والنشر ١٩٧٠م .

فالاختلاف في جمال الأصوات البشرية وحسن الأداء مسألة طبعية وقد وضح ذلك الإمام البخاري في قوله: " بين النبي – ﷺ – أن أصوات الخلق وقراءاتهم ودراستهم وتعليمهم وألسنتهم مختلفة بعضها أحسن وأزين وأحلى وأصوت وأرتل وألحن وأعلى وأخف وأغض وأخشع. وقال: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْواتُ لِلرَّحْمنِ فَلا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً﴾[1] وأجهر وأخفى وأمهر وأمد وألين وأخفض من بعض ".[2]

وهنا نلحظ معلماً مهماً هو أن النبي – ﷺ – علمهم تقديم حسن الصوت في الأذان فأحرى أن يكون ذاك في القرآن. فعن عبد اللّه بن زيد قال: لما أصبحنا أتينا رسول اللّه – ﷺ – فأخبرته بالرؤيا فقال: " إن هذه الرؤيا حق فقم مع بلال فإنه أندى أو أمد صوتاً منك فألق عليه ما قيل لك، وليناد بذلك ".[3] و(أندى) أصله من الندى أي الرطوبة يقال: صوت ندي أي رفيع، واستعارة الندى للصوت من حيث إن من تكثر رطوبة فمه حسن كلامه". فأندى: أي أرفع وأعلى، وقيل: أحسن وأعذب، وقيل: أبعد. فالأحسن أن يراد بـ أندى ههنا: أحسن وأعذب. ففي الحديث دليل على اتخاذ المؤذن حسن الصوت... فإذا كان ذلك كذلك في الأذان، فكيف به في القرآن؟ . وكان الصحابة – رضي اللّه عنهم – يلتمسون حسن الصوت بالقرآن فعن عمر – ﷺ – أنه قال لرجل: اقرأ سورة الحجر. قال: أو ليست معك يا أمير المؤمنين؟ قال: أما بمثل صوتك فلا ".[4]

---

(١) سورة طه الآية : (١٠٨)

(٢) خلق أفعال العباد – أبو عبد الله بن المغيرة البخاري– تح د / عبد الرحمن عميرة ص ٧٣ – دار المعارف السعودية / الرياض .

(٣) سنن الترمذي – الترمذي – تح / أحمد محمد شاكر، وآخرين – (باب ما جاء في بدء الأذانِ) – حديث رقم (١٨٩) – ٣٥٨/١ – مصطفى البابي الحلبي / مصر– ط /ثانية ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م .

(٤) إذهاب الحزن و شفاء الصدر السقيم ص ٢٨٣ .

ولا أدل على أهمية جمال الصوت في إبراز حسن الأداء والتأثر به مما ورد في الخبر: " ليس في خلق الله – تعالى – أحسن صوتاً من إسرافيل، فإذا أخذ في السماع قطع على أهل السموات صلاتهم وتسبيحهم ".[1]

وبعد فإذا كان لجمال الأداء – وحسن الصوت كأحد العوامل البارزة في جمال الأداء – هذا الأثر الذي ذكر في نفوس السامعين فما عوامله أو مقوماته؟

يرجع جمال الأداء لآي الذكر الحكيم إلى عوامل متنوعة منها ما يرتبط بالقارئ أو المرتل ويشمل ذلك العوامل الفسيولوجية (العضوية)، والعوامل الفيزيائية (الطيفية)، ومنها ما يرتبط بلغة القرآن الكريم خاصة وبطريقة ترتيله. وتفصيل ذلك في المبحثين التاليين:

***

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) – الحسين البغوي – تح / عبد الرزاق المهدي ٣/ ٥٧٢ – دار إحياء التراث العربي / بيروت – ط /أولى ١٤٢٠ه.

المبحث الثاني

عوامل جمال الأداء المرتبطة بالقارئ أو المرتل لآي الذكر الحكيم

تصدر الأصوات البشرية المكونة للكلمات نتيجة لعمل وتعاون أجهزة وأعضاء الجسم المختلفة من خلال نظام فسيولوجي (عضوي) واحد عند جميع البشر. وعلى الرغم من أن الجهاز النطقي للإنسان متحد ولا يختلف باختلاف الأشخاص أو اللغات إلا أن نطق الأصوات يختلف تبعاً لاختلاف عمل هذه الأعضاء.[1]

ومن المقرر – أيضاً – أن أعضاء النطق في الإنسان في تطور طبيعي مطرد في بنيتها واستعدادها، ومنهج أدائها لوظائفها. فحناجرنا وحبالنا الصوتية وألسنتا وحلوقنا وسائر أعضاء نطقنا تختلف عما كانت عليه عند آبائنا الأولين، إن لم يكن في بنيتها الطبيعية، فعلى الأقل في استعدادها، بل إنها لتختلف عما كانت عليه عند آبائنا الأقربين، غير أن هذا التطور يسير ببطء وتدرج، ولذلك لا يبدو أثره بشكل واضح إلّا بعد زمن طويل. فأعضاء النطق تختلف في بنيتها واستعدادها ومنهج تطورها تبعاً لاختلاف الشعوب، وتنوع الخواص الطبيعية المزود بها كل شعب، والتي تنتقل عن طريق الوراثة من السلف إلى الخلف.[2]

فالشعوب البشرية قد اختلفت فيما بينها في استخدام إمكانات الجهاز النطقي استخداماً كاملاً، وهذا هو السبب في أن اللغات الإنسانية تتفق فيما بينها في بعض

---

(١) دراسات في علم اللغة – د/ كمال بشر ص ١٩٤ ـ دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع .

(٢) علم اللغة – د/ علي عبد الواحد وافي ص ٢٨٩ : ٢٩٣ بتصرف – نهضة مصر – ط/أولى .

الأصوات، وتختلف في بعضها الآخر، وذلك تبعاً لاختلافها في استخدام إمكانات الجهاز النطقي المتعددة .... [1]

إلا أن هذا الاختلاف لا ينحصر في كونه اختلافاً بين اللغات ؛ حيث نجد عند مستخدمي اللغة الواحدة فروقاً جوهرية لاسيما فيما يتصل بالجانب الأدائي حسناً وجمالاً أو قبحاً وسوءا وانحرافاً عن المضمون، ويبدو ذلك أكثر وضوحاً في تلاوة آي الذكر الحكيم واختلاف الأداء من قارئ لآخر، مما يجعلنا نتأثر بقراءة قارئ فنبكي، أو نفرح، أو نشتاق إلى ما يسوقه البيان القرآني من البشرى تأثراً بجمال الأداء وما يتضمنه من مدلولات معبرة موحية حسب المقام وطريقة الأداء وحسن الصوت تارة، أو لا نشعر بشيء من ذلك تارة ثانية ؛ لأن القارئ لآي الذكر الحكيم ليس لديه من مقومات الأداء الجميل والصوت الحسن ما يجعله يثير فينا إحساساً ما. وإذا كان الأمر كذلك فما الذي يجعلنا نتأثر بقراءة قارئ معين لآي الذكر الحكيم، ولا نتأثر بقراءة قارئ آخر؟

إن الإجابة على هذا السؤال تجعلنا نبحث عن الفروق الصوتية بين القراء سواء أكانت هذه الفروق تعود في أصلها إلى الاختلافات الفسيولوجية (العضوية) بين القراء، أم الاختلافات الفيزيائية (الطيفية) في الصوت الصادر عن القراء، أم غير ذلك. وفيما يلي تفصيل لهذه العوامل :

أولا: ـ العوامل الفسيولوجية (العضوية) :

للعوامل الفسيولوجية أو العضوية دور رئيس في الإحساس بجمال الأداء لآي الذكر الحكيم واختلاف الصوت الصادر عنها جمالاً وتأثيرا في نفوس المستمعين، أو قبحاً

---

(١) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي – د/ رمضان عبد التواب صـ ٢٩ – الخانجي/القاهرة – ط/ثالثة ١٤١٧هـ/١٩٩٧م

وعدم تأثر بالأداء ؛ لكونه صادراً عن صوت لا يملك من مقومات الجمال ما يجعله يثير فينا هذا الإحساس ولا يثير فينا انتباهاً نحو التأمل والتفكر فيما تتضمنه الآيات من نعيم أو عذاب، ووعد أو عيد، وحكم وعبر، وزجر ونهي، أو غير ذلك. وفيما يلي تفصيل لهذه العوامل الفسيولوجية:

أ: ـ الاختلاف العضوي في أعضاء النطق بين قارئ وآخر :

يقول إخوان الصفا: " اعلم أن اختلاف الناس في كلامهم ولغاتهم على حسب اختلافهم في أجسادهم وتركيباتهم ". [1] وقال أحد الباحثين المحدثين: " السبب في اختلاف نوع الصوت الاختلاف العضوي بين أعضاء النطق عند شخص وآخر، فقد يكون هذا واسع الفم أو ضيق الحنجرة أو مقطوع الشفتين ". [2]

وقد بين الجاحظ أن سعة الفم علامة على جهارة الصوت حيث قال : " وكانوا يمدحون الجهير الصوت، ويذُمُّون الضئيل الصوت ؛ ولذلك تشادقوا في الكلام، ومدحوا سَعَة الفم، وذمُّوا صغر الفم ". [3] ومن ذلك أيضا شكل حجرة الفم، وشكل قبة الحنك أهي عميقة محرابية أم هي مسطحة ضحلة؟ [4] وكذا الحنجرة من حيث حجمها وطبيعة أليافها العضلية لها دور رئيس في خشونة الصوت أو نعومته. فاختلاف أعضاء النطق هو الذي يحدد طبيعة الموجات الصوتية وما يترتب علي ذلك من تنوع أصوات الكلام. [5]

---

(١) البحث اللغوي عند إخوان الصفا – د/ أبو السعود الفخراني ص ٥٩ – مطبعة الأمانة ١٤١١ه / ١٩٩١م .

(٢) أصوات اللغة – د/ عبدالرحمن أيوب ص ١٥٦ – مكتبة الشباب / مصر – بدون .

(٣) البيان والتبيين ص ٧٨ ، ٧٩.

(٤) أثر هيكلة الفم في جمال الصوت. بحث في النت .

(٥) البحث اللغوي عند إخوان الصفا ص ١٢٦.

وبالنظر والتأمل في أصوات المتكلمين نجد أنها ليست على درجة واحدة ؛ لأن لكل متكلم مدى معيناً من الدرجة لا يتعداه، فكثيراً ما نسمع صوت شخص لا نعرفه فيتكون لدينا انطباع عن شخصه من خلال صوته بل ربما نتصور ملامح وجهه وبناء جسمه حيث إن لكل صوت طابعه المميز الذي يحدده بناء الرأس والعنق والوجه وطريقة اهتزاز حبليه الصوتيين وطريقة كلامه، وتبعاً لذلك نجد فروقاً صوتية في درجة الصوت تختلف باختلاف القراء.

فالأجسام تختلف من حيث تردد الصوت الناتج عن اهتزازها تبعاً لتركيبها الفيزيائي وللطريقة التي تثار بها، ويظل تردد الصوت ثابتاً مهما اختلف الاتساع.[1] وهذا التذبذب يختلف باختلاف وزن الجسم، وطوله... فالجسم الثقيل يتذبذب تذبذباً أبطأ من تذبذب الجسم الخفيف.[2]

وهذا يدل على أن بين الجسم ووزنه وبين الصوت الصادر عنه علاقة عكسية، حيث إن الجسم الثقيل وإن كثر به هواء الشهيق والزفير يتذبذب أبطأ من الجسم الخفيف، فينتج عن ذلك صوت جهوري غليظ وخشن ؛ لقلة عدد الذبذبات الصادرة عنه، وضعف الدفع الهوائي في القناة الصوتية ؛ بسبب كبر حجم الرئة وطول الحلق وسعة المناخر والأشداق واتساع حجرات الرنين ؛ حيث ينتج عن ذلك اتساع مدى الموجة الصوتية التي تشكل الصوت. والمدى يتسع ويضيق تبعاً لقوة وكثافة الجسم المهتز أو المنتج للصوت، خلافاً للجسم الخفيف فإنه يكون أكثر ضغطاً ودفعاً للهواء فيكثر بذلك الدفع

---

(١) دراسة السمع والكلام (صوتيات اللغة من الإنتاج إلى الإدراك) – د/ سعد عبدالعزيز مصلوح صـ ٣١ – عالم الكتب / القاهرة ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م .

(٢) علم الأصوات اللغوية (الفونتيكا) – د/ عصام نور الدين صـ ١٠١ – دار الفكر اللبناني / بيروت – ط/ أولى ١٩٩٢م .

الهوائي عدد الذبذبات الصادرة عنه بسبب صغر حجم الرئة وقصر الحلق وضيق المناخر والأشداق وصغر حجرات الرنين وينتج عن ذلك صوت حاد وناعم.

وقد بين إخوان الصفا العلاقة بين الجسم والصوت الصادر عنه فذكروا أن عظم الجسم المصوت يؤدي إلى عظم الصوت الصادر عنه وضخامته، فذكروا في رسائلهم نوعاً من الأصوات وصفوه بالكبر في مقابل الصغر، وعقدوا فصلاً في رسائلهم بينوا فيه اختلاف الأصوات في الصغر والكبر، وكبر الصوت وعظمه في نظرهم يجمع بين جهارته وشدته ومداه من ناحية، وبين غلظته وارتفاع نغمته من ناحية أخرى ؛ ولذلك نراهم يذكرون أن العلة في عظم الصوت إنما ترجع إلى عظم الجسم المصوت وشدة صدمه الهواء وكثرة تموجه في الجهات. وقد ضرب الإخوان أمثلة توضح كبر الصوت بمفهومه العام منها قولهم: " فأما الكبير والصغير من الأصوات فإن المثال فيها أصوات الطبول الكبار والصغار، وذلك أن أصوات طبول المواكب إذا أضيفت إلى أصوات اللهو كانت كبيرة، وإذا أضيفت إلى أصوات الكوس – (طبل عظيم يضرب في ثغور خراسان عند النفير يسمع صوته من فراغ) – كانت صغيرة، وإذا أضيف أصوات طبول الكوس إلى صوت الرعد كان صغيرا، وعلى هذا المثال تعتبر الأصوات في الصغر والكبر بإضافة بعضها إلى بعض.[1]

وأما بالنسبة لصوت الإنسان فقد ربطوا بين كبره وبعد مداه وبين كبر الرئة وطول الحلاقيم وسعة المناخر والأشداق، وهذا يعنى بالتعبير الحديث أنهم أدركوا المترابطات الفسيولوجية والفيزيائية والسمعية في إحساس الأذن بعظم الصوت. وكبر الصوت بما

(١) البحث اللغوي عند إخوان الصفا ص ١٣٢، ١٣٣.

اشتمل عليه من جهارة وشدة وبعد مدى وغلظة وارتفاع نغمة يتميز بالوضوح السمعي بدرجة كبيرة...".[1]

حيث يترتب على هذا العامل اختلاف حجم الوترين الصوتيين سمكاً وطولاً ؛ لأن عدد ذبذبات الوترين الطويلين الضخمين أقل كثيراً، ويترتب على هذا عمق وضخامة في الصوت الصادر عنهما. كما يترتب عليه طول القصبة الهوائية وعمقها أو قصرها تبعاً لحجم الرقبة وما ينتج عن ذلك من حدة الصوت أو ثقله وغلظته أو التحكم في نبرته عن طريق التحكم في عضلاتها. فالقصبة الهوائية فراغ يستغل في تضخيم الصوت ومنحه صفته. فطول القصبة الهوائية وعمقها يؤدي إلى وجود صوت غليظ مع نفس طويل على النحو الذي نجده عند الشيخ الطبلاوي، وطولها مع رفعها ينتج عنه طول النفس مع حدة ما على النحو الذي نجده عند الشيخين / المنشاوي وعبدالباسط بتفاوت بينهما، وقصر القصبة ورفعها ينتج عنه حدة الصوت وقصر النفس، وقصرها مع عمقها ينتج عنه قصر النفس وضخامة الصوت. "فكلما كبر حجم الرئتين وطال الحلقوم واتسع، واتسعت المناخير والأشداق، وانفرج الفكان كانت الأصوات الصادرة عنها جهيرة، وزاد الصوت على قدر قوته وضعفه ؛ لأنها تستنشق هواء كثيراً وترسله بشدة.[2] فالطاقة الكبرى تنتج سعة ذبذبة أكبر وصوتاً أعلى وأقوى، والحركة القوية تؤدي إلى اضطراب قوي في الهواء.[3]

وكلما كبرت الرئتان نظراً لطول الجسم وضخامته قلت سعتهما التخزينية للهواء الفاعل للصوت، وقلت قوة الضغط أسفل الحنجرة، وضعف بالتالي الصوت الناتج عنهما،

---

(١) السابق نفسه .

(٢) البحث اللغوي عند إخوان الصفا ص ١٢٩ بتصرف .

(٣) علم الأصوات اللغوية (الفونتيكا) ص ١١٢ بتصرف .

وقصر نفس القارئ، وقل الضغط أسفل الحنجرة، والعكس صحيح فكلما اختزنت الرئتان كمية أكبر من الهواء كان لدى الشخص نفس طويل، وصوت قوي، وقوي ضغط الهواء أسفل الحنجرة ؛ لذلك نرى القراء والمرتلين والخطباء يشعرون بالراحة بعد أن يعودوا إلى حالتهم الطبيعية، وهو ما سنوضحه في حديثنا عن طول النفس ودوره في جمال الأداء لآي الذكر الحكيم. لكن هذا الأمر لا ينبغي أن يؤخذ على إطلاقه ؛ لأن القارئ يستطيع عن طريق التمرين والتدريب وأمور أخرى أن يعوض ذلك ويطول نفسه خاصة إذا تميز بطول الرقبة كما هو الحال عند الشيخ الطبلاوي. وقد بين إخوان الصفا دور هذا الاختلاف الفسيولوجي في حدة الصوت وغلظه فقالوا: " أما أصوات الحيوانات ذوات الرئة واختلاف أنواعها وفنون نغماتها فهي بحسب طول أعناقها وقصرها، وسعة حلاقيمها وتركيب حناجرها، وشدة استنشاقها الهواء، وقوة إرسال أنفاسها من أفواهها ومناخرها ".[1]

كما يترتب على هذا الاختلاف الفسيولوجي (العضوي) اختلاف حجم صناديق الرنين وحجم فتحاتها. إذ يتسم الصوت الغليظ أو الخشن – (عارضاً كان لمرض أو نحوه، أو صفة ملازمة لضخامة الجسم) – بأنه غير سار، وأنه عادة ما يكون مرتفعاً في شدته ومنخفضاً في طبقته.[2] وليس معنى ذلك أن صوت الشيخ الطبلاوي ؛ لضخامة جسمه لم يكن جميلاً أو مؤثراً ؛ لأن هذا العامل الفسيولوجي ليس هو العامل الوحيد في جمال الصوت خاصة وجمال الأداء عامة بل هو أحد العوامل وليس أهمها على الإطلاق ؛ لأن القارئ الماهر أو الجيد يستطيع بالدربة والمران التحكم في نبرات صوته حدة تارة

(١) البحث اللغوي عند إخوان الصفا ص ١٣٠.

(٢) اضطرابات الصوت – د / إيهاب الببلاوي – نقلا عن منتدى أطفال الخليج ذوي الاحتياجات الخاصة.

وغلظة تارة ثانية وهو ما سنتحدث عنه تفصيلا عند حديثنا عن التحكم في درجة الصوت ونبراته كأحد العوامل الفيزيائية التي تساعد على جمال الأداء وتوظيفه حسب مدلول الآية أو الغرض منها، كما أن هناك عوامل أخرى كثيرة – غير هذا العامل – فسيولوجية وغير فسيولوجية تكون سبباً في قوة الصوت وفي جمال الأداء وهو الأمر الذي بني عليه البحث كله، ومن هذه العوامل الفسيولوجية سعة واختلاف شكل حجرة الفم، وبالتالي شكل قبة الحنك عمقاً وارتفاعاً أهي عميقة محرابية أم هي مسطحة ضحلة؟ وهو الأمر الذي أعطى لصوت الشيخ الطبلاوي قوة وجمالاً عوضه عما افتقده بالنسبة للشيخين عبدالباسط والمنشاوي. فالشخص الذي لديه قبة حنك عميقة – كالشيخ الطبلاوي – غالباً ما يكون لديه صوت جميل، وغير ذلك مما يؤثر في اختلاف الصوت الصادر عن الأجسام المختلفة بصورة واضحة قوة أو ضعفاً، حدة ونعومة أو غلظة وخشونة، جمالاً أو عكسه. وقد مدح العرب سعة الفم بل عدوه من مقومات الصوت الجميل؛ لما ينتج عنه من جهارة وقوة في الصوت وفصاحة في المنطق وهذا ما وضحه الجاحظ كما سبق.

فلهذه الصفة – (سعة الفم) – وما ينتج عنها من جهارة الصوت دور رئيس في جمال الأداء عند قراء القرآن الكريم وغيرهم؛ وذلك لما لها من أثر سمعي محبب في أذن السامع. وقد عد الجاحظ الجهارة في الصوت أو المنطق من وسائل البيان وجمال الأداء؛ وذلك لما يترتب عليها من الحلاوة والطلاوة في الأداء فهي ـ (الجهارة) ـ عنده من الصفات التي أكبر ما تستمال بها القلوب وتنثني بسببها الأعناق وتزين به المعاني ".[1]

(١) البيان والتبيين ص ٢٣ .

وسنتناول الحديث عن هذا العامل (جهارة الصوت وقوته) تفصيلاً كأحد العوامل المهمة في جمال الأداء في موضعه من البحث إن شاء الله تعالى.

ولهذه الصفة – (سعة الفم) – الناتجة عن الاختلاف الفسيولوجي تميز صوت الشيخ الطبلاوي وأداؤه بأنه كان أكثر جهارة وشدة وبعد مدى وغلظة وارتفاع نغمة أو أوضح سمعاً منهما. وقد تحدث أحد الباحثين المحدثين عن أثر هيكلية الفم كواحد من العوامل الفسيولوجية على جمال الصوت فقال: " تتوافر لدى أصحاب الأصوات الجميلة عادة عوامل تعطي أصواتهم قوةً وجمالاً وطلاوة منها: قبة الحنك أو سقف الحلق لديهم عالية وعميقة وتسمى بالمحرابية (أي نصف دائرية). وتتشكل قبة الحنك الأمامية الصلبة من النتوئين الحنكيين لعظمي الفك العلوي، وهي تأخذ شكلاً مقعراً بالاتجاهين الأمامي والجانبي، ويحيطها من الأمام الأسنان العلوية، وتنتهي في الخلف بقسم يسمى شراع الحنك .... وما يهمنا – هنا – هو شكل حجرة الفم وبالتالي شكل قبة الحنك أهي عميقة محرابية أم هي مسطحة ضحلة؟ فالشخص الذي لديه قبة حنك عميقة غالباً ما يكون لديه صوت جميل، وعندما يفقد أسنانه لاسيما الأمامية فإن هذا الصوت سوف يتغير وسيحدث تشويه لهذا الصوت الجميل وخاصة في الأحرف السينية... إذاً المطلوب هو ثبات الجهاز العلوي وعدم قلقلته ؛ لأن أي حركة تسبب إحراجاً وضيقاً للمرتل... عندما يضطر أحياناً لفتح فمه بشكل واسع للتعبير، أو ليعطي صوته ونبراته جمالاً وقوة وجذباً للانتباه ". [1]

ونتيجة لهذا الاختلاف التكويني لأعضاء النطق بين القراء وغيرهم تفاوت القراء في جمال الأداء الناتج عن حسن الصوت ؛ لذلك يوصف الصوت حال الأداء بأوصاف عدة

(١) أثر هيكلة الفم في جمال الصوت – بحث في النت .

أهمها: الرخيم، والندي وهما صفتا جمال ومدح، وقد يوصف الصوت بأنه خشن، أو مظلم، أو رتيب... إلخ وهذه صفات ذم.

ب): ـ حسن استغلال الجهاز الصوتي ومرونة أعضائه عند بعض القراء:

لا يختلف جهاز النطق عند الإنسان في جملته أو تفصيله من أمة إلى أخرى، أو من فرد إلى آخر، ما لم يكن به عيب خلقي عند هذا أو ذاك. إنما الفرق بين الأمم في هذا المجال يرجع إلى طريقة توظيف هذا الجهاز واستغلاله. وأسلوب هذا التوظيف وطريقة هذا الاستغلال يؤديان حتماً إلى فروق أدائية مميزة، تختلف في القلة والكثرة والصفة بحسب الأحوال..... ولكن مما لا شك فيه أن نتائج الاختلاف في توظيف هذا الجهاز في النطق يؤدي – بالضرورة – إلى حصيلة من الملامح الصوتية التي تمتاز بها اللغات بعضها من بعض.[1] بل تتميز عن طريقها أصوات الأشخاص العاملين في مجال واحد بعضها عن بعض ك اختلاف الأصوات من حيث جمال الصوت أو الأداء بعناصره المختلفة التي تنتج أساساً عن طريق أعضاء النطق وحسن استغلالها، أو العكس بين قراء القرآن الكريم وغيرهم، وهذا ما قصدنا إلى إثباته في هذا المجال.

ولهذا السبب – (الاختلاف في استخدام إمكانات الجهاز النطقي استخداماً كاملاً وبطرق معينة) – اختلفت طرق الأداء لآي الذكر الحكيم وكيفيته بين القراء وانعكس ذلك بصورة واضحة على جمال الصوت وجمال الأداء تبعاً للمقام وما يتطلبه من طرائق نطقية معينة تنسجم مع الغرض المحدث عنه وهذا ما سنوضحه تفصيلاً عند حديثنا عن التلوين الصوتي وأثره في جمال الأداء وذلك عن طريق التنغيم تارة، ومراعاة الأغراض أو السياقات القرآنية ومعرفة طرق أدائها تارة ثانية.

---

(١) دراسات في علم اللغة – د/ كمال بشر ص ١٩٤.

وقد كان ذلك الاختلاف في استخدام إمكانات الجهاز النطقي سبباً رئيساً في أن يتسم أداء القارئ لآي الذكر الحكيم بالجمال، حيث توفر للقارئ ولطريقة أدائه ما يجعل للقرآن الكريم نغمة أدائية خاصة جذبت الأسماع وهيأت القلوب والعقول للتجاوب معها، فسامعه لا يسأم ولا يمل ؛ لأنه أي القارئ يتنقل فيه دائماً بين طرق أدائية متنوعة، وأنغام متجددة على أوضاع مختلفة يهز كل وضع منها أوتار القلوب وأعصاب الأفئدة. وهذا الجمال الصوتي أو النظام التوقيعي الناتج عن حسن استغلال أو توظيف الجهاز الصوتي ومرونة أعضائه هو أول شيء أحسته الآذان العربية أيام نزول القرآن ولم تكن عهدت مثله فيما عرفت من منثور الكلام سواء أكان مرسلاً أم مسجوعاً.

فحسن استخدام الجهاز الصوتي إذن يعد أحد العوامل المهمة في جمال الأداء لآي الذكر الحكيم ؛ لأن سوء استخدام جهاز الصوت يؤدي إلى حدوث بعض الاضطرابات في الصوت الصادر عن هذا الجهاز. إذ قد ترجع اضطرابات الصوت إلى كثير من الأسباب غير العضوية، منها ما يتعلق بسوء استخدام جهاز الصوت، ومنها ما يتعلق بالاضطرابات الانفعالية لدى الفرد، ومنها ما يتعلق بالعادات غير السليمة في استخدام الصوت. ويمكن أن يتخذ سوء استخدام الصوت أشكالاً متعددة منها : السرعة المفرطة في الكلام، والكلام بمستوى غير عادي من حيث طبقة الصوت، والكلام بصوت مرتفع جداً وبصورة لا تناسب قدرة الجهاز الصوتي، والكلام المصحوب بالتوتر الشديد. وجميع ذلك يمكن أن يلحق الضرر بالحنجرة والأحبال الصوتية.[1]

أما المرونة الصوتية فهي: عكس الثقل الصوتي. فالأصوات الثقيلة يصعب عليها التنقل بسلاسة بين الطبقات الصوتية، بينما الأصوات المرنة تنتقل بسلاسة بين

(١) اضطرابات الصوت – مقال في النت لـ الزريقات ص ٢٠٩ : ٢١١ عام ٢٠٠٥م .

الطبقات. ولا شك أن قدرة القارئ لآي الذكر الحكيم على التنقل بين الطبقات بسلاسة تحقق جمالاً صوتياً وأدائياً متميزاً لا يستطيع كل قارئ أن يؤديه بنفس الطريقة إلا عن طريق التمرين والمشافهة أو المحاكاة والتقليد لمن أتقن وأجاد هذا التنوع بين الطبقات أو الانتقال من طبقة إلى أخرى مناسبة لها متناغمة مع المقام وهو ما سنتحدث عنه تفصيلا في العوامل الفيزيائية التي تكسب الأداء جمالاً ورونقاً وتمنحه حلاوة وطلاوة يستمتع بها من يتأمل أو يتخصص في معرفة طرق الأداء.

فالمراد من المرونة أو الصوت المرن: قابليّته للتحرك المنسجم والمنسق بين الدرجات وانتقاله من درجة إلى درجة، وهي من الخصائص الذاتية في الأوتار الصوتية التي تسمح للإنسان الحركة والانتقال بين الدرجات والطبقات في صوته، وأن يغيّر الصّوت من حالة إلى حالة، وكلّما ازداد الصّوت مرونة وتحرّكًا تكثر الانتقالات والتغييرات بين الدرجات والفواصل الصوتية بسرعة في أقل زمان وبأحسن كيفية يبتغيها الإنسان، فإذا فقد الصوت هذه الخاصية المهمة يخرج من إطار الأصوات الحسنة والجميلة مع وجود سائر الصفات المحسنة والخصائص الأخرى، خاصة عند القرَّاء. من جانب آخر لا يتمكن القارئ في التنقل الصحيح بين الطبقات المتدرجة والمقامات إذا لم تتوفر عنده مرونة الصوت كما ينبغي . فبالنتيجة للحصول على المزيد من الانسجام والسرعة أثناء التلاوة، خاصة لقراءة التدوير مع وحدة الايقاع والدمج بين النغمات، ينبغي أن نحصل على صوت مرن مهما استطعنا. فهذه الجوهرة الأصيلة - (الصوت ومرونته) – من مواهب الله – ﷻ – ومن أحسن النعم التي يمنحها لمن يشاء من عباده، فمع الإقرار بهذه النعمة لا ننسى أثر التمرين والتدريبات الصحيحة في تقوية الصوت وتحسينه ومرونته، خاصة مع بروز صفاته الجميلة والمرغوبة لدى المستمعين.

ويعد الترجيع والنبرات الصوتية المنتظمة من الأصوات المرنة إذ يتم عن طريق الحركة السريعة أو الانتقال المكرر السريع بين الدرجة الأصلية وأعلاها بما يناسب المقام، فيحصل ميزان الترجيع بواسطة مهارة الشخص في تغيير هذه الفواصل القريبة بأسرع ما يستطيع في فاصلة زمنية قليلة جداً، حسب اختيار وذوق الأشخاص في انتخاب نوعية الترجيع كمًا وكيفًا.

فالصوت المرن بحسب نبراته يكثر فيه الترجيع والحركة ؛ لأنه مهيأ لهذه الحركة والتغييرات السريعة في فواصله، فلو علمنا أن صوتًا فيه مرونة مقدارًا ما، فعلينا أن نبادر بالتمرين والتدريب الصحيح ؛ لنقوي هذه الخاصية الجميلة لنكثر فيه النبرات والترجيعات المنسجمة وفقاً للأصول والضوابط التمرينية في الصوت والمقامات. ومن أهم القابليات المتوفرة في الصوت ترجيعاً مناسبة المقال والمقام، كما أنها العامل الرئيس لتحسين الصوت في التلاوة والدعاء ومن أبرز خصائصه ".[1]

وأعضاء النطق وإن كانت تختلف في بنيتها واستعدادها ومنهج تطورها وفي استخدامها وعدد الأصوات التي ينتج عنها باختلاف الشعوب، فإنها تختلف كذلك في مرونتها تبعاً لاختلاف الشعوب وتنوع الخواص الطبيعية المزود بها كل شعب، والتي تنتقل عن طريق الوراثة من السلف إلى الخلف، كما تختلف بتقدم السن.[2] وتختلف كذلك باختلاف الأشخاص.

وتتحقق هذه المرونة الصوتية عن طريق مرونة أعضاء النطق لاسيما المتحركة منها وأهمها على النحو التالي :

---

(١) جمال التلاوة في الصوت والنغم – جمعيّة القرآن الكريم للتوجيه والإرشاد صـ ٥٢ ، ٥٣ بيروت – ط /أولى ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م .

(٢) علم اللغة – د/ وافي صـ ٢٩٣ بتصرف .

١. مرونة الحنجرة [١]:

الحنجرة هي التي تنتج معظم الطاقة الصوتية التي يستعملها الإنسان في الكلام، بل هي التي تقوم بتنظيم الهواء الذي يتدفق.[٢] يقول ابن سينا مبيناً ذلك: "لما كان الصوت من الإنسان ونحوه إنما يتم بخروج النفس بهيئة مخصوصة وجب أن تكون آلته وهي الحنجرة متصلة بأعلى مجرى النفس ليتم هناك تكون الصوت.... فلذلك الحنجرة عضو غضروفي خلق آلة للصوت".[٣]

كما أنها تمثل مصدر التردد الأساس لغالبية الأصوات اللغوية كونها تحوي الرقيقتين الصوتيتين. بينما تقوم التجاويف الثلاثة الأخرى – (الحلقي، والأنفي، والفموي) – بما تحويه من أعضاء بالتأثير على التردد الأساس الصادر عن الرقيقتين الصوتيتين فنتمكن من إخراج أصوات عديدة ومتباينة. وإن كانت هناك أصوات لغوية لا تعتمد على الرقيقتين الصوتيتين لإخراجها، وإنما تعتمد على وضع أعضاء النطق الأخرى كاللسان والشفتين التي تعترض انسياب الهواء مولدة ترددات صوتية. وهذا ما يحدث أثناء نطق الأصوات المهموسة.

كما أن للحنجرة دوراً بارزاً في التمييز بين أصوات الأشخاص، وفي التعبير عن شخصية كل منهم، وعن مستواه الثقافي والاجتماعي، وكذلك التعبير عن المشاعر

---

(١) تقع الحنجرة في قمة القصبة الهوائية وأسفل الفراغ الحلقي، وتشبه في شكلها وحجمها الصندوق الصغير، وهي عبارة عن صندوق غضروفي متصل بالطرف الأعلى للقصبة الهوائية، أو هي عبارة عن حجرة متسعة نوعاً ما. وهي مفتوحة من الأعلى ومن الأسفل وهذا يسمح بمرور الهواء من القصبة الهوائية إلى الحلق فالفم أو الأنف والعكس (علم الصوتيات – د/عبد الله ربيع، ود/عبد العزيز علام ص ٩٠ – مكتبة الطالب الجامعي / مكة المكرمة – ط / ثانية ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).

(٢) فن الإلقاء ص ٢٨.

(٣) تشريح القانون – ابن سينا ص ١٢٢ – المكتبة الشاملة.

والانفعالات والعواطف – (ونحوها مما يثير فينا إحساساً قوياً بجمال الأداء وروعته) –، وعن موقف المتكلم من شريكه في العملية الاتصالية. وكلنا مارس تجربة سماع نغمات الاكتئاب الرتيبة، وهمسات الحب الناعمة، وصوت الغضب العالي، وكلنا تعرف على رفض المتحدث أو قبوله لفكرة ما من أدائه الصوتي لا من نص كلامه.[1]

وإذا كانت الحنجرة بالنسبة للكلام تؤدي – كما يقول أحد الباحثين – دور الآلات الموسيقية بالنسبة للغناء فتضفي عليه نغماً وتجعله مسموعاً، وتميز كذلك لغة عن أخرى عن طريق الطابع اللحني الذي تلتزم به اللغة ويختلف باختلافها، وإضافة مزيد من المعاني القاموسية إلى الجملة المنطوقة عن طريق تغيير أو تنويع المسار النغمي للجملة فيبرز المعني النحوي ويكتسب المعنى الاتصالي للجملة هل هي إخبار أو استفهام أو أمر حسب طريق الأداء؟ .[2] فإن لها دوراً بارزاً في جمال الأداء لآي الذكر الحكيم عن طريق التحكم في حركتها ومرونة عضلاتها، حيث يمكن للحنجرة أن تتحرك إلى فوق وتحت وأمام وخلف، والحركة إلى أعلى وأسفل مهمة جدًا في النطق ؛ لأنها تغير من شكل وحجم حجرة الرنين، فتؤثر على نوع الرنين الحنجري وطبيعة الصوت، حيث إن تحرك الحنجرة إلى أعلى مع بعض الأصوات يؤثر على صندوق الرنين الذي يتكون في الحلق فيقصر طوله ويصغر حجمه، كما أنها عندما تتحرك إلى أسفل مع بعض الأصوات يتغير طول الصندوق وحجمه فيزداد طوله ويكبر حجمه، وكل ذلك يؤثر بدوره على النغمة التي تمر بهذا الصندوق.[3] يقول ابن سينا مبيناً كيفية هذه التحركات للحنجرة

---

(١) دراسات صوتية ص ١٥٣، ١٥٤ بتصرف .

(٢) السابق نفسه بتصرف .

(٣) دراسة الصوت اللغوي – د / أحمد مختار عمر ص ١٠٠ – عالم الكتب / القاهرة ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م ، وعلم الصوتيات ص ٩٨.

فسيولوجياً: " والحنجرة لا بد لها من إطباق وفتح وتوسيع وتضييق... وهذه الحركات لا بد وأن تكون من الحركات الإرادية التي إنما تتم بالعضل، والعضل لا بد وأن يكون في تحريكها مستندة إلى عظم أو ما يقوم مقامه..... ولا بد أن تكون لهذه الحركات عضلات تجذب إلى فوق وإلى أسفل وإلى قدام وإلى خلف فلا بد وأن يكون لها مستند في هذه الجهات كلها ". (١)

وقد بين ابن سينا – رحمه الله – أن مرونة الحنجرة التي تتيح لها الحركة في جميع الاتجاهات ترجع إلى طبيعة تكوينها الفسيولوجي فذكر أن الحنجرة ليست شديدة اللين بحيث لا يكون لقرعها بالهواء الخارج صوت يعتد به، ولا شديدة الصلابة فيكون ما يحدث فيها من الصوت غير مستطاب. وذكر أيضا أنها لو خلقت من أجسام صلبة جداً كالعظام فإما أن تكون دقيقة فتتهيأ للانكسار بسهولة، أو لا تكون كذلك فتوجب زيادة في الثقل وغلظاً في جرم العنق لا لضرورة ؛ فلذلك وجب أن تكون مخلوقة من غضاريف لتكون متوسطة الصلابة فيكون ما يحدث فيها من الصوت لذيذاً وتكون بما فيها من اللين آمنة من الانكسار عند المصادمات التي ليست شديدة القوة وبما فيها من الصلابة معينة على قوة الصوت ". (٢)

وعلى قدر هذه المرونة في حركة الحنجرة في الاتجاهات الأربع تتوقف درجة الصوت، فكلما ازدادت مرونتها كثرت الذبذبات وازداد الصوت حدة. وعن طريق هذه المرونة – أيضاً – يمكن تصغير التجويف الحلقي أو تكبيره وذلك برفع الحنجرة أو

(١) تشريح القانون ص ١٢٥، ١٢٦ بتصرف .

(٢) تشريح القانون ص ١٢٢ بتصرف .

خفضها، أو بتضييقها بواسطة جذر اللسان. وفي كلتا الحالتين تختلف نوعية الرنين الناتج عن الصوت الصادر عن الرقيقتين الصوتيتين. [١]

ولهذه التغييرات تأثيرات كبيرة على تجويف الحلق أو البلعوم من حيث كونه واحداً من أهم تجاويف الرنين التي تتعرض لنغمة الحنجرة بالتكييف والتعديل بوسائل شتى من الترشيح والتقوية والرنين.[٢] فارتفاع الحنجرة وانخفاضها يؤثر على صندوق الرنين، مما يؤثر على النغمة المصاحبة لبعض الأصوات. [٣] أو على ما يسمى بالرنين الحنجري الذي يترتب عليه الفرق بين الأصوات الحادة والغليظة.[٤]

وهذه التحركات التي تتخذها الحنجرة بفضل مرونتها وما يتبعها من تغيرات أو تأثيرات على تجويف الحلق أو صندوق الرنين تعد أحد العوامل المهمة في جمال الأداء ؛ لما يترتب عليها من أثر واضح في تغيير نبرات الصوت، وتلوين الأداء وعدم السير فيه على نبرة أو وتيرة واحدة على طريقة الصوت الرتيب الذي يدفع إلى الملل وعدم الإنصات أو التأمل، ثم عدم الاستماع الجيد والاستمتاع بعذوبة الأداء أو التأثر به.

كما أن الحنجرة – أيضاً – بفضل مرونتها التي تتفاوت باختلاف الأشخاص – نتيجة لأسباب عدة يضيق المجال عن ذكرها – تؤدي دوراً مهماً في جمال الأداء عن طريق ما يسمى بالوحدات الصوتية الأدائية، وذلك كالتنغيم الذي تكتسب به الجملة معنى مغايراً، كمعنى الاستفهام أو الخبرية أو التعجب – (كما في قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ

---

(١) الصوتيات العربية – د/ منصور بن محمد الغامدي صـ ٤٠ – مكتبة التوبة / الرياض – ط/أولى ١٤٢١هـ /٢٠٠١م.

(٢) دراسة السمع والكلام (صوتيات اللغة من الإنتاج إلى الإدراك) ص ١٢٣.

(٣) علم اللغة العام (الأصوات) – د/ كمال بشر ص ٦٩ – دار غريب / القاهرة ٢٠٠٠م.

(٤) دراسة الصوت اللغوي ص ٨١.

فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ [1] فلا يتبين المراد من قولها: (عجوز عقيم) استفهاماً من غير أداة أو تعجباً إلا عن معرفة وإدراك طريقة الأداء الصحيحة للوحدات الصوتية الفوقطعية أو التطريزية ولا يكون ذلك إلا بطريقة أدائية تنغيمية معينة. وهو ما سنوضحه تفصيلاً في موطنه من البحث إن شاء الله تعالى؛ لأن قولها يحتمل الأمرين) – فالمسار النغمي للجملة هو الذي يحدد المعنى المراد، وقد ينبئ في حالات كثيرة عن مزاج الشخص، ويكشف عن حالته النفسية من نحو: الرضا أو الغضب، وما شابه ذلك.[2]

وللحنجرة – أيضاً – تبعاً لحجمها وطبيعة أليافها العضلية ومرونتها دور بارز في جمال الأداء عن طريق تشكيل الصوت ومنحه صفة مميزة حسبما يريد العقل، فالصوت يصدر من الحنجرة من خلال تحرك الحبال الصوتية انقباضاً وانبساطاً بطريقة سلسلة. فيصوت الهواء في الحنجرة صوتاً تشكله حسبما يريد العقل.. عالياً أو خافتاً، سريعاً أو بطيئاً، خشناً أو ناعماً، ضخماً أو رفيعاً.. إلى آخر أشكال الصوت وصفاته، فهواء الزفير يتحول بعمل الوترين الصوتيين إلى ذبذبات دورية وهي نواة الكلام.[3]

كما أن لحجم الحنجرة ومدى القدرة على التحكم في حركتها دورًا رئيسًا في جمال الصوت الذي هو أحد عوامل جمال الأداء حيث يمكن وصف الصوت بأنه قوي أو ضعيف تبعاً لقوة الحنجرة أو ضعفها. يقول أحد الباحثين المحدثين: "يوصف الصوت بالقوي لقوة الحنجرة وضعفه بضعفها".[4] فقد كان الشيخ / مصطفى إسماعيل –

---

(١) سورة الذاريات الآية (٢٩).

(٢) دراسات صوتية – د / تغريد عنبر ص ١٥٤، ومقدمة في أصوات اللغة العربية – د / عبدالفتاح البركاوي ص ٤٧.

(٣) الصوتيات العربية ص ٢٥.

(٤) فن الإلقاء ص ٣٣.

(رحمه الله) – ذا صوت نادر وطريقة مميزة في تلاوة القرآن الكريم جعلته واحدًا من أهم شيوخ التلاوة في العالم الإسلامي، فكانت له القدرة – لمرونة حنجرته وقوتها – على تركيب النغمات والمقامات في تلاوته بشكل بديع مع الحفاظ على أحكام التجويد، وكذا كان الشيخ / عبد الباسط عبد الصمد (رحمه الله).

فلمرونة الحنجرة إذن وتحركاتها في الاتجاهات المختلفة ما يجعل لها القدرة على الحركة ارتفاعاً أو انخفاضاً، وللخلف أو الأمام، أثر بالغ في هيئة صندوق الرنين، وفي جمال الصوت أو قبحه أو غير ذلك، حيث " يعدل ضغط الهواء داخل هذا التجويف عن طريق تصغير حجمه أو تكبيره، والوسيلة لذلك تحريك الحنجرة إلى أعلى فيصغر التجويف ويتضاغط الهواء فيه، أو إلى أسفل فيكبر حجمه ويتخلخل الهواء بداخله ".[1] وإن لم يكن هناك اختلاف تشريحي في الحناجر بين الناس عامة والقراء خاصة يتفاوتون فيه، وهذا ما وضحه د / إبراهيم أنيس في قوله: " من الحقائق العلمية التي تدعو إلى الدهشة والعجب أن علماء التشريح لم يلحظوا أي فرق مادي بين حناجر النوع الإنساني، فحنجرة الإنسان ذي الصوت الرخيم الذي يسحر الألباب والعقول لا تختلف عن حنجرة فلاح بسيط من الناحية التشريحية ".[2]

فالفرق بين الحناجر – إذاً – هو فرق في المرونة التي ينتج عنها تفاوت في صندوق الرنين فوقها، وهذا الصندوق كغيره من الصناديق الأخرى يستغل في تضخيم الصوت أو عكسه ومنحه صفته الخاصة به التي تميزه عن غيره من الأصوات عن طريق التحكم في حجمه ومساحة فتحاته بفضل مرونة الحنجرة وحركاتها المختلفة.

---

(١) دراسات صوتية ص ١٥٥.

(٢) الأصوات اللغوية – د / أنيس ص ٩ .

٢. مرونة الوترين الصوتيين [١] وقوتهما :

على قدر مرونة الوترين الصوتيين - (بواسطة التحكم في فتحة المزمار التي تنقبض وتنبسط بنسب مختلفة مع الأصوات، وهو الأمر الذي يترتب عليه اختلاف نسبة شد الوترين واستعدادهما للاهتزاز ؛ فكلما زاد توترهما زادت نسبة اهتزازهما في الثانية فتختلف تبعاً لهذا درجة الصوت [٢]) - يستطيع القارئ أن يغير في نغمة صوته ولذلك أثر كبير في أداء الكلام. [٣] يقول فندريس: " ويبدو من نظام الحنجرة سمو الجهاز الإنساني على جميع الآلات الأخرى. والأوتار الصوتية على جانب من المرونة لا يصل إليها مبسم المزمار الموسيقي الذي هو صلب بالضرورة. وتستطيع هذه الأوتار بفضل نظام للحركات لطيف التدبير يدبر عدة أزواج من العضلات أن تأخذ أوضاعاً مختلفة. فيمكن إبقاؤها مغلقة أو فتحها فتحاً تاماً أو شبه تام وجعلها تتذبذب كلاً أو جزءً، والتعديل من مقدار توترها. ومن هنا تنتج تنوعات المصادر التي يغترف منها التكلم ". [٤]

وتعتمد مرونتهما على: طولهما أو قصرهما حسب طبيعة الجسم من حيث وزنه وطوله وعرضه، فطول الوترين الصوتيين يؤثر في درجة الصوت تأثيراً عكسياً، بمعنى أنه كلما طال الوتران الصوتيان قلت الذبذبات وترتب على قلتها عمق الصوت، وكلما قصرا

---

(١) في الحنجرة توجد الأوتار الصوتية وهي أهم عضو في الجهاز النطقي وهي : عبارة عن وترين اثنين على شكل نصف دائرة ، وهما رباطان مرنان يشبهان الشفتين يمتدان أفقياً من الخلف إلى الأمام حيث يلتقيان عند ذلك البروز الذي نسميه تفاحة آدم ، أما الفراغ الذي بين الوترين فيسمى بالمزمار. (الأصوات اللغوية - د / أنيس ص ١٧).

(٢) السابق نفسه.

(٣) البحث اللغوي عند إخوان الصفا ص ١٣١.

(٤) اللغة - فندريس - تر د / عبد الحميد الدواخلي، ود / محمد القصاص ص ٤٤ - طبعة لجنة البيان العربي ١٩٥٠م.

كلما زاد معدل اهتزازهما وترتب على ذك حدة الصوت. كما تعتمد على دقتهما أو غلظتهما، وعلى مدى توترهما فإذا كان مقدار توترهما كبيراً فإن قدرتهما على التحرك تكون كبيرة ومن ثم يكثر عدد اهتزازهما، أما إذا كان مقدار التوتر قليلاً فإن قدرتهما على الاهتزاز تكون أقل. كما تعتمد مرونة الوترين الصوتيين على مقدار الفرق بين ضغط الهواء أسفل الحنجرة وأعلاها، فكلما كان دفع الهواء أسفل الحنجرة أكبر من ضغط الهواء فوقها كلما كان عدد اهتزاز الوترين أكبر، على حين أنه إذا كان الدفع ضعيفاً كان الاهتزاز قليلاً.[1] كما تعتمد على اختلاف حجم الحنجرة وطبيعة ما بها من الألياف العضلية بين القراء أو المرتلين لآي الذكر الحكيم.[2]

فعلى قدر هذه المرونة للوترين الصوتيين وقوة شدهما وتوترهما يتوقف الحكم على جمال الأداء من حيث قوته أو ضعفه، ومن حيث نبراته وحدة الصوت أو غلظه.

وإذا كان العازفون يستطيعون إنتاج أصوات متنوعة عن طريق التحكم في طول الوترين وتقصيرهما بوضع أصابع يدهم اليسرى على نقطة ما لتقصير طول الوترين.[3] فإن الأوتار الصوتية العجيبة التي وهبها الله – ﷻ – للإنسان وميزه بها عن خلقه وفضله على كثير ممن خلق لا تقاس بها أوتار أية آلة صوتية صنعها الإنسان، ولا جميع الآلات الصوتية المختلفة الأنغام ! إنها كما قال تعالى: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [4] كما أن قوة الأوتار الصوتية – والتي تتفاوت باختلاف الأشخاص حسب اختلافهم في أجسادهم وتركيباتهم، وتمنح الأداء عامة والصوت خاصة قوة وجمالا –

---

(١) علم الصوتيات ص ١٦٧، ١٦٨ بتصرف .

(٢) دراسة السمع والكلام ص ٢١٧ ، ٢١٨ بتصرف .

(٣) المدخل إلى علم الأصوات دراسة مقارنة – د / صلاح الدين صالح حسنين ص ١٥ – ط / أولى ١٩٨١م .

(٤) سورة النمل : من الآية (٨٨) .

تجعل الأداء أكثر تميزاً وأشد انتباهاً وتشويقاً وتأثيراً في نفوس المستمعين، وقد بين ذلك أحد الباحثين المحدثين موضحاً كيفية تأتيها بقوله: " قوة الأوتار الصوتية تنتج عن اندفاع الهواء الآتي نحو الحنجرة، فتهتز الأوتار الصوتية بعنف عند الترتيل ويسمى عادة بالصوت الحلقي فيُحدِث – (هذا الاهتزاز) – اهتزازاً مشاركاً لحجرة الفم التي هي حجرة طنين في الآلات الموسيقية كالعود مما يعطي الصوت قوة وحلاوة، فكلما اتسعت حجرة الطنين كان الصوت جميلاً، وإذا كنا لا نستطيع التحكم في حجرة الطنين الأخرى التي هي جوف الأنف فإننا نستطيع أن نتحكم في جوف الفم أثناء التكلم أو الغناء أو الترتيل بالفتح البسيط أو المتوسط أو الواسع للفم ".[1]

٣. مرونة الألسن ورياضتها :

يعد اللسان أهم أعضاء النطق، وهو عضو يتميز بالحركة والمرونة، حيث يحتوي على عدد كبير من العضلات التي تمكنه من التحرك، والامتداد، والانكماش، والتلوي إلى أعلى أو إلى الخلف. وهذه السهولة في التحرك مكنت اللسان من الاتصال بآية نقطة من الفم، فنتج عن تحركاته المختلفة عدد كبير من الإمكانات الصوتية في الجهاز النطقي.[2]

فاللسان يشغل معظم فراغ التجويف الفمي، وهو يحتوي على مجموعة من العضلات التي تمكنه من تغيير شكله ووضعه بسهولة، ويؤثر وضع اللسان في تشكيل الأصوات ورنينها بصورة عامة، وبدون الحركة والوضع الدقيق للسان يصعب حدوث عملية النطق بصورة صحيحة. ويوضح ذلك الشيخ ابن سينا فيقول: " إن لسان الإنسان ونحوه يحتاج إلى حركات متفننة.... ولذلك وجب أن يكون للسان الإنسان عضلات

---

(١) أثر هيكلة الفم في جمال الصوت بتصرف .

(٢) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ص ٢٥ .

تحركه الحركات التي يفتقر إليها في ذلك. ويجب أن يكون منشأ كل واحدة منها من الموضع الذي هو أجود لها ".[1] ويقول د / عبدالرحمن أيوب: " اللسان بفضل هذه العضلات، عضو عظيم المرونة فمن الممكن له أن يمتد إلى الأمام حتى يتجاوز الأسنان، وأن يتراجع إلى الخلف حتى يبعد عنها بمقدار ثلاث سنتيمترات تقريباً، ويمكن لأي جزء من أجزائه أن يرتفع إلى أعلى في اتجاه الأسنان أو اتجاه سقف الحنك، كما يمكن لطرف اللسان أن يتراجع إلى الخلف ملامساً سقف الحنك حتى يصل إلى نقطة التقائه بسقف الحنك الرخو، وتختلف قدرة فرد عن فرد آخر في مدى هذه الحركة. كذلك يمكن أن يتقوس سطح اللسان على شكل محدب أو مقعر، وأن يرتفع جانباه فيكونان شكل قناة يمثل الحاجز الأوسط أعمق خط في دفاعها ".[2]

فأهمية اللسان ترجع إلى مرونته، وكثرة حركاته في الفم عند النطق ؛ إذ يتخذ أوضاعاً وأشكالاً متعددة، فهو ينتقل من وضع إلى آخر، فيكيف الصوت اللغوي حسب أوضاعه المختلفة، وتنتج عن هذه التحركات قيم صوتية معينة، تلون الصوت المنطوق برنين خاص. إذ تغير هذه التحركات من شكل حجرات الرنين الخلفية والأمامية بالقدر الذي يعطي الصوت قيماً صوتية معينة تميزه عن غيره مما قد يتحد معه في مخرجه أو في أكثر صفاته. ولهذه المرونة " تأثير كبير على ما يسمى بصندوق الرنين الأمامي الذي يتكون في الفم... فاللسان بمرونته وقدرته على الحركة المتنوعة يصنع أشكالاً من صناديق الرنين الأمامية التي تختلف أشكالها وأطوالها مع الأصوات المختلفة، ثمَّ تختلف النغمات المصاحبة لتلك الأصوات باختلاف تلك الصناديق ".[3]

---

(١) شرح تشريح القانون – ابن النفيس – تح / سلمان قطاية السوري الحلبي ص ٦٦ – المكتبة الشاملة .

(٢) أصوات اللغة ص ٧٦ .

(٣) علم الصوتيات ص ١٠٠: ١٠١، ومقدمة في أصوات اللغة العربية ص ٤٩ .

ويحتاج اللسان إلى التدريب فإذا ترك الإنسان القول ماتت خواطره، وتبلدت نفسه وفسد حسه.... واللسان إذا أكثرت تقليبه رق ولان، وإذا أقللت تقليبه وأطلت إسكاته جسأ وغلظ ".[1] وهذا يتوقف على قدرة القارئ على السيطرة أو التحكم في حركات لسانه ؛ لذلك اشترطوا في الفصيح أن يكون سليم النطق، أي يكون لسانه خالياً من العيوب التي تعوقه عن إخراج الحروف بصورتها صحيحة. فالفصاحة سمة من سمات الأداء الكلامي عند العرب القدامى.

وبفضل هذه المرونة التي تختلف من قارئ إلى آخر يستطيع القارئ تلوين أدائه لآي الذكر الحكيم تبعاً لفقه المعنى القرآني بصور متنوعة عن طريق التحكم في عمق الصوت وحدته وتغيير نبراته وارتفاعه وانخفاضه وغير ذلك مما يمنح الأداء جمالاً وحلاوة حسب مقدار هذه المرونة. وهذه المرونة يمكن اكتسابها عن طريق تدريب اللسان على النطق الصحيح، وإخراج الحروف من مخارجها مع المحافظة على الجرس النغمي للكلمة والعبارة، وكذا التحكم في حركة الفك الأسفل، وأيضا عن طريق المشافهة عن القراء ذوي الأداء المتميز.

كما أن لرياضة الألسن دوراً بارزاً في مرونتها وفي جمال الأداء وقد أولى علماء التجويد رياضة الألسن بالأحكام وكثرة التكرار عناية كبيرة، ويوضح ذلك أبو عمرو الداني – (رحمه اللَّه) – حيث يقول: "ليس بين التجويد وتركه إلا رياضة لمن تدبره بفكه".[2] ويوضح الأمر بصورة أكثر من ذلك فيقول عن صوت الهمزة وكيفية النطق به وأنه صوت يحتاج إلى رياضة شديدة للنفس: "هي حرف مجهورٌ، بعيد المخرج، شديدٌ، لا

(١) البيان والتبيين ص ٢٧٢ . والجاحظ والفصاحة اللغوية – د / أحمد مطلوب – مجلة المورد المجلد (١١) العدد (الأول) ص ٤٦ الجمهورية العراقية / بغداد – وزارة الثقافة والاعلام – دار الجاحظ للنشر .

(٢) التحديد في الإتقان والتجويد ص ٧٠ .

صورة له، وإنما تعلم بالشكل والمشافهة، ولبعد مخرج الهمزة لا يكون قارئاً من لا يستشعر بيانها في قراءته، ولثقلها صار فيها التحقيق والتخفيف بين بين والبدل والحذف، وليس ذلك لشيء من الحروف غيرها، فينبغي للقارئ إذا همز الحرف أن يأتي بالهمزة سلسلةً في النطق، سهلةً في الذوق، من غير لكزٍ ولا ابتهارٍ لها، ولا خروجٍ بها عن حدها، ساكنةً كانت أو متحركةً. والناس يتفاضلون في النطق بالهمزة على مقدار غلظ طباعهم ورقتها فمنهم من يلفظ بها لفظاً تستبشعه الأسماع وتنبو عنه القلوب، ويثقل على العلماء بالقراءة، وذلك مكروهٌ، معيبٌ من أخذ به، وقد حدثني الحسين بن علي البصري... حدثنا محمد بن يزيد، قال: سمعت أبا بكر بن عياشٍ يقول: إمامنا يهمز (مؤصدة) فأشتهي أن أسد أذني إذا سمعته يهمزه... ومنهم من يخرج الهمزة مع النفس إخراجاً سهلاً، بغير كلفة، يألفه طبع كل أحدٍ، ويستحسنه أهل العلم بالقراءة، وذلك المختار، ولا يقدر القارئ عليه إلا برياضة شديدة ".[1] وذكر الحسن بن قاسم المرادي (ت ٧٤٩هـ) أن تجويد القراءة يتوقف على أربعة أمور منها: " رياضة اللسان وكثرة التكرار. وأصل ذلك كله وأساسه تلقيه من أولي الإتقان، وأخذه عن العلماء بهذا الشأن، وإن انضاف إلى ذلك حسن الصوت، وجودة الفك، وذرابة اللسان، وصحة الأسنان كان الكمال ".[2]

كذا جعل ابن الجزري التدريب ورياضة اللسان الطريق الأمثل لتحصيل التجويد فقال: " ولا أعلم سبباً لبلوغ نهاية الإتقان والتجويد، ووصول غاية التصحيح والتسديد مثل رياضة الألسن والتكرار على اللفظ المتلقى من فم المحسن... فإذا أحكم القارئ النطق

---

(١) السابق ص ١٢٠ : ١٢١ .

(٢) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد – د/ غانم قدوري الحمد ص ٥٧ مطبعة الخلود / بغداد – ط /أولى ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م – نقلاً عن كتاب (شرح الواضحة) للمرادي ص ٣٠ .

بكل حرف على حِدَتِهِ مُوفٍ حقه فَلْيُعْمِلْ نَفْسه بإحكامه حالة التركيب ؛ لأنه ينشأ عن التركيب ما لم يكن حالة الإفراد، وذلك ظاهر، فكم ممن يحسن الحروف مفردة ولا يحسنها مركبة بحسب ما يجاورها من مجانس ومقارب قوي وضعيف ومفخم ومرقق فيجذب القوي الضعيف ويغلب المفخم المرقق، فيصعب على اللسان النطق بذلك على حقه إلا بالرياضة الشديدة حالة التركيب، فمن أحكم صحة اللفظ حالة التركيب حصَّل حقيقة التجويد بالإتقان والتدريب ". (١)

فالقارئ الجيد لا يستطيع أن يأخذ نفسه بأحكام التجويد من معرفة بالقواعد والضوابط التي وضعها علماء التجويد ودونها أئمة القراء إلا برياضة الألسن والتكرار على اللفظ المتلقى من فم محسن، وذلك من مبلغ النهاية في الإتقان والتجويد والتصحيح والتسديد.

٤. مرونة الفك الأسفل :

للفك الأسفل طبيعة تركيبية خاصة تجعله يفوق في مرونته مرونة أي عضو آخر من أعضاء النطق المتحركة، كما تتيح له القدرة على أن يتحرك حركة شبه دائرية تلاحظ بالنظر الدقيق لفم القارئ عند تجويده لآي الذكر الحكيم، وتسهم هذه الحركة في تنويع نغمات وطبقات الصوت وعلوه وانخفاضه وغير ذلك مما يعطي للصوت ولطريقة الأداء طابعاً متميزاً وإيقاعاً مؤثراً، وترنيماً وتطريباً لا يمكن لأي عضو آخر أن يقوم به. وقد أبان ابن سينا – (رحمه الله) – عن هذه الطبيعة التشريحية للفك الأسفل فقال: " كان للفك الأسفل طبيعة تشريحية خاصة تحقق له المرونة وسهولة الحركة بحيث تلائم استعماله في مضغ الطعام وعملية الكلام فقد خلق له عظمان إذ لو كان

(١) النشر في القراءات العشر ١/ ٢١٣، ٢١٤ بتصرف .

من لحم فقط لم يكن المضغ، ولو كان من غضاريف لم يكن قوياً. وعظامه لا بد وأن تكون خفيفة جداً لتكون حركته أسهل، وإنما يكون كذلك إذا كانت رقيقة متخلخلة، فلو جعل من عظام كثيرة جداً لكان تركيبه واهياً، ولو جعل من عظم واحد لكان إذا عرض لبعضه آفة لم يؤمن سريانها. وجعل المفصل بين عظميه عند الذقن ليكون العظمان متساويين إذ ليس أحدهما بزيادة العظم أولى من الآخر، وجعل هذا المفصل موثقاً لعدم الحاجة إلى حركة أحد العظمين دون الآخر وليكون تركيبه قوياً... وهذان العظمان كلما ارتفعا ازدادا قوة ورقة، أما الرقة فلأن عظمهما في أسفل إنما كان لأجل الأسنان وذلك منتف في أعلاها، وأما القوة فليتدارك ذلك ما توهنه الرقة فلذلك هما هناك أصلب وأقل تخلخلاً".[1]

وإنما اختص الفك الأسفل بالحركة دون الأعلى لأسباب عدة منها: أن الفك الأسفل أخف وتحريك الأخف أحسن ؛ لأن ذلك أسهل، وإنما كان أخف ؛ لأن الأعلى احتيج فيه إلى أن يكون ساتراً واقياً لما وراءه من الدماغ، ولأنه تكون فيه أعضاء كريمة فاحتيج أن يكون عظيماً صلباً ويلزم ذلك أن يكون ثقيلاً ولا كذلك ها هنا. ومنها: أن المتحرك لو كان هو الأعلى وهو مشتمل على أعضاء كريمة لينة لكانت الحركة تضر بتلك الأعضاء لما يلزمها من تمديد بعض جرمها وانقباضه وخصوصاً الأعصاب، وإنما اختصت هذه الأعضاء بالفك الأعلى ؛ لأن أفعالها إنما تتم إذا كانت قريبة جداً من الدماغ، والفك الأسفل أبعد من الدماغ...[2]

---

(١) تشريح القانون ص ٤٥ .

(٢) السابق ص ١٠٥.

ج): ـ القدرة على التحكم في حجم ومساحة المرنات الصوتية :

الصوت حين يصدر عن آلة التصويت (الحبال الصوتية) يكون ضعيفًا، ثم تتم تقويته بتمريره بشكل صحيح في مسالك الصوت التي تعتبر فراغًا رنينيًّا للصوت البشري. ويمتد هذا الفراغ الرنيني من الحنجرة حتى مقدمة الشفتين. فإذا ملأ الصوت شعاب هذه الأماكن تضاعفت قوته وزادت قدرته على الارتفاع والانخفاض. وتقوية الصوت بهذا الشكل تشبه تقوية صوت الآلات الموسيقية، فإن صوت الأوتار ضعيف جدًا، لكن الموسيقيّين يضعونها فوق صندوق خشبي مجوف هو بمثابة فراغ رنيني يقوي أصواتها. ويتحقق الأمران معًا – التنفس الصحيح، وتوسيع مدى الصوت – بإطلاق الهواء من الرئتين عبر الحنجرة بارتياح وامتلاء، وهذا ما يسمى: (الهدير الصوتي)، ويتم هذا الهدير بإطلاق حرف المد: (آ) من عمق الرئتين الممتلئتين بالهواء عبر مسالك الصوت حتى الفم... ومقياس هدير الصوت أن يضع المرء راحة يده على وسط صدره، ثم يجهر بصوته فيحدث عند ذلك اهتزازًا شديدًا متواصلاً أشبه باهتزاز جلد الطبل وخفقانه عند ضربه بقوة، وبمقدار ما يكون الهدير صحيحًا والاهتزاز قويًا يشعر المؤدّي بالراحة والهدوء والاطمئنان النفسي وإن طالت فترة التدريب. ويشعر المؤدّي بالتعب سريعًا، وتتلاحق أنفاسه ويخفق صدره في ارتفاع وانخفاض سريع إذا كان التصويت غير كامل وغير صحيح.[1]

وفي الجهاز الصوتي الإنساني أجسام مجوفة وظيفتها تقوية الصوت، وتنويع نغمته كالقصبة الهوائية وفراغ الحلق والفم والأنف. ويمكن عن طريق مرونة هذه الأجسام أو التجاويف والقدرة على التحكم في حجمها اتساعا أو امتداداً تعديل نوع الصوت فيما

---

(١) جمال التلاوة في الصوت والنغم صـ ٦٥، ٦٦.

يعـرف بعمليـة الترشـيح.[1] ممـا يترتـب عليـه إظهـار جمـال الأداء القرآني بتنويـع النغمـات الأدائية.

ولهذه التجاويف أو المرنات الصوتية قدرة على التغير والتنوع نظراً لما تتمتع بـه هـذه التجـاويف أو المرنـات الـصوتية مـن المرونـة والتي تختلـف مـن شـخص إلى آخـر، وهـذا مـا وضـحه أحـد البـاحثين المحـدثين حـين تحـدث عنهـا حيـث قـال: "هـي ذات قابليـة للتغيـر والتنوع بحكم ما تتمتع بـه أعـضاء النطق وخاصة اللسان من قـدرة هائلـة على الحركـة بفضل النظام العضلي الذي يـتحكم فـي حركتها "[2] فهي مطاطة إلى حـد كبير، وتقـوم للـصوت مقـام فـراغ رنينـي فتخلـع عـن كـل صـوت طابعـه الخـاص. كمـا يوجـد فـي هـذه التجـاويف الرنانـة أعـضاء مرنـة قابلـة للـسحب تـستطيع أن تعـدل أبعـاده وتغيـر مـن طاقتهن.[3] فعلى قدر ضيق الممرات التي يمر بها الهواء الخارج من الرئتين أو اتساعها يتوقف ضعف الأداء أو قوته. فضيق ممرات الهواء أو اتساعها مسألة تؤثر على الصوت ـ أو على جزء المقطع ـ الذي يحدث عنده الضيق أو الاتساع.

من هنا كانت المرنات الصوتية من أهم العوامل المؤثرة في جمال الصوت وجمال الأداء، وعليها يتم التمييز بين أصوات القراء والحكم عليها جمالا أو قبحاً. حيث تختلف باختلاف الأشخاص من حيث حجمها ومرونتها ومدى القدرة على التحكم فيها ؛ وذلك لأن المرن الصوتي يتوقف على :

---

(١) أصوات اللغة العربية ص ٣٧ .

(٢) دراسة السمع والكلام ص ١٩٤،والعوامل المؤثرة في الصوت الإنساني – للباحث – كلية اللغة العربية بأسيوط ٢٠١٣ص٥٥٣.

(٣) دراسة الصوت اللغوي ص ١٠٤، وفن الإلقاء ص ٣٣ .

١. الحجم: فكلما كبر حجم المرن أعطى ترددات أو ذبذبات قليلة، ومن هنا تكون النغمة غليظة، وكلما صغر حجم المرن أعطى ترددات كثيرة وبذلك تكون النغمة رفيعة. وهذا الحجم يختلف من مرن لآخر. ومن المعلوم أن تغير ضغط الهواء في التجاويف المغلقة يتناسب مع حجم التجويف تناسباً عكسياً، فيزيد الضغط بنقص الحجم، كما يقل الضغط بزيادة الحجم.[١] فحجم المرن يرتبط أساساً بطول الجسم أو قصره بما في ذلك منطقة الرقبة، وعرضه أو وزنه وما يرتبط بذلك من حيث كثافة الجسم المنتج للصوت أو نحافته.

٢. مساحة الفتحات: الفتحات التي توجد داخل المرن وخارجه، وفي بدايته ونهايته ذات أثر فعال في عمل المرنات الصوتية.

٣. عدد الفراغات: مما يجعل عمل المرن مختلفاً أيضاً عدد الفراغات الموجودة والموصولة بعضها ببعض، وكيفية ونظام اتصالها.[٢]

فالصوت بعد صدوره من الحنجرة يمر بعدة تجاويف تعمل على تنقيته وتضخيمه، وإضفاء صيغة معينة ومميزة عليه تعرف بجهاز الرنين، وتضم البلعوم السفلي، والبلعوم الفمي، والتجويف الأنفي، وقد أوضحت الفحوص الطبية لجهاز الكلام ومنطقة الزور أن البلعوم يلعب دوراً هاماً في عملية تضخيم الصوت، يتضح ذلك من خلال ملاحظة حركة البلعوم إلى أعلى وأسفل أثناء الكلام. كما يعد الفم غرفة رنين أخرى يمر بها الصوت، حيث تتحرك أجزاؤه من فك وأسنان ولسان وشفتين، فيتغير شكل التجويف الفمي طبقاً لذلك.

---

(١) دراسة السمع والكلام ص ٨٣.

(٢) علم الصوتيات ص ١٧٥ بتصرف.

وهذه الفراغات الرنانة تستغل في تضخيم الصوت ومنحه صفته الخاصة به والتي تميزه عن غيره من الأصوات، فهي بمثابة تلك الصناديق المجوفة التي تشد عليها أوتار الكمنجة أو العود ؛ لأن أصوات الحنجرة وحدها ضعيفة، ولكنها تقوى في تلك الفراغات الرنانة، واختلاف حجم هذه الفراغات بين الناس يجعل أصواتهم المختلفة متميزة رغم أن تلك الفراغات لا تكاد تؤثر في درجة أصواتهم، فقد تكون متحدة الدرجات أي أن عدد الذبذبات في الحنجرة واحد، ولكن مرور تلك الذبذبات خلال الفراغات يكسبها لوناً خاصاً بها يساعدنا على تمييز أصوات الأصدقاء من غيرها.[1] وكذا تمييز أصوات القراء بعضها عن بعض.

ويطلق على هذه التجاويف أو الفراغات الموجودة في قناة الصوت اسم (المرنات الصوتية). وعلى هذا فالمرن الصوتي هو: الفراغ الذي يستقبل النغمات الموجودة في تيار النفس فيتجاوب معها ويقويها فتصبح قابلة لأن تسمع.[2] وتقوم هذه التجاويف فوق المزمارية (الحلقي، والأنفي، والفموي) بدور حجرات الرنين وفيها تتم معظم أنواع الأصوات التي تستعمل في الكلام – (حيث تلعب هذه التجاويف دور غرف الرنين) – فجميعها بمثابة الصناديق المجوفة التي تشد عليها أوتار العود أو الكمنجة ؛ ذلك لأن أصوات الحنجرة وحدها ضعيفة وتقوى بمرورها على هذه الفراغات الرنانة، واختلاف حجم هذه الفراغات عند الناس هو الذي يجعل أصواتهم متميزة كل منهم عن الآخر.[3]

---

(١) الأصوات اللغوية – د/ إبراهيم أنيس ص ١٠، ١١.

(٢) علم الصوتيات ص ١٧٣.

(٣) الأصوات اللغوية – د/ زين كامل الخويسكي ص ٩٧.

والتجويفان الحلقي والفموي هما أكثر التجاويف مرونة وقدرة على الحركة خلافاً للتجويف الأنفي فإنه ثابت لا يتحرك وإن كانت له أهميته في الترنم والتطريب؛ لما ينتج عنه من أصوات محببة في السمع ذات طبيعة صوتية خاصة تستمع الأذن بنغمتها ورنينها؛ لذا ختمت أكثر الفواصل القرآنية بالأصوات ذات الذائقة السمعية المحببة التي تستمع الأذن بنغمها ورنينها وهما صوتا النون والميم. فالتجويف الحلقي يمكن التحكم في حجمه ومساحة فتحاته عن طريق التحكم في حركة الحنجرة في الاتجاهات الأربع على النحو الذي سبق توضيحه عند حديثنا عن مرونة الحنجرة بكثرة تحركها في الاتجاهات المختلفة. وهو الأمر الذي يترتب عليه تغيير في شكل وحجم حجرة الرنين، إذ تؤثر على نوع الرنين الحنجري وطبيعة الصوت، فتحرك الحنجرة إلى أعلى مع بعض الأصوات يؤثر على صندوق الرنين الذي يتكون في الحلق فيقصر طوله ويصغر حجمه، وتحركها إلى أسفل مع بعض الأصوات يغير طول الصندوق وحجمه فيزداد طوله ويكبر حجمه، وكل ذلك يؤثر بدوره على النغمة التي تمر بهذا الصندوق.[1] ويؤثر تأثيراً واضحاً في جمال الأداء لآي الذكر الحكيم عن طريق تغاير النغمات الصادرة عن هذا المرن الصوتي.

أما التجويف الفموي فيقوم بتشكيل لون الصوت بوجه عام، ويمتد هذا التجويف من الشفتين إلى أعلى التجويف الحلقي. ويحتوي على الشفتين، والوجنتين، والأسنان، واللسان، والحنك الصلب، والحنك اللين، والفكين الأعلى والأسفل. فيمكن له أن يتغير بصورة كبيرة في الشكل والحجم عن طريق تحركات اللسان الذي يشغل معظمه

(١) دراسة الصوت اللغوي ص ١٠٠، وعلم الصوتيات ص ٩٨.

والذي يشكل الأرضية بالنسبة له.[1] وقد مدح العرب سعة الفم ؛ لأن سعة الفم تعين على قوة الصوت، فكلما اتسعت حجرة الطنين – (الفم) – كان الصوت جميلاً، وإذا كنا لا نستطيع التحكم في حجرة الطنين الأخرى التي هي جوف الأنف لكننا نستطيع أن نتحكم في جوف الفم أثناء التكلم أو الغناء أو الترتيل بالفتح البسيط أو المتوسط أو الواسع للفم، وعن طريق هذه المقدرة على التحكم في مساحة هذا التجويف ينشأ جمال الأداء بتنوع الصوت. فالتجويف الفموي يعد علامة مميزة على نوعية الصوت الصادر عن حنجرة كل إنسان. وهذه العلامة أو الصفة المميزة هي التي تميز الأصوات بعضها عن بعض ؛ لأنها تتعلق بتجويف الفم، وتختلف كل واحدة باختلاف هذا التجويف.

ويمكن التحكم في حجم هذا التجويف ومساحته عن طريق حركة اللسان داخل الفم على النحو الذي سبق ذكره في الحديث عن مرونة اللسان، وعن طريق حركة الفك الأسفل، إذ يقوم سقف الحنك مع قاع الفم بتشكيل التجويف الفمي، وهو فراغ مهم بالنسبة لأصوات الكلام من حيث إنه مجال لتكون فراغات رنينية متنوعة في أشكالها وأحجامها وأطوالها الأمر الذي يسهم في تمييز الأصوات واختلافها، وهذا كله إنما يتحقق بواسطة سقف الحنك مع اللسان بمساعدة الفك الأسفل، إذ يساعد الفك الأسفل في زيادة أو إنقاص حجم التجويف الفموي . فعند نطق صوت مثل (الألف) نرى انخفاض الفك السفلي بينما يرتفع عند نطق صوت مثل (ي)، وهكذا بقية الأصوات مع تفاوت في درجة انخفاض الفك الأسفل حسب حاجة الصوت لذلك، فهو قابل للحركة إلى الأمام كما في نطق السين والزاي أو سواهما من الأصوات التي تتطلب تحريك الشفتين أو التقاء طرف اللسان باللثة في بعض اللغات، كما أنه يتحرك

(١) دراسة الصوت اللغوي ص ١٠٥.

جانباً عند بعض الأفراد لمحاولة تغطية عيب في تكوين الأقواس الفكية لديهم أو عيب في أسنانهم، ويتحرك إلى أسفل في النطق ببعض الأصوات خاصة الحركات. [1]

فالفك الأسفل – لمرونته – لديه القدرة على أن يتحرك حركة شبه دائرية تلاحظ بالنظر الدقيق لفم القارئ عند تجويده لآي الذكر الحكيم، وتسهم هذه الحركة في تنويع نغمات وطبقات الصوت وعلوه وانخفاضه وغير ذلك مما يعطي للصوت ولطريقة الأداء طابعاً متميزاً وإيقاعاً مؤثراً، وترنيماً وتطريباً لا يمكن لأي عضو آخر أن يقوم به.

أما التجويف الأنفي فهو وإن كان ثابتاً فإنه يعد غرفة رنين يتأثر مدى رنينها بحجمه وفيه ـ أيضاً ـ الجيوب الأنفية التي تؤثر في إنتاج الأصوات التي تعرض لها صفة الأنفية كالفتحة المجاورة لأي منهما. كما أن لهذا التجويف وإن كان ثابتاً دوراً بارزاً في جمال الأداء لاسيما في الفاصلة القرآنية التي تختم غالباً بصوتي الغنة (النون والميم)، يقول مكي بن أبى طالب: " وسميت النون والميم حرفا غنة ؛ لأن فيهما غنة تخرج من الخياشيم عند النطق بهما فهي زائدة فيهما... وهي من علامات قوة الحرف. [2]

فالغنة محلها الخياشيم أو التجويف الأنفي، وهي عند بعض المحدثين ليست إلا إطالة الصوت بالنون مع تردد موسيقى محبب فيها. [3] وهي من الناحية النطقية عبارة عن: تكييف رنيني يميز الصوت الكلامي على مستوى الإفراد ويلونه على مستوى الأداء. ومن الناحية الأكوستيكية أو الفيزيائية: يتكون جرسها من موجات مركبة ذات

---

(١) علم الصوتيات ص ١٠٢، والصوتيات العربية ص ٤٥، وأصوات اللغة ص ٨٠، ٨١ بتصرف

(٢) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة – مكى بن أبى طالب – تح د/أحمد حسن ص ١٠٧ بتصرف. دار الكتب العربية.

(٣) الأصوات اللغوية ص ٧١، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص ٤٣٢، ٤٣٣.

نغمات متوافقة.[1] ومن الناحية السمعية: أثر سمعي يعرف مباشرة بواسطة أذن المصغي، فهي تصبغ بعض الأصوات بلون معين بواسطة الفراغات التي تصنعها أعضاء النطق، والتي تعمل صناديق رنين ترشح وتقوي بعض النغمات التي تمر بها وذلك في النون والميم خاصة.[2]

ومن هنا يمكننا القول: إن لهذا المرن الصوتي دوراً رئيساً في جمال الأداء حيث يمكن عن طريقه التحكم في رنين الصوت وطنينه ونحو ذلك مما يجعل لصوت القارئ جاذبية وجمالاً وهي الصفة المعرفة والمميزة لأصوات القرّاء ؛ فلكل إنسان صوته الخاص به، ومختلف عن أصوات الآخرين. فكأنه ملامح الوجه أو بصمات الأصابع أو التكوين العام للجسم، فكما أن للإنسان شخصية مميزة عن الآخرين، كذلك صوته يميزه عن أصوات الآخرين. والحنجرة ـ بحبالها الصوتية ـ هي التي تحدد هذه الشخصية الصوتية، فربما تكون كبيرة ذات حبال صوتية قوية تصدر أصوات عالية، وربما يكون رخيمًا أو حادًا.... فالرنين والطنين الصوتي الجميل ـ (الصادر عن التجويف الأنفي) ـ يجعل لصوت القارئ جاذبية وجمالاً، إذ يستطيع السامع أن يميزه عن سائر أصوات القرَّاء مع أن قواعد التجويد والالتزام بها عمليًا في القراءة تسبب حبس مقدارٍ من الصوت، وعدم إبراز الصوت وانطلاقه كاملاً. فلو علمنا هذا، نقول: إن حبس الصوت أكثر من هذا المقدار يكون مانعًا قويًا لإبراز الرنين ولطافة الصوت ".[3]

وهذا الطنين أو الرنين الناتج عن صوتي الغنة أو عن التجويف الأنفي يعد علامة مميزة بين القراء إذ يمكننا عن طريق تدبره أن نقول: هذا القارئ يملك طنينًا ورنينًا أجمل

---

(١) من أحكام علم التجويد (الإخفاء) – د/ سيد أحمد علي الصاوي ص ١٩.

(٢) السابق ص ١٩، ٢٠.

(٣) جمال التلاوة في الصوت والنغم – جمعية القرآن الكريم للتوجيه والإرشاد ص ٥١.

وأحسن من القارئ الفلانيّ. ولعل الشيخ / المنشاوي – كما يقول أحد الباحثين في جمال التلاوة – هو النموذج الواضح لهذا الموضوع، إذ إنه تفرد بين كثير من القرَّاء لصوته الفاتن والجذاب، خاصة في إبراز هذه الخصيصة.[1]

فالقارئ يستفيد من جيوبه الأنفية في تحسين صوته وإعطاء الكلام نغمة ورنينا جميلين . حيث إن الهواء الخارج من الرئتين مارًا بالحنجرة محدثاً الصوت يمر في طريقه بالبلعوم والأنف والجيوب الأنفية، فيكتسب الرنين اللائق والنغمة الإنسانية الواضحة التي تجعل للكلام وضوحاً وانطلاقاً وحسناً ؛ ولذلك فإن من زكم أنفه أو انسد حلقه تتغير نغمة كلامه ويختفي الوضوح في نطقه وتظهر الخناقة في صوته، وكذلك من كانت جيوبه الأنفية أكبر وتهويتها أحسن واتصالها بالأنف أسهل كان لصوته رنين أجمل ولكلامه نطق أحسن.

د): . سلامة الجهاز الصوتي من الأمراض والعيوب النطقية:

يعتبر الصوت مقياساً لصحة الإنسان ووضعه النفسي ؛ لأنه يتأثر بشكل مباشر بتغيرات الجسد الصحية والنفسية، فإذا كان جهاز النطق في الإنسان سليماً خالياً من العيوب الخلقية خرج الصوت صحيحاً محققاً الغرض منه. فنحن مثلاً يمكننا معرفة الشخص المريض أو المضطرب من خلال نبرة صوته ؛ لأنه قد يصاب الإنسان بعلة ما فتحدث هذه العلة اضطراباً شديدًا في الصوت، حيث نجد اختلافاً واضحاً لصوته في هذه الحالة أو أثناء العلة والمرض عما هو عليه في وضعه الطبيعي. وقد وضح إخوان الصفا دور هذا العامل – (سلامة أعضاء النطق وقوتها) – في جمال الأداء عن طريق الجهر بالصوت وقوته إذ يقولون: " أما الجهير والخفيف من الأصوات فبحسب قوة الحركة وضعفها،

---

(١) السابق نفسه .

والمثال في ذلك صوت العليل السقيم بالقياس إلى صوت الصحيح المعافى، وصوت العليل إلى من هو أضعف منه وأسقم حتى يكون أجهر الأصوات من الناس ما كان في غاية الصحة وسلامة الحواس، واستواء الآلة، وأخفاهن ما كان بخلاف هذه الصفة لما به من ضعف القوة وقلة الحركة وفساد الجملة وغير ذلك ".[1] فسلامة النطق تزيد الفهم وتعين على التدبر، أما إذا اختل النطق وموازين الحروف وتطرق الخلل إلى القراءة فإن ذلك يبعد الذهن والقلب عن التفهم والتدبر ولم يغن النغم شيئاً.

إن أي خلل يحدث في المجرى الهوائي ينتج عنه تغير في الصوت أو في نبرته، كأن يصبح الصوت مبحوحاً. والبحة أو تغير الصوت من الأعراض الطبية الشائعة التي يصاب بها الإنسان من وقت لآخر في حياته، وعادة ما تخف ويعود الصوت إلى عادته...فالصوت عند الإنسان ينتج بإصدار الهواء من الرئة عبر الحبال الصوتية ماراً في طريقه بالبلعوم والأنف والجيوب فيكتسب الرنين اللائق والنغمة الإنسانية الواضحة التي تجعل للكلام وضوحاً وانطلاقاً وحسناً ؛ ولذلك فإن من زكم أنفه أو انسد حلقه تتغير نغمة كلامه ويختفي الوضوح في نطقه وتظهر الخنافة في صوته، وكذلك من كانت جيوبه الأنفية أكبر وتهويتها أحسن واتصالها بالأنف أسهل كان لصوته رنين أجمل ولكلامه نطق أحسن. فأي خلل في هذا المجرى الهوائي ينتج عنه تغير بالصوت. كما أن الالتهابات الفيروسية التي تصيب الجهاز التنفسي الأعلى – (الأنفلونزة) – هي أكثر المسببات التي تؤثر على الصوت، فالمريض الذي يشكو من الأنفلونزة تكثر الإفرازات عنده في الجهاز التنفسي وتنتفخ الأنسجة في الأنف والحلق بالإضافة إلى الحبال الصوتية، وهذا ما يحدث

(١) البحث اللغوي عند إخوان الصفا ص ١٢٩.

تغيراً بالصوت، ومع العلاج والراحة تخف هذه التغيرات ويعود الصوت إلى ما كان عليه.[1]

كما أن أي خلل في تلامس حبلي الصوت بنعومة مع الحركة السلسلة أو في سلامة الغشاء المخاطي يؤدي إلى تغيير في نبرة الصوت وظهور بحة الصوت. وفي المعتاد تكون البحة مصاحبة لضعف الصوت إلا أنه أحياناً يظهر كل منهما منفرداً، وذلك في بعض مراحل أمراض الحنجرة .[2] فسلامة الحنجرة هي سلامة لكل الحروف، وليس للحروف التي تخرج منها فقط ولكن لبقية الحروف، فهي التي تساعد على إحداث الاهتزاز الصوتي عبر الأحبال الصوتية.[3] وسلامة الصوت ونقاؤه يستلزم تلامس حبلي الصوت بنعومة مع الحركة السلسلة وسلامة الغشاء المخاطي ؛ ولذلك يوصف الصوت الصادر عن علة أو مرض بأوصاف عدة منها: الصوت المكتوم [4]، والصوت المبحوح [5]، والصوت الحلقي:

---

(١) نقلا عن منتدى مزامير آل داوود بتصرف .

(٢) الصوت البشري وخصائصه – السيد لؤي – منتديات الشيخ / محمد صديق المنشاوي ص ٩ .

(٣) فن الإلقاء ص ٣١ .

(٤) ويحدث هذا الصوت نتيجة وجود آفة فيما بين قاعدة اللسان واللهاة ، أو نتيجة إصابة اللهاة بالورم (اضطرابات الصوت – د /إيهاب الببلاوي) . ويأتي الصوت خافتًا نتيجة لمرض عضوي أو لطبيعة ينتج عنه ابتعاد الأوتار الصوتية عن بعضها ويمكن علاج ذلك بكثرة استعمال حروف المد . (فن الإلقاء ص ١٠٩) .

(٥) ويتسم هذا الصوت بأنه خليط ما بين صوت الهمس وصوت الخشونة معاً، وغالباً ما يكون ذلك نتيجة الاستخدام السيئ للصوت (الصياح الشديد أو الغناء بصوت مرتفع لوقت طويل)، وحالات التهاب الحنجرة ، ونزلات البرد ، والتهاب اللوزتين ، والإجهاد الكلامي ، أو قد يكون عَرَضاً من الأعراض المرضية للحنجرة ، وأثناء هذا الاضطراب يصدر الصوت من ثنيات الأوتار الصوتية الصغيرة ، ويكون التنفس في مثل هذه الحالات صعباً ، والصوت غير واضح . وقد تطفي البحة على الصوت جمالاً ودفئاً إضافياً. (نقلا عن منتدى مزامير آل داوود) .

وهو صوت يصدر من الحلق أو الحنجرة أو الرقبة أو الزور وذلك نتيجة التصلب أو الارتفاع في مؤخرة الرأس أو عدم الجلسة الطبيعية أو الوقفة المناسبة. والصوت الأنفي.[1]

كذلك تؤدي العيوب الخلقية أو الفسيولوجية الناتجة عن تشوه الجهاز النطقي للإنسان – كالزوائد اللحمية، وعيوب الأسنان " فالثنيتان والرباعيتان لهما دور في إقامة الحروف وسلامة النطق... وقيل: إن من سقطت كل أسنانه استطاع التحدث إلى حد ما، هذا بخلاف من ذهب شطر من أسنانه، أو الثلثين منها، ذلك للاعتدال والاستواء "[2] وعدم انتظام الأسنان من ناحية تكوينها الحجمي كبراً أو صغراً، أو من حيث القرب أو البعد، أو تطابقها وخاصة في حالة الأضراس الطاحنة والأسنان القاطعة فيجعل تقابلها صعباً ويعتبر هذا العيب التكويني على اختلاف صوره من أهم العوامل التي تسبب الثأثأة في أغلب الحالات. وكذا عيوب الأوتار الصوتية وغيرها من التشوهات الخلقية – إلى تعطيل أو تعثر عمل الجهاز النطقي في إنتاج الصوت بالشكل الصحيح، فقد نسمع اللثغة والتعتعة والفأفأة بسبب هذا العيب، وقد يكون العلاج طبياً في هذه الحالة. وقد ترجع عيوب النطق إلى نقص أو إهمال شديد في التدريب على الأداء الجيد والنطق السليم. كذلك تؤدي عدم القدرة على التحكم الإرادي في حركة أجزاء جهاز النطق، أو سوء استعمال الصوت بالانتقال من طبقة إلى طبقة أخرى غير ملائمة إلى ضعف الأداء.

فصفاء الصوت – إذاً – صفة تعكس مدى نقاء الصوت وخلوه من الحشرجات. وهذه الصفة – تختلف من صوت لأخر ولكنها تعتمد كثيراً على العناية بالصوت – تستلزم

---

(١) وسببه عاهة عضوية أو زكام يصيب الإنسان أو ضغط اللسان إلى الداخل أو انكماشه فيكون عائقًا أمام خروج الصوت كله من الفم فيخرج من الأنف، وهو أقرب إلى أن يقال عنه: إنه صوت أخنف، لتسربه من الأنف. (فن الإلقاء ص ١٠٨: ١١٠ بتصرف).

(٢) فن الإلقاء ص ٣٩.

سلامة الجهاز النطقي من أي خلل يعتريه عارضاً كان كإجهاد الصوت بالتمرينات العشوائية وما يتسبب عنه من عدم صفاء الصوت، أو ملازماً لعيب خلقي ما أو لمرض عضوي يؤدي إلى حدوث بعض مشاكل الصوت مثل: التهابات الجهاز التنفسي العلوي، والإلتهابات الناجمة عن حمض الجزر(بسبب الارتداد المعدي)، وإساءة استخدام الصوت، العقيدات الصوتية أو سرطان الحنجرة، والأمراض العصبية والعضلية مثل خلل التصويت التشنجي أو شلل الحبال الصوتية.... إلخ.

ويندرج تحت هذا العامل عامل آخر هو (نصاعة الصوت في الأداء القرآني): ونريد بالنصاعة إخراج الصوت واضحاً لا يلتبس به غيره من أصوات العربية، وإعطاء الحرف حقه من النطق المحقق غير مشتبه بسواه، وهذا جوهر الأداء، وقد سماه القدامى بعلم التجويد، ولعل تسمية علم الأداء القرآني بـ (التجويد) ناظرة إلى قول الإمام علي: " الترتيل معرفة الوقوف، وتجويد الحروف ". فأخذ عنه هذا المصطلح بإعطاء الحروف حقوقها وترتيبها، ورد الحرف إلى مخرجه وأصله، وتلطيف النطق به على كمال هيئته، من غير إسراف ولا تعسف، ولا إفراط ولا تكلف. وهذه القاعدة تبنى على مخارج الحروف صوتياً.[1]

فالعربي فصيح إذا أدى الكلام أداءً حسناً وأفهم الآخرين، ولم يكن في لسانه عيب يمنعه من الطلاقة وإخراج الحروف من مخارجها بصورة صحيحة. أي يكون نطقه للحروف سليماً وإخراجه للكلمات سلساً. وكذلك القارئ لآي الذكر الحكيم.

---

(١) الصوت اللغوي في القرآن الكريم – د/ محمد حسين علي الصغير ص ١١٢ – دار المؤرخ العربي/ بيروت – ط/أولى .

هـ): ـ القدرة على التحكم في النفس وتنظيمه :

لا تتوقف أهمية الجهاز التنفسي عند الإنسان عند الوظيفة الإحيائية بل هو محور العملية الصوتية لدى الإنسان، فعن طريق التحكم في تيار النفس يُشَكل الصوت ويمكن توصيفه، وكذا يكون الصوت سليماً أو خالياً من العيوب، ومعرفة مدى جماله أو قبحه، فلمقدار خروج النفس والتحكم فيه دور في جمال الصوت وقيمته، ويدرك ذلك الذين يصابون بنوبات البرد ويشعرون أثر ذلك على الكلام. كما أن لمعدل التنفس دوراً واضحاً في وصف الصوت بل وصف الحالة النفسية التي يكون عليها المتكلم، وعليه أيضاً يتوقف طول النفس أو قصره لاسيما عند قراء القرآن الكريم، كما أن الصوت يقوى بقوة النفس أو ضغطه، ويضعف بضعفه.

فالإنسان خلال التنفس العادي يتنفس حوالي نصف لتر من الهواء على حين تصل أقصي كمية لهواء الشهيق إلى ما بين ٤ إلى ٥ لترات، وتسمي كمية الهواء التي يقوم الإنسان بطردها بعد الشهيق العميق الكامل (السعة الحيوية للرئتين)، يتضح ذلك جلياً في أثناء الزفير حيث تنتج الأصوات اللغوية فيحدث النطق والكلام [1] إلا أن سعة الجهاز التنفسي تختلف من شخص إلى آخر تبعاً لحجم الجسم المنتج للصوت." فالأجسام الكبيرة الرئات الطويلة الحلاقيم الواسعة المناخير والأشداق تكون جهيرة الأصوات ـ وغليظة أيضاً ـ ؛ لأنها تستنشق هواءً كثيراً وترسله بشدة ". [2] لكنها في الوقت نفسه ترتبط بدفع الهواء إلى أعلى ارتباطاً عكسياً إذ يلاحظ أنه كلما قل حجم الجسم زادت قوة دفع الهواء إلى أعلى عبر الرئتين والقناة الصوتية هذا من ناحية. وهذا

---

(١) علم التجويد كمدخل وقائي وعلاجي لاضطرابات النطق والكلام – د / محمد محمود عبد العزيز النحاس ص ٢١.

(٢) البحث اللغوي عند إخوان الصفا ص ٩٢ .

يدل على أن بين الجسم ووزنه وبين الصوت الصادر عنه علاقة عكسية وذلك على النحو الذي بيناه من قبل. فضغط الهواء في التجويف الصدري – إذن – يتغير تبعاً لحجمه الذي يرجع في حقيقته إلى النشاط العضلي الذي تقوم به العضلات بين الضلعية الخارجية والداخلية وعضلة الحجاب الحاجز وعضلات البطن.[1]

وقد وضح د/ إبراهيم أنيس دور هذا العامل في جمال الأداء فقال: "من الحقائق العلمية التي تدعو إلى الدهشة والعجب أن علماء التشريح لم يلحظوا أي فرق مادي بين حناجر النوع الإنساني. فحنجرة الإنسان ذي الصوت الرخيم الذي يسحر الألباب والعقول لا تختلف عن حنجرة فلاح بسيط من الناحية التشريحية.... وإنما الفرق في الموهبة التي اختص بها وهي سيطرته على عملية التنفس. فهو أقدر من غيره على تنظيم تنفسه والسيطرة على الهواء المندفع من الرئتين، والقدرة على تكييفه، وإخضاعه لنظام خاص في جريانه من الرئتين حتى يصدر من الفم أو الأنف. هذا هو كل شيء في الغناء أو ما يسمى جمال الصوت. وقليل من الناس يستطيعون السيطرة على تنفسهم وإخضاعه لإرادتهم كما يفعل المغنون. فالمغني يستطيع بعد شيء من المران طبعاً أن يملك زمام تنفسه وأن يحدد عدد ذبذبات الوترين الصوتيين كما يشاء، وبذلك ينوع في درجات صوته كما يوحي إليه فنه. ومن تلك الدرجات الصوتية المتباينة يكون مجموعة منسجمة من الأصوات هي التي اصطلحنا على تسميتها الغناء الجميل. وعنصر المران ضرورة للمغني ولكن الاستعداد الشخصي هو العنصر الأساس في جمال الصوت – (وهو ما نسميه في الأداء القرآني باسم المهارة بقراءة القرآن. ولا تتأتى هذه المهارة إلا عن طريق المشافهة والتلقي، والتدريب ؛ لذا جعلناها أحد العوامل المؤثرة في

---

(١) دراسة السمع والكلام ص ٨٣ .

جمال الأداء لآي الذكر الحكيم وسيأتي الحديث عن هذا العامل تفصيلاً في موضعه إن شاء الله تعالى) – وتسرف الكثرة الغالبة من الناس في عملية التنفس أو لا تحسن استغلالها فيضيع النفس سدى ولا تنتظم له حال. ولا غرابة في هذا فليس كل الناس مغنين أو أصحاب أصوات جميلة منسجمة ".[1]

فعملية التحكم في تيار النفس وتنظيمه وضبطه من العمليات المهمة لتحسين الأداء وتناغمه في صورة أخاذة تشحذ السامعين إلى التأثر بجماله، كما يعد غيابها في ذات الوقت مدعاة للانصراف عن القارئ وذهاب جمال الأداء كلية عنه ؛ لأنه يكون حينئذ مدعاة إلى التلعثم، أو إلى الوقف في غير موضعه الأمر الذي يضيع معه الغرض الأسمى من التلاوة وهو التدبر والتأمل وفقه المعنى القرآني، فالتنظيم والتكامل بين التنفس والنطق يساعد على التحكم في معدل الكلام اللازم.

وعن طريق تنظيم التنفس – أيضاً – يمكن للإنسان أن يتحكم في حدة صوته ونغمته أي شدته ودرجته، ويمكن لنا ملاحظة ذلك عند بعض قراء القرآن الكريم عندما يحاولون قراءة سورة من السور القصار دفعة واحدة دون توقف.[2] وقد وضح ذلك الشيخ ابن سينا في قوله: " لما كانت قصبة الرئة مخلوقة لأجل التنفس، ولأجل الصوت وكان الصوت يختلف في ثقله وحدته باختلاف منفذ الهواء الفاعل له في سعته وضيقه وجب أن يكون بهذه القصبة تمكن من التضييق، وذلك إذا أريد تحديد الصوت كما قد يستعمل لذلك حينئذٍ في الآلات الصناعية واليراع المعروف بالزير، ومن الاتساع وذلك إذا أريد تثقيل الصوت أو تعظيمه جداً كما قد يستعمل لذلك حينئذٍ من الآلات الصناعية

---

(١) الأصوات اللغوية ص ٩، ١٠.

(٢) أصوات حروف القلقلة بين المتقدمين والمتأخرين – فرغلي سيد عرباوي ص١٥ – زوائد : النسخة المكية المعدلة .

اليراع المعروف بالبم. وإنما يمكن ذلك كما قلنا مراراً بأن يكون هناك عضل تحركها هذه الحركات لكنها قد خلقت على السعة التي قلما يحتاج الإنسان لذلك إذا أزيد منها، فلهذا خلق لها عضل التضييق فقط، وهي عضلات أربع...". [1]

وعلى هذا تكون السيطرة على الهواء المندفع من الرئتين وتحديد نسبة ما يندفع منهما من النفس، وتنظيم هذا حسب الإرادة أحد العوامل المهمة في جمال الأداء لآي الذكر الحكيم، ولا أدل على صحة ذلك من أن الخطأ في طريقة التنفس والفوضى فيها يؤدي إلي وجود التأتأة [2] في الكلام.

ويمكن التحكم في معدل وعمق النفس عن طريق التحكم في عضلات التنفس في مركز التنفس الموجود في ساق المخ. حيث يحتوي مركز التنفس على ثلاث مناطق وظيفية... ومع أن نمط التنفس يتحكم فيه عن طريق مركز التنفس إلا أن هذا النمط يمكن تعديله وفقاً للاحتياجات عن طريق: قشرة المخ: حيث يوجد اتصال بين قشرة المخ ومركز التنفس، بمعنى أن الإنسان يستطيع إرادياً أن يغير معدل التنفس حيث يستطيع الإنسان أن يتوقف تماماً عن التنفس لفترة محدودة... فالإشارات العصبية تنبه مركز التنفس، لذلك فإن الانفعالات العاطفية تغير نمط التنفس مثل البكاء على سبيل المثال. [3]

---

(١) شرح تشريح القانون لابن النفيس ص ٦٦.

(٢) التأتأة هي: نوع من التردد والاضطراب وانقطاع في سلاسة الكلام، حيث يردد الفرد المصاب صوتاً لغوياً أو مقطعاً ترديداً لا إرادياً مع عدم القدرة على تجاوز ذلك إلى المقطع التالي. ويلاحظ على المصاب بالتأتأة اضطراب في حركتي الشهيق والزفير أثناء النطق مثل انحباس النفس ثم انطلاقه بطريقة تشنجه. (علم التجويد كمدخل وقائي وعلاجي لاضطرابات النطق والكلام ص ٤٥-٤٦ بتصرف).

(٣) ينظر تفصيل ذلك في: الجهاز التنفسي وأمراضه بحث النت.

ثانيا: العوامل الفيزيائية (الطيفية)

للعوامل الفيزيائية دور بارز ومهم في جمال الأداء والتمييز بين أداء قارئ وآخر بل والحكم على كليهما جمالاً أو قبحاً أو غير ذلك وأبرز هذه العوامل يعود إلى عاملين هما:

أ): القدرة على التحكم في درجة الصوت ونبراته :

درجة الصوت هي: الخاصية التي تميز بها الأذن الأصوات من حيث كونها أصوات حادة أو غليظة. (١) أو هي: علو الصوت وانخفاضه. فلكل صوت بشري حدود معينة في نزوله وصعوده وكل نوع يختلف عن الآخر من ناحية القوة والضعف، ومن ناحية تأثيره في السامع بالمقام المناسب. كما أن الأصوات تختلف بعضها عن بعض، فمنها ما هو شديد كقصف الرعد، ومنها ما هو غليظ كصوت الرجل أو حاد كالصفير أو رنين الأجراس. والقارئ الجيد هو الذي يستطيع التحكم في نبرات صوته ويتنقل بين طبقاته ـ حسب المقام وحسب طبيعة صوته ـ بطريقة سلسلة ومهارة متقنة يستطيع من خلالها جذب انتباه السامع والتفاعل معه. وذلك عن طريق :

١. السيطرة على الهواء المندفع من الرئتين وتحديد نسبة ما يندفع منهما من التنفس، وتنظيم هذا حسب الإرادة

٢. مرونة عضلات الحنجرة ؛ فعلى قدر هذه المرونة تتوقف درجة الصوت، فكلما ازدادت مرونتها كثرت الذبذبات وازداد الصوت حدة. (٢)

---

(١) علم الصوتيات ص ١٢٨.

(٢) الأصوات اللغوية ص ٨، ١٠ بتصرف.

٣. التغيير في درجة انقباض الحبال الصوتية، والتغيير المناسب في الطول والتوتر يؤدي إلى حدوث اختلاف في نبرات الصوت .[١]

فطبقة الصوت هي أحد عناصر الإلقاء الصوتي المتمثلة في (معدل السرعة، التوقفات، حجم الصوت، طبقة الصوت وتغيراتها، نوعية الصوت، النطق واللفظ). [٢] وهي في الأصل: مصطلح موسيقي يدل على مدى ارتفاع وانخفاض نبرة الصوت. وعرفوها بأنها: خاصية يتميز بها الصوت ويحددها تردد ذبذبة موجات الصوت.[٣]

فالأصوات ذات الطبقات العالية لها ترددات أعلى من الأصوات ذات الطبقات الدنيا. والقارئ الجيد يستطيع أن يغير من صوته وطريقة أدائه من وقت لآخر، وفي هذا تنشيط لنفسه ولسامعيه ؛ لأن عدم وجود التغيير الملائم في الطبقة أثناء الإلقاء الصوتي أو عدم حدوث تغييرات في طبقة الصوت يؤدي إلى جمل رتيبة ذات نغمة واحدة. كما أن تغيرات طبقة الصوت هي أداة رئيسة لإعطاء المعنى الدقيق للجملة. إذ من الممكن أن تعطي جملة من أربعة كلمات أربعة معان مختلفة عندما نقوم برفع الطبقة – النبرة – والحجم لكل كلمة في كل مرة نقول فيها الجملة.

أما الأداء على نبرة واحدة طوال الوقت فيحمل المستمعين على الملل والكسل. ويسمى هذا الصوت الذي يخرج على وتيرة واحدة باسم الصوت الرتيب وعرفوه بأنه: " ذلك الصوت الذي يخرج على وتيرة واحدة وإيقاع واحد، دون القدرة على التغير في الارتفاع، والشدة، أو النغمة واللحن، مما يجعل هذا الصوت يبدو شاذاً وغريباً، ويفقد القدرة على التعبير والتواصل الفعال مع الآخرين ". ومثل هذه الحالات يمكن أن تحدث

---

(١) الحنجرة ووظائف الصوت – مقال في النت على موقع طبيب دوت كوم .

(٢) عناصر الإلقاء الصوتي – د / محمد بدرة ، مقال في النت بتاريخ : الأحد ٢٢ مارس ٢٠٠٩م .

(٣) السابق نفسه .

نتيجة الإصابة بحالة من الشلل تصيب المراكز المخية، وخاصة منطقة الجسم المخطط من الدماغ، مما يؤدى الي تصلب الأوتار الصوتية وجعل الصوت إما أجشاً خشناً، أو رتيباً . [1]

يقول جوبو: " من الأسباب التي تجعل الأذن تضيق بالصوت الرتيب هو أن الصوت الرتيب يُعْمِل الأذن على نحو واحد، فيضني الأعصاب السمعية، ولا كذلك التنوع في الشدة والنغمة، فإنه يريح الأذن حتى في عملها ". [2]

فالصوت رسالة، وقوته وضعفه وسرعته وبطؤه والتلوين في حدته بين فترة وأخرى هي عوامل جاذبة ومؤثرة بلا أدنى شك. ونبرة الصوت هي عامل أساس في جذب الجمهور، والمتحدث الذي يعتمد نبرة صوت واحدة يزرع في الحضور الملل والكآبة، حتى ولو تحدث بأفضل الكلام وأجوده، والمتحدث الذي يعتمد رفع الصوت وخفضه ويلون لهجة خطابه له حظ وافر في التأثير في السامعين وجذبهم إلى مربع التفاعل معه. [3]

فعلى القارئ – إذن – أن ينوع من نبرات صوته حسب المعاني والجمل ونوعها، وذلك بالانتقال من طبقة صوتية إلى طبقة أخرى بطريقة طبيعية ومنضبطة. فالصوت الطبيعي يكون (من الناحية الفيزيائية) على درجة كافية من الارتفاع أو الشدة من أجل تحقيق التواصل المطلوب، ولكن الارتفاع الشديد للصوت يؤدي إلى صوت غير واضح، والصوت المرتفع أكثر من اللازم هو صوت شديد ومزعج للآخرين ؛ لذا يجب أن تكون " درجة الصوت معتدلة لا منخفضة غير مسموعة فتضايق، ولا مرتفعة صارخة فتزعج وكلا

---

(١) اضطرابات الصوت – د / إيهاب الببلاوي .

(٢) جماليات المفردة القرآنية – د / أحمد ياسوف صـ ٢١٢ – دار المكتبي / سوريا – دمشق – ط / أولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

(٣) الصوت ونبراته في الإلقاء – د / نزار نبيل أبو منشار – (نقلا عن شبكة الالوكة) .

الأمرين منفر".[1] فالانتقال من طبقة صوتية إلى طبقة صوتية أخرى ينبغي أن يكون ضمن الدرجة المعتدلة وليس زائدا عنها ارتفاعا أو انخفاضاً.

أما التغيرات الغير طبيعية في طبقة الصوت، والانتقال السريع الغير مضبوط من طبقة لأخرى مثل الانتقال من الصوت الخشن إلى الصوت الرفيع أو العكس – (من دون سبب يدعو إلى ذلك) – فإنه يؤدي إلى عدم وضوح اللحن والصوت كما ذكر أحد الباحثين في اضطرابات الصوت.[2] يقول الكاتب حسن شكري: " إن صوت المقرئ قادر بطبقاته المتعددة علي عكس الحالة التي يريد القرآن أن يوصلها إلي قرائه أو مستمعيه.. ولهذا يشعر الجالسون في سرادق أو مسجد يستمعون إلي القرآن الكريم أن القارئ يعيد رسم الحياة من حولهم.. حيث تختفي الماديات ويشعر هؤلاء أنهم يسافرون في رحلة حقيقية إلي العالم الآخر.. وهي الرحلة التي يمكن تلخيصها في أنها رحلة النعيم والجحيم ".[3]

ومن هنا يمكننا القول: إن القارئ الجيد كعازف العود يستطيع إعطاء نغمات رفيعة وحادة أو غليظة وخشنة، ومنخفضة أو متوسطة أو مرتفعة الشدة تبعاً للمقام أو الغرض بشرط أن ينظم طبقات صوته، ويحسن الانتقال من طبقة إلى أخرى تبعاً لما يملكه من مرونة صوتية تمكنه من التنقل بين الطبقات بسلاسة من ناحية، والتدريب الجيد على إتقان القراءة بالطبقات الصوتية المناسبة ؛ لأن عدم الإتقان أو الاستخدام السليم للصوت من حيث أداؤه بالطبقة المناسبة يؤدي إلى وجود الصوت المرتعش أو

---

(١) اللغة العربية أداءً ونطقا وإملاء وكتابة ص ٩٣ .

(٢) اضطرابات الصوت – الزراد ص ٢٣٥ وما بعدها ـ ١٩٩٧م .

(٣) شرح كتاب العلوم الجلية في الوصول إلي المقامات الصوتية ص ٣ – منتديات الشيخ / محمد صديق المنشاوي بالنت

المهتز وهو: " الصوت الذي يتسم بالاضطراب الصوتي لظهور الصوت بشكل غير متناسق من حيث الارتفاع أو الانخفاض أو الطبقة الصوتية، ويكون سريعاً، ومتوتراً".[1] وهذا مما يخل بجمال الأداء.

وعلى هذا تكون معرفة طرق التحكم بطبقة الصوت بما يتناسب مع المساحة الصوتية للقارئ من الأساليب المهمة في الأداء القرآني، فلكل صوت قدرات معينة، وبعد في وضوح أصوات الحروف والكلمات والاهتزازات الوترية، فالقارئ حينما يقرأ بالطبقة المنخفضة من الصوت لا تتجلى قوة صوته وتعبيراته ونبراته الجميلة حتى يرتقي تدريجياً إلى الطبقات العالية التي تبرز الإمكانيات والجماليات الترنمية وتقوى فيها أصوات الحروف والاهتزازات الوترية لقوة الاعتماد على مخارج الحروف ويعتمد ذلك على قوة الصوت وجماله، وكلما عرف القارئ مساحة صوته استطاع التحكم بصوته تحكماً صحيحاً، ويجنبه ذلك التعب والإجهاد الوتري، فالصعود المفاجئ من غير تدرج وإحماء للصوت يؤدي إلى حدوث شرخ في الصوت تظهر أعراضه بتكون حبيبة على الوتر الصوتي نتيجة الضغط المفاجئ والزائد على الحبال الصوتية، وبالعكس من ذلك النزول المفاجئ ومن غير تدرج من الطبقة العالية إلى الطبقة المنخفضة يؤدي إلى نشاز الأداء وهذا ما لا يليق عند أهل الأداء، والقارئ المجيد هو الذي يترجم أحاسيسه ويتفاعل مع الآيات القرآنية ويصورها تصويرًا نغمياً تعبيرياً، فالقراءة التصويرية هي أعلى مراتب القراءة، وقد أبدع فيها القراء الأوائل مثل الشيخ / محمد صديق المنشاوي – رحمه الله – فقد قال

(١) اضطرابات الصوت – د / إيهاب الببلاوي .

عنه العلماء: إنه فسر القرآن بصوته؛ لما يمتلك من قوة في التعبير والتحزين وصوت خشوع تتجلى بنبراته الحزينة الخشية وتعظيم الخالق.[1]

فلطبقات الصوت البشري حدود وتعين وكيفية خاصة، إذ لكل صوت من الأصوات أربع طبقات متدرجة ودقيقة، وبما أنها متدرجة أي لابد أن يبتدئ من الطبقة الأولى والتي تسمى (قرار) وهي حد لدى الصوت وغالباً ما تتسم هذه الطبقة بالهدوء ووسطية المسار وقد تؤدى بالصوت التخين مع بقاء الفارق، ثم الطبقة الثانية والتي تسمى (جواب) وهي حد الحد لدى الصوت وتتسم هذه الطبقة كونها الصوت العادي للمؤدي أي الحد الوسط بين النزول والصعود. ثم الطبقة الثالثة والتي تسمى (جواب جواب) وهي حد حد الحد لدى الصوت والتي تتسم بالخروج عن الطبقة الوسطى بما يقارن الجهد لدى المؤدي بالضغط على الحنجرة... ثم الطبقة الرابعة والتي تسمي (جواب جواب جواب) والتي تتسم بأقصى حد لدى الصوت أي آخر طبقات المؤدي وأصعب ما لديه وأقوى ما عنده. وهذه الطبقات مختلفة من شخص إلى آخر فلكل شخص طبقته الأولى والثانية والثالثة والرابعة الخاصة به فلا يوجد مستوى يُقاس به جميع أصوات البشر وبسبب اختلاف الأصوات تولدت صعوبة تشابه طبقاتها.

ولا يستطيع القارئ اكتساب طبقات صوتية جديدة أعلى وأنزل من الصوت العادي والتنقل بينها بيسر وسلاسة إلا بعد تدريب طويل للصوت على كيفية القراءة بكل طبقة على حدها حتي يتقنها إتقاناً تاماً فتصبح ضمن مجال صوته، ثم ينتقل إلى الطبقة الثانية فيتدرب عليها ويتقنها وهكذا يفعل مع جميع الطبقات.... ومن المهم جدا قبل تدريب الصوت معرفة مدى ومساحة الصوت (كم أوكتاف)... وأن لا تؤدي الطبقة

(١) طرق التحكم بطبقة الصوت – مقال في النت لـ عبدالرازق عبطان الدليمي – منتديات مزامير آل داود.

الجديدة بالصوت المصطنع بل بالصوت الطبيعي ؛ لأن الصوت المصطنع ليس من ضمن مجال الصوت الطبيعي. [1]

فنبرة الصوت إذن من الأمور التي تساعد على قوة الأداء وجماله ؛ وذلك لما يترتب عليها من وضوح موضوع الآيات الكريمة وبيان مدلولاتها المختلفة لاسيما إذا قرئت بأكثر من طريقة من خلال تغاير الصوت حين النطق بالآية بطريقة معينة مخالفة لما سبقها من الآيات، أو حين النطق بكلمات الآية علواً لإحداها تارة وانخفاضاً لما عداها تارة ثانية حسب المقام أو الغرض والمعنى المراد. فعلى القارئ مراعاة الاعتدال في صوته علوًا وانخفاضاً تبعاً للغرض من الآية، أو من كلمة معينة فيها. ولنا في رسول الله – ﷺ – القدوة الحسنة فعن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – قال: كان رسول الله – ﷺ – إذا خطب احمرَّتْ عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول: " صبحكم ومساكم ". ويقول: " بعثت أنا والساعة كهاتين ".[2]

كما أن لنبرة الصوت دوراً أساساً في بناء أو هدم أية علاقة – (كثيراً ما نواجه أناساً من أول حديث لنا معهم يتركون أثراً بالغاً في أنفسنا من الطريقة التي يتحدثون بها وهذا سر من أسرار نبرة الصوت) – وذلك لما للصوت من أثر كبير في نفس المتلقي سواء أكان إيجابياً أو سلبياً بغض النظر عن نوع الكلام (حسن أو قبيح)، فالإنسان لا يختار صوته ولكن يستطيع أن يتحكم في حدة صوته وشدته، وللأصوات مسميات كثيرة تختلف حسب طبقته ونبرته ومنها الرخيم والأبح والجهوري والنشاز وغيره، فبعض الأشخاص يتميز بصوت هادئ ودافئ ومريح يلامس شغاف القلب، والبعض لديه صوت

(١) كيفية تقوية الحبال الصوتية – مقال في النت لـ باسم المنصوري نقلاً عن الموسيقيين السعوديين .

(٢) المسند الصحيح المختصر (صحيح مسلم) – (باب تخفيف الصلاة والخطبة) حديث رقم (٤٣) ٢/ ٥٩٢ .

مُنفر ومستفز يجعل المستمع يتفادى الإنصات إليه.... وشتان ما بين صوت يخرج بنبرة مريحة ولطيفة فتجذبك وما بين صوت يخرج بشدة وفظاظة فينفرك ليشعرك بتلوث ضوضائي.[1] وسيأتي تطبيق ذلك على قراءة بعض القراء عند حديثنا عن التلوين الصوتي كأحد العوامل المهمة في جمال الأداء.

ب): قوة الصوت وجهارته :

قوة الصوت هي: صفة تعكس مدى تحمل الصوت، فكلما زادت قوة الصوت زادت قوته على تحمل الأداء الطويل. وقد كان بعض القراء القدامى يقرءون لساعات دون أن يظهر الضعف على أصواتهم. وهذه الصفة تختلف من الناحية الخَلقية، ولكن يمكن تطويرها عن طريق العناية بالصوت، وكذلك عن طريق الاستخدام الصحيح للصوت أثناء التلاوة. ولقوة الصوت بعدان :

١. قوة الصوت على المدى القصير: وهي قابلية التحمل أثناء أداء تلاوة واحدة. أي متى يبدأ الصوت بالضعف خلال التلاوة. فبعض الأصوات لا تستطيع التلاوة لأكثر من ربع ساعة، بينما بعضها يواصل لساعات عدة دون تعب.

٢. قوة الصوت على المدى الطويل: وهي قابلية التحمل مع تقادم العمر. فبعض القراء توقفوا عن القراءة في سن مبكرة، بينما بعضهم استمر في التلاوة حتى سن متقدمة مع المحافظة على جمال صوته. ومن الفئة الثانية الشيخ / عبد الباسط عبد الصمد، والشيخ / مصطفى إسماعيل، والشيخ / أحمد عامر.[2]

---

(١) نبرة صوتك ما بين الجاذبية والنفور – ناهد أحمد البوعينين – مقال في النت .

(٢) الصوت البشري وخصائصه – درس في النت لـ السيد لؤي .

ولا بد لقوة الصوت من توافر الطاقة – (وهي كمية الهواء المخزون بالرئتين) – مع سلامة حبلي الصوت والغشاء المخاطي المبطن لهما ،وكذلك الالتقاء الناعم بين حبلي الصوت. ومع استمرار الكلام ونفاذ تلك الطاقة يخفت الصوت شيئاً فشيئاً. ولكي نتمكن من استمرار الكلام في نفس واحد، فإننا نعوض هذا الخفوت بالحركة العنيفة للحبال الصوتية. ولكي نستعيد القدرة على الكلام لابد أن نكف عنه لكي نتمكن من أخذ شهيق.[1]

والمقصود بـ الجهارة لغة: كشف الشيء وعلوه. يقال: جهرت بالكلام: أعلنت به. ورجل جهير الصوت إذا كان عاليه.[2] واصطلاحاً: إحساس يشعر به السمع، ويتم من خلاله الحكم على الصوت الصادر عن المتكلم بالقوة أو الضعف. أو هو الأثر السمعي الناتج عن اتساع ذبذباته زيادة أو نقصاً.[3]

جهارة الصوت ودورها في جمال الأداء:

لقوة الصوت وجهارته أهمية كبيرة في جمال الأداء عند قراء القرآن الكريم خاصة، وذلك لما لها من أثر سمعي محبب في أذن السامع، وقد سبق أن أوردنا في المبحث الأول من هذا الفصل الأحاديث النبوية الشريفة التي تحض على تحسين الصوت بقراءة القرآن الكريم وتزيينه والتغني به، وهذا لا يتحقق إلا عن طريق الجهر بالقراءة على طريقة مخصوصة وكيفيات محددة، وقد أشار الجاحظ إلى أهمية الجهارة في الصوت أو المنطق وعدها من وسائل البيان وجمال الأداء ؛ وذلك لما يترتب عليها من الحلاوة والطلاوة في الأداء حيث قال: " إن البيان يحتاج إلى تمييز وسياسة وإلى ترتيب ورياضة وإلى تمام الآلة

---

(١) كل شيء عن الحنجرة والحبال الصوتية (نقلا عن منتدى مزامير آل داوود) .

(٢) مقاييس اللغة – أحمد بن فارس – تح /عبد السلام هارون – (ج هـ ر) – دار الجيل / بيروت .

(٣) أصوات اللغة – د/ عبد الرحمن أيوب ص ١٠٧.

وإحكام الصنعة وإلى سهولة المخرج وجهارة المنطق وتكميل الحروف وإقامة الوزن وإن حاجة المنطق إلى الطلاوة والحلاوة كحاجته إلى الجلالة والفخامة وأن ذلك من أكبر ما تستمال به القلوب وتنثني إليه الأعناق وتزين به المعاني".[1] بل كانت جهارة الصوت صفة مدح في الإنسان حيث هي عندهم من مقومات الصوت الجميل وهذا ما أكده الجاحظ كما سبق ؛ ولذا فقد كانت هذه الصفة من الصفات التي نعت بها النبي – ﷺ – وآخرون. فقد جاء في الإحياء: كان – ﷺ – أفصح الناس منطقاً وأحلاهم... إلى أن قال: كان جهير الصوت أحسن الناس نغمة ".[2] وكان يعقوب – عليه السلام – شيخاً كبيرًا حليماً حسن الوجه واللحية جهير الصوت ".[3]

إلا أنه يجب أن تكون هذه الصفة بعيدة عن التكلف والتزيد أو التصنع ؛ لأن الأصوات في السمع تنقسم إلى أنواع حسب أسس مختلفة وتبعاً لمقاماتها المتنوعة، فمثلاً الصوت الجهوري قسموه إلى صوت مقبول وهو ما لا يسبب ضررًا للأذن، وصوت مرفوض وهو ما يسبب الضرر للأذن، كما قسموه إلى صوت عال الذبذبة وصوت أقل ذبذبة، كما قسموه لصوت موسيقى وصوت ضوضائي وصوت عادى، وهناك تقسيمات أخرى والمستفاد منها هو منع الأضرار بإعلام الناس بأحكام الصوت المحرمة للصوت العالي المزعج ؛ وذلك تطبيقاً لمنع الحرج أي الأذى في قوله –ﷺ– ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾[4] وكثيرًا ما كان بعضهم

---

(١) البيان والتبيين ص ٢٣ .

(٢) إحياء علوم الدين – محمد بن محمد الغزالي أبو حامد ٢/ ٣٦٧ – دار المعرفة / بيروت .

(٣) فتوح مصر وأخبارها – أبو القاسم القرشي – تح / محمد الحجيري ص ٢١ – دار الفكر /بيروت – ط /أولى ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

(٤) سورة الحج من الآية (٧٨)

يتزيدون في جهارة الصوت وينتحلون سعة الأشداق وهدَل الشفاه.[1] ومن أجل ذلك نهى الرسول – ﷺ – عن التشدق أي: التصنع في تحريك الشدقين بتكلف أثناء الكلام رغبة في التفصح.[2] فقال: "إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَى اللَّهِ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَى اللَّهِ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي الثَّرْثَارُونَ الْمُتَفَيْهِقُونَ الْمُتَشَدِّقُونَ".[3] وعاب الفدادين والمتزيدين في جهارة الصوت وانتحال سعة الأشداق ورحب الغلاصم وهدل الشفاه وأعلمنا أن ذلك في أهل الوبر أكثر وفي أهل المدر أقل...."[4]

ومن هنا ندرك أن الصوت الجهير قد يكون مقبولاً في السمع بحيث لا يكون فيه تكلف في استعمال الأشداق ولا يسبب ضررًا لأذن المستمع وهو ما حض عليه القرآن الكريم عند تلاوته في الصلاة في قوله – ﷻ – : ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً﴾[5] وقد يكون غير مقبول وذلك عن طريق التزيد في سعة الشدقين عند المتكلم فيخرج الصوت عن حده أو مجاله السمعي الطبيعي فيسبب ضررًا لأذن المستمع مما يجعله مرفوضاً عنده أو غير مستساغ لديه لنفور الحس عنه، ولعل ذلك هو ما حض القرآن الكريم على تجنبه في حضرة النبي – ﷺ – في قوله – ﷻ –: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا

---

(١) تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي – د/ شوقي ضيف ص ٤١٧ – دار المعارف / مصر.

(٢) المعجم الوسيط – مجمع اللغة العربية / القاهرة (ش د ق) بتصرف.

(٣) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان – محمد بن حبان التميمي أبو حاتم – تح/ شعيب الأرنؤوط – باب (ذِكْرُ البيان بِأن مِنْ أَحَبِّ العباد إلى الله وأقربهم من النبي ﷺ في القيَامة من كان أحسن خُلُقًا) حديث رقم (٤٨٢)٢/٢٣١ – مؤسسة الرسالة/ بيروت – ط/ثانية ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٤) البيان والتبيين ص ٢٢، ٢٣.

(٥) سورة الإسراء الآية: (١١٠).

أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلاَ تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ﴾. (١)

وإنما عدت جهارة الصوت أو قوته من سمات الأداء الجميل؛ لأنها كما ذكر الرافعي: " تترك للصوت أثراً في النفس هنيهة يتمكن فيها الإنسان من استيفاء صنعة التقليد الصوتي على أتم وجوهها ". (٢)

فجهارة الصوت وحسنه من الصفات الضرورية التي تمكن المرتل لآي الذكر الحكيم من الاستيلاء على نفوس السامعين وجلب إصغائهم إليه. وهذه الصفة وإن كانت فطرية إلا أنه يمكن اكتسابها وذلك بتدريب الحنجرة وترويضها على الصوت المرتفع، ولا نعني بجهارة الصوت الصراخ الذي يسبب نفور المستمعين. ولما كان لهذه الصفة هذا الدور البارز في جمال الأداء جعل أحد الباحثين المحدثين لجهارة الصوت ميزاناً يسمى بـ (ميزان جهارة الصوت) يقاس عن طريقه جمال ارتفاع الصوت أو انخفاضه تبعاً للموقف الكلامي وعرفه بأنه: " الميزان الذي تتحدد به درجة ارتفاع الصوت، أو انخفاضه عند نطق معين. فلكل موقف كلامي درجة محددة من ارتفاع الصوت، أو انخفاضه متعارف عليها بين الناطقين باللغة المتحدث بها، فإذا ما تغيرت هذه الدرجة ارتفاعاً أو انخفاضاً عما ينبغي أن تكون عليه في موقف معين، أدرك المستمع أن شيئاً ما قد تغير، وقد يفهم من ذلك معنى مغايراً للمعنى اللغوي. ويختلف من بيئة إلى أخرى، ومن شخص إلى آخر، فيجب مراعاة ذلك. (٣)

---

(١) سورة الحجرات الآية : (٢) .

(٢) تاريخ الأدب العربي – مصطفى صادق الرافعي ص ١١ – دار الكتاب العربي .

(٣) الأداءات المصاحبة للكلام وأثرها في المعنى – حمدان رضوان أبوعاصي – مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية) المجلد (١٧) العدد (الثاني) ٢٠٠٩م – ص ٥٩ .

وتتوقف هذه الجهارة في الصوت الإنساني عامة وفي أداء وتلاوة القرآن الكريم خاصة على عوامل عدة يرتبط وجودها بها وأهمها ما يلي :

١. سلامة أعضاء النطق وقوتها: وقد سبق الحديث عنه.

٢. ضخامة الجسم وعمقه: وقد سبق الحديث عن ذلك عند حديثنا عن الاختلاف الفسيولوجي بين القراء.

٣. قوة دفع الهواء من الرئة عند إنتاج الصوت.[١] فالطاقة الكبرى تنتج سعة ذبذبة أكبر وصوتاً أعلى وأقوى، والحركة القوية تؤدي إلى اضطراب قوي في الهواء كما ذكرنا.

٤. اتساع الممرات الهوائية: وقد سبق الحديث عنه عند حديثنا عن القدرة على التحكم في المرنات الصوتية.

٥. سعة الفم: فهي تعين على قوة الصوت، وقد سبق أنهم كانوا يمدحون الجهير الصوت، ويذمون الضئيل الصوت.

٦. الوسط الناقل: ينتقل الصوت من فم المتكلم إلى أذن السامع في صورة ذبذبات صوتية تحملها موجات صوتية مركبة عبر وسط صلب أو مائي أو غازي (هوائي)، ولهذا لوسط الناقل للصوت أو الذبذبات الصوتية دور رئيس في سرعة الصوت وقوته ووضوحه في السمع. يقول د / عبدالرحمن أيوب: " يمكن أن نتعرف على السر في قوة انتقال صوت من الأصوات وضعف انتقال صوت آخر. وسنجد ذلك متمثلاً في عوامل كثيرة منها: ما إذا كان الصوت ينتقل بوسيلة صناعية كالمكبر

(١) أصوات اللغة – د / عبد الرحمن أيوب ص ١٣٤، و ص ١٥٠.

الصوتي أو التليفون أو بواسطة الهواء إلى غير ذلك"[1] وإننا لندرك ذلك الآن بوضوح حين نستمع إلى أداء أو ترتيل القرآن الكريم وتجويده عبر مكبرات الصوت، حيث تعمل هذه المكبرات الصوتية على تقوية صوت القارئ عامة خلافاً لما هو عليه في أي وسط آخر.

ولقوة الصوت وجهارته عوامل أخرى كثيرة غير ذلك تناولناها بالتفصيل في بحث سابق.[2]

ثالثا: العوامل الأخرى التي ترتبط بالقارئ

هناك عوامل أخرى غير ما سبق بيانه وتوضيحه تبرز جمال الأداء لآي الذكر الحكيم وتثير في السامع إحساساً مماثلاً بل وتناغماً وانسجاماً بعذوبة الأداء وسلاسته وهذه العوامل يتفاوت فيها القراء تفاوتاً كبيراً ؛ لارتباطها بالقارئ نفسه وطريقة أدائه. وأهم هذه العوامل :

أ) : أحكام التجويد ودورها في جمال الأداء وكمال الإقراء لآي الذكر الحكيم:

تجعل قواعد التلاوة والتجويد لأسلوب القرآن الكريم انسجاماً وإيقاعاً عذباً جميلاً، وهذه القواعد ليست شيئاً طارئاً على القرآن، وليست خارجة عنه بل هي من ذات القرآن ؛ لأنها أصول تتعلق بصحة تلاوته.... ؛ وذلك لما فيه من الإيقاع العذب المعبر الذي لا تجده أبداً في كلام البشر فإنه الإيقاع الناشئ عن الأداء القرآني الملتزم بقواعد التجويد، إنه الأداء الذي يملأ السمع عذوبة والقلب خشوعاً والنفس إعجاباً والكيان إجلالاً ومهابة، فضلاً عن دوره في الإشعار بالمعنى.[3]

---

(١) السابق صـ ١٣٤.

(٢) العوامل المؤثرة في الصوت الإنساني .

(٣) البلاغة الصوتية في القرآن الكريم - د/محمد إبراهيم شادي صـ ٦٨،٦٧ بتصرف - مطبعة الرسالة- ط/أولى ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م

فالتجويد من خصائص أداء القرآن الكريم ومتى عريت التلاوة منه لم تكن موافقة للصفة المتلقاة عن الرسول – ﷺ – ومن ثم فإن ملامح الإعجاز تتوارى، فهو يبرز جمال القرآن الصوتي، وهو أساس تقويم اللسان، وهو كما يقول ابن الجزري: " حلية التلاوة، وزينة القراءة، وهو إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها مراتبها، ورد الحرف إلى مخرجه وأصله، وإلحاقه بنظيره وتصحيح لفظه وتلطيف النطق به على حال صفته، وكمال هيئته من غير إسراف ولا تعسف ولا إفراط ولا تكلف، وإلى ذلك أشار النبي – ﷺ – بقوله: من أحب أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل فليقرأ قراءة ابن أُمِّ عَبْدٍ "[1]، يعني عبداللَّه بن مسعود، وكان – ﷺ – قد أعطي حظًا عظيمًا في تجويد القرآن وتحقيقه وترتيله كما أنزله اللَّه تعالى... ".[2]

وقد بين عبدالله بن ذكوان الكيفية الصحيحة لتجويد القرآن فقال: " يجب على قارئ القرآن أن يقرأ بترتيل وترسل وتدبر وتفهم وخشوع وبكاء ودعاء وتحفظ وتثبت، وأن يزين قراءته بلسانه ويحسنها بصوته، ويعرف مخارج الحروف في مواضعها، ويستعمل إظهار التنوين عند حروف الحلق إظهاراً وسطاً بلا تشديد، وإخراج الهمزة إخراجاً وسطاً حسناً، وتشديد المضاعف تشديدًا وسطاً من غير إسراف ولا تعد، وتفخيم الكاف والراء والزاي والخاء والحاء والطاء بلا إفحاش ولا إسراف، وتصفية السين، وإظهار طنين النون عند الخاء، وإظهار الهاء وإخراجها من الصدر، وإدغام ما يحسن فيه الإدغام، وإظهار ما

---

(١) سنن ابن ماجه – ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني – تح / محمد فؤاد عبد الباقي (فضل عبدالله بن مسعود) حديث رقم (١٣٨) ١/ ٤٩ – دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته – حديث رقم (٥٩٦١) ٢/ ١٠٣٤.

(٢) النشر في القراءات العشر ١/ ٢١٢، ٢١٤ بتصرف.

يحسن فيه الإظهار".[1] وقال ابن الجزري: "ليس التجويد بتمضيغ اللسان، ولا بتقعير الفم، ولا بتعويج الفك، ولا بترعيد الصوت، ولا بتمطيط الشَّدّ، ولا بتقطيع المد، ولا بتطنين الغُنَّات، ولا بحصرمة الراءات، قراءة تنفر عنها الطباع، وتَمُجُّها القلوب والأسماع، بل القراءة السهلة العذبة الحلوة اللطيفة، التي لا مضغ فيها ولا لوك، ولا تعسف ولا تكلف، ولا تصنع ولا تنطع، لا تخرج عن طباع العرب وكلام الفصحاء بوجه من وجوه القراءات والأداء".[2]

وللتلاوة الصحيحة ضوابط لا بد منها وأهمها:

١. إخراج كل حرف من مخرجه وتوفيته حقه: فأوَّل ما يجب على مُرِيد إتقان قراءة القرآن تصحيح إخراج كل حرف من مخرجه المختص به تصحيحًا يمتاز به عن مُقَارِبِه، وتوفية كل حرف صفته المعروفة به توفية تخرجه عن مُجانسه، يُعْمِل لسانه وفمه بالرياضة في ذلك إِعْمَالًا يُصَيِّرُ ذلك له طبعاً وسليقة".[3]

٢. التمهل والتؤدة في القراءة وألا يقرأ القرآن هذرمة أو بسرعة وأن يأتي به الإنسان معرباً فالواجب على الإنسان إذا قرأ القرآن أن يعربه بمعنى أن يفصح في ألفاظه ويبين حروفه ويخرجها إخراجاً صحيحاً، وألا يقرأ قراءة سريعة تلتبس فيها الحروف وتختلط فيها الكلمات فإن هذا لا ينبغي من الإنسان ولذلك جاء رجل إلى ابن مسعود – ﷺ – فقال: إني قرأت المفصل البارحة في ركعة قال: هزاً كهز الشعر أو نثراً كنثر الدقل؟ ثم أمره أن يقرأ القرآن بتؤدة وتمهل وهكذا ورد ذلك عن ابن عباس وعن غيره من أصحاب رسول الله – ﷺ – وبينوا أن قراءة آيات من القرآن ولو كانت قليلة مع التمهل والتؤدة

---

(١) جمال القراء وكمال الإقراء ٢/٥٢٦.

(٢) النشر في القراءات العشر ١/ ٢١٤.

(٣) النشر في القراءات العشر ١/ ٢١٤.

أفضل من قراءة القرآن كله بسرعة وهذرمة ويكفي في ذلك قول الله ـ ﷻ ـ: ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلا ﴾ [1] فعلى القارئ أن يقرأ القرآن بتمهل وتؤدة وأن يجتهد في ذلك، ليكون أوقع في قلب السامع.

٣. معرفة المدود بأنواعها المختلفة والغنن والإدغام بنوعيه، والمراد بمد الصوت هنا: رفع الصوت وإطالة المد بنداوة. [2] إذ كثيرا ما يستخدم المد في القرآن الكريم ليلائم الجو العام ولينسجم مع الترنم والتطريب بقراءة القرآن لما يحدثه من إيقاع عذب مؤثر في نفوس المستمعين.

٤. حسن الوقف ومعرفة أنواعه المختلفة: فعلم " الوقف والابتداء " علم عظيم الأهمية لكل من يقرأ القرآن الكريم تعبداً أو تعلماً أو تعليماً، ولذلك تنازع البحث فيه علماء التفسير والقراءات والنحاة والبلاغيون، وظهرت فيه مؤلفات كثيرة. فموضوع الوقف والابتداء من الموضوعات المهمة في علم تجويد القرآن الكريم ؛ لأنه لا يتحقق فهم كلام الله تعالى وإدراك معانيه إلا بذلك، فقد يقف القارئ قبل تمام المعنى ويبتدئ بما بعد الموقوف عليه، فلا يَفهم حينئذ ما يقرأ ولا يُفهِمُ السامع شيئاً، بل ربما يؤدي وقفه إلى فهم غير المعنى المراد من الآية، وهذا أمر خطير لا تصح به القراءة ؛ لذا حث علماؤنا على تعلم الوقف والابتداء، فقد سئل علي – ﷺ – عن قوله تعالى: ﴿ وَرَتِّلِ القُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾ فقال: الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف. [3] وقد عده الداني من الأمور التي لا يتحصل التجويد لقراء القرآن الكريم إلا بمعرفته. [4]

---

(١) سورة الإسراء الآية : (١٠٦).

(٢) إذهاب الحزن وشفاء الصدر السقيم ص ٢٣٤.

(٣) النشر ١/ ٢٢٥.

(٤) التحديد في الاتقان ص ١٧٦.

ولا أدل على أهمية معرفة الوقف والابتداء من أن في معرفته تبيين معاني القرآن العظيم، وتعريف مقاصده، وإظهار فوائده، وبه يتهيأ الغوص على درره وفرائده.[1] فالخطأ في الوقف يؤدي إلى فوات المعنى المراد من الآية وإن حقق جمالاً أدائياً؛ لأن كمال الإقراء يفوق جمال الأداء. ولأخطاء القراء في الوقف والابتداء أسباب كثيرة يمكننا إجمالها في نقاط هي:

١. الرغبة في الظهور بمظهر القارئ الطويل النَفَس فتجد القارئ حين يجود آية طويلة ينقطع نَفَسه فيضطر للوقوف في موضع لا يصح الوقوف عليه.

٢. أن كتب الوقف والابتداء وكتب القراءات عموماً لم تذكر لنا على سبيل الحصر مواضع الوقف في القرآن الكريم كله، ولم ينقل ذلك عن رسول الله – ﷺ – وصحابته إلا النزر اليسير.

٣. أن مواضع الوقف خاصة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بعلم النحو، لأن القراء الأوائل جميعاً كانوا من النحاة كأبي الأسود الدؤلي، وابن أبي إسحاق الحضرمي، وعيسى بن عمر الثقفي، وأبي عمرو بن العلاء، والكسائي وغيرهم. وقد اجتهد هؤلاء في محاولة وضع قواعد عامة للوقف فقالوا مثلاً: " كل كلمة تعلقت بما بعدها – بحيث أصبح ما بعدها متمماً لمعناها – لا يوقف عليها " كالمضاف والمضاف إليه، والمنعوت دون نعته، والشرط دون جوابه، والمؤكد دون توكيده... إلخ. ومعلوم أن احتراف القراء في عصرنا الحاضر يعتمد على جمال الصوت وإتقان المقامات، ولا ينظر القارئون ولا من يختارونهم إلى علوم النحو ولا يولونها اهتماماً يُذكر.

---

(١) جمال القراء وكمال الاقراء ٢/ ٥٥٣.

٤. أن بعض القراء يحتال للوقوف متوهماً أن في هذا الموضع الذي يقف عليه إبداعاً وإعجازاً تبعاً لهوى نفسه، بلا نظر إلى الحكم الإعرابي النحوي.

ومن الأمثلة على الوقف الخطأ: قرأ قارئ معروف بجمال صوته آيات من سورة البقرة أعجبت جمهوره فصاح الجمهور وناح، فكررها وأعادها، ونقلها عنه مقلدوه حتى صارت من " تراث القراءة المعاصرة "!! وهي قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [١] ووصلها بما بعدها ووقف على قوله تعالى: (أياماً معدودات). وهذا وقف قبيح جداً ، لأنه جعل الظرف الزماني (أياماً معدودات) متعلقاً بالفعل السابق له (تتقون) فيصبح المعنى أن الهدف من فرض الصوم هو اتقاء الله أياماً معدودات لا غير هي أيام رمضان. [٢]

فهذا مثال للوقف الشنيع الذي يخرج بكتاب الله وآياته عن الفهم الصحيح الواجب لها. ولو اكتفى القارئ بالوقوف على رأس الآية﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٣] لكفى وشفى، لكنها الرغبة الذميمة في إظهار طول النَفَس، وفتنة الخنوع بما يظهره الغوغاء من الإعجاب والتصايح والتواجد. وصدق الله تعالى حين وصف جهلاء مكة وعبادتهم الزائفة فقال: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [٤]

---

(١) سورة البقرة آية : (١٨٣) .

(٢) مآخذ على مواضع في الوقف عند بعض القراء – د/ مصطفى رجب نقلاً عن : أرشيف ملتقى أهل الحديث ص ٣ ١٠ وما بعدها

(٣) إذهاب الحزن وشفاء الصدر السقيم ص ٢٣٤ .

(٤) سورة الأنفال آية : (٣٥) .

فعلى القارئ أن يتذوق تمام المعنى حين يتلو كتاب الله تعالى، فلا يقف إلا حين يجد المعنى قد تم. وتمام المعنى إنما يكون باستغناء الكلام بعضه عن بعض. وما لم يتحر القارئ ذلك ؛ فقد يقع في إثم عظيم، كما لو قرأ مثلاً قوله تعالى: ﴿ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴾ [1] فوقف بعد قوله تعالى: (وما أرسلناك) فيكون هذا الوقف نافياً لنبوة النبي – ﷺ – كذلك لو وقف على كلمة المصلين من قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ [2] مع أنها رأس آية، إلا أن ما بعدها مكمل لمعناها، والأصل أن الصلاة صفة مدح، وإنما خرجت هنا عن المدح لما ورد من أوصاف بعدها في قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ ﴾. وكذلك لو رغب قارئ في إظهار طول نَفَسه قرأ قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الأَوَّلِينَ ﴾[3] فوقف هكذا (إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا) فإنه بذلك يكون قد ساوى في المغفرة بين من انتهى عن المعصية ومن عاد إلى ارتكابها وهذا يخرج بالنظم القرآني عن أصل معناه وإنما الواجب عليه أن يقف على كلمة (سلف)، ثم يبدأ تلاوته.

فالواجب الشرعي في التجويد هو ما أجمع عليه القراء كالإخفاء والإدغام والإظهار والقلب وترك المد فيما أجمع على قصره وترك القصر فيما أجمع على مده وغير ذلك، مع أن الواجب من المد هو القدر المجمع عليه مما ليس فيه خلاف، وتزيين القراءة بحيث تختلف عن سجية معتاد الكلام حال التلاوة، فهذا هو الواجب الشرعي ؛ إذ يمثل الترتيل المأمور به. [4] ولا بد في ذلك من التلقي والمشافهة، والقراء هم المعتمد الأول في نطق

---

(١) سورة الإسراء آية : (١٠٥).

(٢) سورة الماعون آية : (٤).

(٣) سورة الأنفال الآية : (٣٨).

(٤) إذهاب الحزن وشفاء الصدر السقيم ص٢٤١.

القرآن الكريم، وهذا ما عليه اعتقاد المسلمين قاطبة قال تعالي: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾. [1]

إن الأداء الصحيح للقرآن الكريم من أبلغ وسائل الدلالة الصوتية تعبيراً عن جو المراد، فضلاً عما يحدثه الأداء التجويدي من إيقاع عذب وتركيب منسجم." فكثيرا ما تجد اتساع مساحة المد في جملة واحدة فيشعرك هذا بمعنى سائد في السياق، وكثيرًا ما تجد تكثيف الإدغام والغن مما يشعرك هذا بمعنى آخر في سياق آخر. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً﴾[2] فعند قراءة الآية الكريمة قراءة تجويدية صحيحة ينبغي أن يستوفي المد حقه حيث تشتمل الآية الكريمة على أربع كلمات يشيع فيها المد الناشئ عن وجود الهمزة بعده في صلب الكلمة وينبغي مد الصوت بحرف المد قبل الهمزة مدا يتسع ويزيد مع حرف اللين في (هؤلاء) وفي (عطاء) ويترتب على انتشار هذا المد وتواليه باتساع عطاء الله وأنه لا ينفد على الرغم من اتساع الخلق وكثرتهم مؤمنين وكافرين. [3]

والقراء في مجموعهم وعلى مدى تاريخهم يلتزمون قواعد الأداء والتجويد حين يتنغمون بآي القرآن، ومن يترخص منهم في هذا الالتزام ولو قليلاً يسقط قدره بين القراء والمستمعين على السواء. لذا فهم" يتفاضلون في العلم بالتجويد، فمنهم من يعلمه رواية وقياساً وتمييزاً، فذلك الحاذق الفطن، ومنهم من يعرفه سماعاً وتقليداً فذلك

---

(١) سورة النمل الآية (٦).

(٢) سورة الإسراء الآية رقم (٢٠).

(٣) البلاغة الصوتية في القرآن الكريم ص ٦٧، ٦٨ بتصرف.

الوهن الضعيف، لا يلبث أن يشك ويدخله التحريف والتصحيف إذ لم يبن على أصل ولا نقل عن فهم ".[1] يقول ابن الجزري:

والأخذ بالتجويد حتم لازم من لم يجود القرآن آثم

لأنه به الإله أنزلا وهكذا إلينا منه وصلا

وهو أيضا حلية التلاوة وزينة الأداء والقراءة [2]

ب): ـ المهارة بقراءة القرآن الكريم :

الماهر: الحاذق، وأصل المهارة الحذق بالسباحة ونحوها. والمراد بالمهارة بالقرآن: جودة التلاوة بجودة الحفظ فلا يتلعثم ولا يتشكك وتكون قراءته سهلة بتيسير اللّه تعالى كما يسره على الكرام البررة. فالماهر بالقرآن هو الحافظ له مع حسن الصوت به، والجهر به بصوت مطرب بحيث يلتذ سامعه ".[3] وقيل هو: " الحاذق الكامل الحفظ الذي لا يتوقف ولا يشق عليه القراءة بجودة حفظه وإتقانه ".[4] فالماهر – إذن – من اجتمع فيه شرطان هما: جودة الحفظ، وإتقان الأداء ؛ لذا قيل: الشيخ الماهر الجامع بين الرواية والدراية المتفطن لدقائق الخلل في المخارج والصفات أعزّ من الكبريت الأحمر.

---

(١) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد – د / غانم قدوري الحمد ص ٦٢ .

(٢) طيبة النشر في القراءات العشر – ابن الجزري – تح / محمد تميم الزغبي ص ٣٦ – دار الهدى / جدة – ط / أولى ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٣/ ٥١٩ .

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج – النووي ٦ / ٨٤ .

وثواب الماهر أن يكون مع الملائكة أو الرسل فعن عائشة – رضي اللّه تعالى عنها – قالت: قال رسول اللّه – ﷺ –: " الماهر بالقرآن مع السّفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القران ويتتعتع فيه وهو عليه شاقّ وفي لفظ: والّذي يقرأ وهو يشتدّ عليه له أجران ".[1]

يقول الشيخ علي السويسي: ' إن القارئ المهار يجعل المستمع أقرب إلي القرآن ". وكذا أكد الشيخ الحصري – رحمه الله – علي أن: ' القارئ يحتاج الي موهبة وصوت ، ليأتي بألوان مختلفة للمعاني المختلفة. وليس بوسع كل إنسان أن يفعل هذا '.[2]

فقارئ القرآن بالإضافة إلى الصوت الحسن يحتاج إلى مجموعة من المهارات الصوتية التي تساعد على إظهار التلاوة بصورة أجمل وأرقى. كما أن بعض هذه المهارات تساعد على تبيان المعاني بشكل أفضل وأجمل. ومن هذه المهارات الصوتية ما يلي :

١. القراءة بتمهل وتدبر وفهم للمعنى المراد من الآية فالله – تبارك وتعالى – يقول: " وَرَتِّلْ الْقُرْآن تَرْتِيلًا " أي: اقرأه على تمهل فإنه يكون عونًا على فهم القرآن وتدبره، وكذلك كان يقرأ صلوات اللّه وسلامه عليه: قالت عائشة – رضي اللّه عنها –: كان يقرأ السورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها...[3]

٢. إطالة النفس: لابد من مراعاة طول نفس القارئ مع تحديد مواضع الوقف لالتقاط النفس في راحة دون معاناة.[4] فالإنسان عندما يبدأ يتنفس، يجد الخفة والسرور والنشاط ثم ينقطع النفس شيئاً فشيئاً حتى ينقطع كلياً، ويضطر الإنسان إلى أخذ

---

(١) السابق نفسه، ومعارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول – حافظ بن أحمد بن علي الحكمي – تح / عمر بن محمود أبو عمر ٢٩٢/١– دار ابن القيم / الدمام – ط /أولى ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

(٢) شرح كتاب العلوم الجلية في الوصول إلي المقامات الصوتية ص ٤، ٥ .

(٣) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) ٢٦١/٨ .

(٤) اللغة العربية أداء ونطقا وإملاء وكتابة ص٩١ .

النفس الجديد. إن هذا الامتداد الخاص للنفس الإنساني لا يمكن أن يحد بحد معين معلوم، بل هو محدد بحد مبهم، ومقدر بمقدار مضطرب بين أفراد البشر... وعلى كل فإن الله – ﷻ – قد اعتبر هذا الامتداد للنفس (في حده المشترك الوسط) هو الوزن في كتابه الكريم، وقسمه ثلاثة أقسام: الطويل، والمتوسط، والقصير.[1] وترتبط هذه الإطالة بعوامل عدة تساعد على وجودها ومن أهمها:

• العطية الإلهية: فلا شك أن القراء يختلفون من حيث حناجرهم وتركيبة أجسامهم، فبعض القراء منّ الله عليهم بنفس طويل، والبعض بنفس متوسط، أو قصير. وهذا الأمر ليس للقارئ فيه من خيار، ولكن عليه التدرب الجيد على إطالة النفس بالقراءة.

• صحة الجهاز التنفسي: لصحة الجهاز التنفسي دور كبير في طول النفس، لذلك على القارئ أن يهتم بالجانب الصحي، وأن يتجنب ما يضر الجهاز التنفسي كاستنشاق الغبار والتدخين. وإذا لاحظ القارئ أنه يعاني من كثرة البلغم أو الكحة أو الزكام الدائم أو غيرها فيجب عليه ألا يستهين بها ؛ لأنها عوامل تؤثر على الصوت وطول النفس كثيراً.

• إتقان التجويد: لابد للقارئ الجيد المهار في تلاوة القرآن الكريم تلاوة جيدة أن يلم بقواعد التجويد حتى يمتلك مهارات التلاوة. وخاصة إتقان مخارج الحروف وصفاتها. فمثلاً حروف الجهر لا يجري فيها النفس، ولذلك يمكن توفير النفس عند النطق بها. وكذلك الغنة، فأغلب الناس يغنون كل الحروف نتيجة لارتخاء الجيوب الأنفية، والغنة

---

(١) الفوز الكبير في أصول التفسير– الإمام / أحمد بن عبد الرحيم المعروف بـ "ولي الله الدهلوي" – عَرَّبَه من الفارسية / سلمان الحسيني النَّدوي ص ١٥٢ – دار الصحوة / القاهرة – ط /ثانية ١٤٠٧هـ /١٩٨٦م.

تستهلك الكثير من النفس، والتخلص منها يحتاج إلى تدريب كثير ولكنه يؤثر كثيراً على طول النفس.

• التنفس بطريقة صحيحة: ويتحقق ذلك بأخذ النفس عن طريق الأنف وإخراجه عن طريق الفم. ولكن أغلب الناس يستخدم فمه للشهيق والزفير معاً نتيجة التعود الخاطئ. ولذلك يجب أن يعود القارئ نفسه على التنفس السليم. وذلك بتعويد القارئ نفسه على أخذ النفس بطريق سليمة أثناء التلاوة أي عن طريق الأنف، مع المحافظة على استقامة الظهر، أي عدم القراءة بظهر منحنٍ؛ لأن ذلك يضغط على الرئة ولا يسمح بسحب كمية كبيرة من الهواء يساعد على طول النفس. ويفضل تعويد النفس على أخذ كمية كبيرة من الهواء حتى حين تلاوة المقاطع القصيرة لكي تصبح عادة دائمة ولعدم الوقوع في أي مأزق أثناء التلاوة. ومن الخطأ الشائع الذي يقع فيه أكثر القراء بل أغلب الناس الذين يقرؤون القرآن عامة هو التنفس والقراءة من الرئتين، وهذا مما يؤدي إلى انقطاع النفس أو الغصة أحياناً أو الخنقة التي تحدث لبعضهم. وبالتأكيد هذا الفعل سيرهق الحنجرة ويتعبها، والأصح هو القراءة وإخراج الهواء من المعدة وليس من الرئتين؛ لأن إخراج الهواء من المعدة أيسر للحنجرة على تأدية وظيفتها؛ وأطول للنفس أيضاً، فلا يكون فيه انقطاع أو خنقة أو غيرها.

• ممارسة الرياضة: تساعد الرياضة وخاصة رياضة الجري والسباحة كثيراً في تحسين التنفس وزيادة اتساع الرئة، ومن المهم التنفس بشكل صحيح أثناء ممارسة الرياضة للحصول على الفوائد المرجوة.

• الاقتصاد حين صرف النفس: يتوجب على القارئ أن يقتصد قدر الإمكان حين التلاوة، فيحاول أن يعطي الحرف حقه دون زيادة أو نقصان... ويمكن للقارئ المتمكن أن

يتكلم دون أن يتنفس. وبهذا يستهلك أغلب الهواء في النطق لا في التنفس فيتحدث لفترة أطول.

• النوم الجيد والكافي قبل التلاوة: يعتبر النوم من أهم العوامل في إطالة النفس، فإن النوم له أثر كبير على الصوت بشكل عام وعلى أغلب المهارات الصوتية بشكل خاص.

• التلاوة بطبقة مناسبة: لطبقة الصوت دور كبير في طول النفس، فإن التلاوة بطبقة مرتفعة جداً ـ (غير متناسبة مع مقدرة القارئ) ـ تساهم بشكل كبير في تقصير النفس واستهلاكه، والأمر نفسه ينطبق على التلاوة بطبقة منخفضة جداً.

• التدريب المتدرج على الآيات الطويلة: محاولة التدرج في التلاوة تساهم في تنمية النفس والاستفادة من كل ما سبق، بحيث يحدد القارئ لنفسه كلمة يتوقف عندها وبعد ذلك يزيد المقطع كلمة أخرى وهكذا ".[1]

وعلى هذا يكون طول نفس القارئ أحد العوامل الرئيسة في جمال الأداء ؛ لما يحققه من ترنم وتفاعل بين القارئ والمستمع. وقد ذكرنا من قبل أن للعوامل الفسيولوجية دورا رئيسًا في طول النفس وأن كبر حجم الرئة يكون سبباً في قصر النفس، لكن ذكرنا أيضاً أن إطالة النفس قد يكون صفة مكتسبة، وهذا لا يتحقق إلا بفعل العوامل السابقة مع التدريب والتمرين على قراءة مثل هذه الآيات.

(١) انظر : مقال في النت عن طول النفس .

ج): ـ التلوين الصوتي ودوره في جمال الأداء القرآني :

يساعد التلوين الصوتي الذي يحدثه القارئ في تلاوته لآي الذكر الحكيم على تنويع النغمات الأدائية، الأمر الذي يجعل المستمع مشدوهاً ومنتبهاً لجمال الأداء ومتأملاً لما يتضمنه من فكر وما يحويه من معان لا تبين إلا بها، ومن أهم هذه التلوينات الصوتية:

١. القراءات القرآنية ودورها في جمال الأداء :

اشتهرت القراءة في الأمصار اشتهاراً عظيماً، وصار كل إمام يقرئ بما سمع، وكل يقر قراءة صاحبه، على أساس أنه مشتمل بالإذن النبوي الكريم في الإقراء بالأحرف السبعة... وقد بدأ الأئمة في مطلع القرن الثالث بتحديد القراءة المقبولة من القراءة المردودة، ولا تحسب أن الأمر قبل ذلك كان على عواهنه، بل كانت الأئمة تميز بسلائقها المقبول من المردود من القراءات، وتعتمد لذلك اعتبارات كثيرة، منها منزلة الإمام المقرئ، والتزامه بالعربية فيما يقرئ فيه، وموافقته للرسم، وغير ذلك. ثم اتفقت الأمة على شروط ثلاثة أصبحت ضابطاً دقيقاً في قبول القراءات وردها.[1] وليس للأئمة القراء أدنى اجتهاد أو تحكم في نص القراءة المقبولة، بل إن مهمتهم تنحصر في ضبط الرواية وتوثيق النقل، وكان غاية ما فعله هؤلاء الأئمة أن تخصص كل واحد منهم بنوع من أنواع القراءة التي سمعها عن أصحاب النبي – ﷺ – كما نقلوها عنه – ﷺ – وخدمها، وتفرغ لإقرائها وتلقيها، فنسبت إليه لا على سبيل أنه أنشأها وابتكرها ؛ بل على سبيل أنه قرأ بها وأقرأ عليها، وإلا فالمنشأ واحد وهو المصطفى – ﷺ – عن الروح الأمين عن رب العالمين، وهذه القضية محل إجماع من علماء الأمة قاطبة.

---

(١) القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية – محمد حبش صـ ٦١ – دار الفكر /دمشق – ط /أولى ١٤١٩/ ١٩٩٩

وهذه القراءات نجد الاختلاف فيها – مع أنها تنتهي جميعها إلى المورد العذب، والمنهل السائغ وهو تلاوة النبي – ﷺ – التي تلقَّاها عن ربه – ليس اختلاف تضاد في المعاني، أو اختلاف تباين في الألفاظ.[1]

وقد نصّ ابن الطحان الأندلسي الإشبيلي (ت ٥٦١ هـ) على أن الأصول الدائرة في القراءة على اختلاف القراءات عشرون أصلاً يحققها الإقراء ويحكمها الأداء وهي: " البسملة، والتسمية، والمد، واللين، والمط، والقصر، والاعتبار، والتمكين، والإشباع، والإدغام، والإظهار، والبيان، والإخفاء، والقلب، والتسهيل، والتخفيف، والتثقيل، والتتميم، والتشديد، والنقل، والتحقيق، والفتح، والفَغْرُ، والإرسال، والإمالة، والبطح، والإضجاع، والتغليظ، والتفخيم والترقيق، والروم، والإشمام، والاختلاس ". والمتأمل في كلام ابن الطحان يجد أصول أبحاث علم التجويد داخلة في أصول علم القراءات مثل: المد، واللين، والإخفاء، والقلب، والإظهار والإدغام، والتفخيم والترقيق.... وإلخ.[2]

إنَّ هذه القراءات تنتهي إلى أنَّها من ترتيل القرآن الذي رتله الله – ﷻ – وتفضَّل بنسبته إلى ذاته الكريمة العلية، فقال تبارك وتعالى: ﴿ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾ فهي الأصوات القرآنية التي أثرت واتبعناها عن النبي – ﷺ – فهي في مدّها وغنّها، وإهمازها، وإهمال همزاتها، وإمالتها وإقامتها، أصوات القرآن المأثورة ؛ إذ إن القراءة سُنَّة متبعة، وإن اختلاف القراءات الصحيحة وكلها متواترة عن الصحابة الذين أقرأهم النبي – ﷺ – وأعلمهم طرق الأداء التي تعلمها عن ربه، كما يشير إلى ذلك ما تلونا من قبل، وهو قوله

---

(١) المعجزة الكبرى القرآن – محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة ص ٣٧ – دار الفكر العربي.

(٢) أرشيف ملتقى أهل التفسير ٢ ص ٣٥٧٩.

تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾. (١)

وقد عرفوا القراءات بأنها: " اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف وكيفيتها من تخفيف وتشديد، وغيرها ". (٢) وقيل هي: " علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها، معزواً إلى ناقله ". (٣)

أما عن أثر القراءات القرآنية في جمال الأداء لآي الذكر الحكيم، فالقراءات القرآنية المتواترة بكل ما تحويه من ثراء لغوي وبلاغي، وما ترتّب عليها من أحكام فقهية وتشريعية لها دور بالغ ومؤثر في جمال الأداء لآي الذكر الحكيم، يدرك ذلك من يستمع إلى قراءة الآيات بالاعتماد على قراءة واحدة تارة، وقراءتها من القارئ الواحد بالقراءات المتعددة الوجوه تارة ثانية. فتأمل ولاحظ الفرق بين قراءة الشيخ عبدالباسط لسورة الضحى بالإمالة الصغرى، وقراءته لها من غير إمالة فيبرز لك هذا الأثر واضحاً جلياً، كما تأمل جيداً لجمال أداء الشيخ مصطفى إسماعيل - رحمه الله - في آخر سورة الفجر وكيف كانت القراءات القرآنية بتنويعاتها المختلفة التي قرأ بها الآيات عاملاً مؤثراً في جمال الأداء ؛ لذا طالب محمد بن جرير الطبري القراء " أن يتحرّوا أفصح القراءات وأعذبها وأثبتها، وإن كانت الأخرى جائزة غير مردودة ". (٤)

---

(١) سورة القيامة الآيات : (١٦ – ١٩). والمعجزة الكبرى القرآن ص ٣٦ .

(٢) البرهان في علوم القرآن ١/ ٣١٨ .

(٣) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر– أحمد بن محمد شهاب الدين الشهير بالبناء – تح /أنس مهرة ٦/١ – دار الكتب العلمية / لبنان – ط /ثالثة ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م .

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن – الطبري– تح / أحمد محمد شاكر ٥٥٢/٢٢– مؤسسة الرسالة – ط / أولى ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م .

فالقراءات القرآنية هي في مجملها تلوين صوتي مناسب وملائم وهذا ما وضحه أحد الباحثين المحدثين في قوله: " إن مثل القراءات والقرآن الكريم كمثل التنويعات على لحن عبقري خالد، منها ما تلقى القبول فشاع وذاع وأقبل عليها أهل الأمصار، ومنها ما لم يحظ بالقبول فلقبه الناس بالشاذ وهجروه وانصرفوا عنه. ولم يكن الهوى هو المقياس الذي شاع عند الناس لقبول قراءة والإعراض عن أخرى، ولكن جاء مقياسهم توليفة عبقرية من الأركان والشروط عبرت بصدق عن المنهج الإسلامي الخالص.... واللحن الأساسي في القراءات كان رسم الكلمات في المصحف العثماني الإمام خالياً من الضبط والنقط والإعجام. أما التنويعات على هذا اللحن الأساس فكانت القراءات، فما وافق منها رسم المصحف كان قراءة قرآنية وإلا فهو شاذ، وما وافق العربية الفصيحة السائغة كان قراءة قرآنية، وما أتى بلهجة هابطة فهو شاذ، وما جاء منها رواية صحيحة فهو قراءة قرآنية، وما لم يأت بالرواية فهو ليس بقراءة ولا بقرآن... فجاءت عبقرية القرآن شاهدا على عبقرية القراءات والقراء معاً" [1]

فمن تعدد القراءة الواحدة تنشأ ألوان أو صيغ من التلوينات الصوتية المتناسقة مع كل طريقة فيها ضمن القراءة الواحدة. ومن تعدد القراءات يأخذ التلوين الأدائي طرائق متعددة يختلف حسب اختصاص كل قراءة وأدائها على الوجه المحفوظ الثابت. ويصح علميا أن تؤدى آية واحدة بألوان من الأداء المشروع الملتزم، ثم الآية الثانية، فالثالثة، وهكذا إلى نهاية النص أو السورة حتى تكتمل لدينا جمل صوتية وافرة بمقاديرها وحدودها تعبر عن تناسق في هذه الألوان والصيغ في عدد ضخم من الهيئات الأدائية الرائعة... فالتكوين الجرسي الذي ينشأ من تعدد القراءات المتواترة بين خطف المد، ومد

(١) إعجاز القراءات القرآنية - د/ صبري الأشوح - مكتبة وهبة / القاهرة - ط/أولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .

المخطوف، وتغيير في بنية اللفظة من المفرد إلى الجمع، ومن الخطاب إلى الغيبة، ومن إيراد اللفظة على وجوه صحيحة أخرى، يزيد في غنى هذه الأشكال والأساليب الصوتية إلى المستويات الشاملة لجرس إيقاعي لا يعرف له نظير في الشعر والنثر معاً.[1]

فالقارئ بالقراءات القرآنية المتواترة يضفي على القرآن الكريم جماليات صوتية يصعب تحديدها.[2] كما أن للقراءات القرآنية في ترتيل القرآن فوائد جمالية أخرى غير ما سبق أهمها: " أن القراءات هي ترتيل القرآن الذي علمنا الله إياه على لسان نبيه – ﷺ – إذ علمه ربه، ونسب الترتيل إلى ذاته العليّة، فقال تعالى: ﴿ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾، وأمر نبيه بهذا الترتيل هو ومن اتبعه، فقال تعالت كلماته: ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ فكانت القراءات التي نزل بها القرآن هي تصريف ذلك الترتيل وتنويعه، وكما أنَّ المعاني القرآنية صرفها الله – تعالى – من الاستفهام إلى التقرير، ومن الاستنكار والتوبيخ إلى التهذيب والتأديب، وكما صرف الله آياته كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ .[3] فقد صرَّف تلاوته وترتيله، فكان الترتيل في التأليف الصوتي، والتناسق في النطق، وتنوع ذلك التناسق من ارتفاع ومد طويل إلى خفض ومد قصير – ونحوه – ما يجعل القارئ في ذلك التنوع – (وذلك التلوين الصوتي) – يترنم بالقرآن في إجلاله وروعة بيانه ودقة معانيه.

وأمر ثانٍ يبدو في تنويع القراءات مع ثبوت تواترها، وأنها عن الله العلي القدير، نجد أن اختيار قراءة من القراءات في المقام الذي تناسبه يكون توضيحًا للمعنى، ومناسبًا

---

(١) الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم- نذير حمدان ٢٠٢، ٢٠٣- دار المنايرة - جدة /السعودية - ط /أولى ١٤١٢هـ /١٩٩١م.

(٢) السابق ص ٤٣٤.

(٣) سورة الأنعام الآية : (١٠٥) .

للمؤدَّى، فمثلًا قراءة الإمالة تكون في الوضع اللين والخطاب الرقيق، ويتركها القارئ الفاهم في موضع التهديد والإنذار إلى قراءة أخرى تناسب التهديد والإنذار الشديد. فمثلاً في سورة الحاقة لا يعمد المرتِّل المدرك إلى اللين في الوقوف على التاء ؛ لأنه لا يتناسب مع موضوع التهديد الذي اشتملت عليه السورة كلها، وقد نبَّهنا بعض القراء الذي كان يختار اللين، فتنبَّه، وما عاود أمامنا ما كان يفعل.

وأمر ثالث في تعدد القراءات فوق ما فيها من مراعاة مقتضى المعاني، وفوق ما فيها من ترتيل... ذلك الأمر أنَّ تنوع القراءات فيه تسهيل على القارئ العربي، فقد تصعب عليه قراءة ؛ إذ لا تطاوعها طبيعته أو سليقته اللغوية.[1]

٢ ـ الإيقاع في الأداء القرآني ودوره في جمال الأداء :

للإيقاع في الأداء القرآني جمال مؤثر في نفس المستمع ، فلا تخلو آية من آياته منه، فكلما قرأت آياته ازدادت عذوبة في فمك، وحلاوة في ذهنك، وليس الأمر قاصراً على آية دون أخرى بل إنه يشمل أدق التفاصيل في الآية الواحدة .

فالقرآن الكريم يمتاز في كل سورة منه وآية، وفي كل مقطع منه وفقرة، وفي كل مشهد فيه وقصة، وفي كل مطلع منه وختام بأسلوب إيقاعي مؤثر.[2] وحيثما تلا الإنسان القرآن أحس بذلك الإيقاع الداخلي في سياقه ؛ يبرز بروزًا واضحًا في السور القصار، والفواصل السريعة، ومواضع التصوير والتشخيص بصفة عامة؛ ويتوارى قليلًا أو

(١) المعجزة الكبرى القرآن ص ٤٢.

(٢) مباحث في علوم القرآن – د/ صبحي الصالح ص ٣٣٤ – دار العلم للملايين – الطبعة (٢٤)، ٢٠٠٠م.

كثيرًا في السور الطوال، حتى تنفرد الدقة في آيات التشريع. ولكنه – على كل حال – ملحوظ دائمًا في بناء النظم القرآني.[1]

وهذا الإيقاع لا يمكن أن تجده في غيره من الكلام يقول أحد الباحثين المحدثين: " من الأدلة القوية القريبة الباهرة القاهرة على أنَّ للقرآن الكريم إيقاعه الذي لا يمكن أن تجده في غيره من الكلام، وإن كان كلام نبيّ مرسل أن تعمد إلى أي بيان غير القرآن الكريم، وتطلب ممن تراه الإمام في أصول التغنيّ – (أي في حسن الأداء) – بالبيان القرآني أن يتغنى بذلك البيان غير القرآني على أصول التغني بالبيان القرآنيّ، وإن كان حديثًا نبويًا بل وإن كان حديثًا قدسيًا، فإنَّه لا محالة عاجز عن أن يفعل، وإن حمل على نفسه وقسرها على أن تتكلف بان عواره وشناره، وبدا منه ما يضحك ".[2]

وقد أبان عبد القاهر الجرجاني في كتابه (دلائل الإعجاز)عن أن الطلاوة والظرف والحسن والحلاوة والأريحية والنشوة إنما يأتيك من مواقع الألفاظ واختيارها واختيار هيأتها، وما الطلاوة والحلاوة إلاَّ من حسن إيقاع الكلام، ودلل على ذلك بذكر نماذج عدة من القرآن الكريم.[3]

والقرآن الكريم وإن كان يسير على سنن العربية وأساليبها في التعبير، إلا أن أداءه عن طريق القارئ المجود المتقن يتميز بالإيقاع المعجز، والجرس اللافت للنظر. وهذا الإيقاع يحدث بالإفادة من جرس الألفاظ وتناغم العبارات لإحداث التوافق الصوتي بين مجموعة من الحركات والسكنات لتأدية وظيفة سمعية والتأثير في المستمع. ويأتي

---

(١) التصوير الفني في القرآن – الشيخ / سيد قطب صـ ١٠٣ – دار الشروق / مصر – ط /رابعة ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.

(٢) العزف على أنوار الذكر ص ٢١٦.

(٣) دلائل الإعجاز ص ٩٩ وما بعدها.

هذا الإيقاع من اختيار الكلمات من حيث كونها تعبر عن قيمة التأثير الذي تحدثه وظيفة الكلمة في مدلولها الإيقاعي، فهو إحداث استجابة ذوقية تمتع الحواس وتثير الانفعالات.[1]

والإيقاع في الأداء القرآني صورة للتناسق الصوتي، ومظهر من مظاهر تصوير معانيه، وآية من آيات الإعجاز الذي يتجلى في أسلوبه المتميز. إذ يحوي الأداء القرآني إيقاعاً صوتياً متعدد الأنواع مؤثراً ومتناغماً مع المضمون إذا استطاع القارئ تأديته كما ينبغي، وهذا لا يتحقق إلا عن طريق التلقي والمشافهة والتدريب على طريق الأداء المناسبة لمضمون الآية فيشعر المستمع بعذوبة وجمال الأداء وما أفاده من دلالة لا تستفاد إلا من خلال هذه الطرق الأدائية المتميزة كما في الاستفهام الوارد في القرآن الكريم من دون أداة، أو الاستفهام التقريري أو الإنكاري ولكليهما طريقة أدائية مختلفة لا يتحقق الغرض من دونها. فالجملة التقريرية ؛ الإثبات، والنفي، والشرط، والدعاء تنتهي بنغمة هابطة. كذلك الأمر بالنسبة للجملة الاستفهامية بغير الأداتين (هل والهمزة). أما الاستفهام بهاتين الأداتين فإن الجملة الاستفهامية تنتهي بنغمة صاعدة. لكن إذا وقف المتكلم قبل تمام المعنى وقف على نغمة مسطحة (ـ) لا هي بالصاعدة ولا بالهابطة ".[2]

بل إن ألفاظ الاستفهام في القرآن الكريم تستعمل كثيرا في معان غير الاستفهام بحسب ما يناسب المقام. فيقع الاستفهام بمعنى: الإنكار، والتمني، والتقرير، والتعظيم، والتحقير، والاستبطاء، والاستبعاد، والاستخفاف، والتبكيت، والتهكم... وغيرها من المعاني التي جاوزت اثنين وثلاثين مقصداً عند بعض البلاغيين.

---

(١) أثر التلوين الصوتي في البلاغة القرآنية – د/ أسامة عبد العزيز جاب الله ص ٢٥ بتصرف.

(٢) السابق ص ٢٠.

وكل هذه المعاني تحمل شحنات نفسية مختلفة في نوعها وفي مستوى حدتها ورد الفعل تجاهها، وذلك حسب ما يقتضيه المقام.[1] ولكل غرض من هذه الأغراض طريقة أدائية ذات تنغيم خاص وإيقاع معين يؤديه القارئ ويفهمه المستمع. فالتنغيم هو الذي يلون الكلام من خبر إلى استفهام أو توكيد أو انفعال أو تعجب أو تهكم أو إنكار، وعدم انتظام إيقاع الكلام وكثرة تغير نبرات الصوت يعد عيباً مخلاً بجمال الأداء.

وكذا يظهر دور الإيقاع وأهميته في الآيات التي يمكن أن تؤدي دلالات متعدة تبعاً لطريقة الأداء على نحو ما نجده في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ فَمَا جَزَآؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ * قَالُواْ جَزَآؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾[2]. فالتنغيم في الجزء الثاني من الآية يُعَدُّ محوراً رئيساً في تحديد التركيب ، وذلك لما يمكن أن يفيده من دلالات عدة في الكلام. حيث يمكن للقارئ أن يقرأ: جملة (قالوا جزاؤه) بنغمة الاستفهام، أي: ما جزاؤه؟ ، وجملة (من وجد في رحله فهو جزاؤه) على التقرير جملة واحدة. ويقرأ على التعجب والاستهجان (قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه). ويقرأ على التبرم والانزعاج (من وجد في رحله فهو جزاؤه). وهكذا في تقليبات تنغيمية في سياق الآية دون المساس بالأصل الدلالي، بل يتم التنويع في إطار هذا الأصل ودون العدول عنه.[3] فهو

(١) السلوك الانفعالي في أسلوب الاستفهام (دراسة لغوية تحليلية نفسية) – علي محمد نور المدني – مجلة جامعة الملك عبدالعزيز – كلية الآداب والعلوم الإنسانية مجلد (١٧) العدد (١) ص ٤٤٦، ٤٤٧ سنة ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

(٢) سورة يوسف : الآيتان رقم (٧٤، ٧٥) .

(٣) أثر التلوين الصوتي في البلاغة القرآنية ص ٢٤ .

كامن في نسيج اللفظة المفردة، وتركيب الجملة الواحدة، وهو يدرك بحاسة خفية، وهبة لدنية ".[1]

وبذلك يكون عنصر التنغيم ركناً أساساً في الأداء يتحكم على نحو واضح في تحديد المعنى وتوجيهه اعتمادًا على كيفية أداء الجملة وتنغيمها، إذ إن (تغير النغمة قد يتبعه تغير في الدلالة في كثير من اللغات) إذ هو يضفي على التراكيب المنطوقة معاني إضافية لا يمكن الوصول إليها بمجرد معرفة معاني مفردات هذا التركيب أو ذاك، ولا تفهم غالباً من تركيب الجملة المكتوبة.[2]

كما يتسم السجع القرآني عند القائلين به وهم البلاغيون بكونه بنية بديعية إيقاعية، يرتكز إيقاعها على التكرار الصوتي المنتظم.[3]

كما يساعد الجناس على جمال الإيقاع فهو من الحلى اللفظية والألوان البديعية التي لها تأثير بليغ تجذب السامع، وتحدث في نفسه ميلاً إلى الإصغاء والتلذذ بنغمته العذبة، وتجعل العبارة على الأذن سهلة ومستساغة فتجد من النفس القبول وتتأثر به أي تأثير، وتقع من القلب أحسن موقع... فالنقاد يرون في الجناس - كأي محسن بديعي - جمالاً موسيقياً يطرب الأذن، إلا أنهم يرون أن يكون كالحلي، يروق منه القليل الذي يأتي في الكلام إذا استدعاه المعنى. ففي كثرته تكلف غير محمود ".[4] وقد ورد هذا الجناس في

---

(١) التصوير الفني في القرآن ص ١٠٦.

(٢) أثر التنغيم في توجيه الأغراض البلاغية لعلم المعاني (الاستفهام نموذجا) - د/ مزاحم مطر حسين - مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية - العددان (٣، ٤) - المجلد (٦) ص ٤٠ - ٢٠٠٧م.

(٣) السجع القرآني دراسة أسلوبية - ماجستير بكلية الآداب عين شمس - الباحثة/هدى عطية عبدالغفار ص ٩٢ سنة ٢٠٠١م.

(٤) البديع في ضوء أساليب القرآن - د/ عبدالفتاح لاشين ١٥٨: ١٦١ بتصرف - دار الفكر العربي/ القاهرة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

القرآن الكريم فكان له إيقاع جميل ومؤثر في نفس المستمع ومنه على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿ كَلاَّ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ * وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ * وَظَنَّ أَنَّهُ الفِرَاقُ * وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ * إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ المَسَاقُ ﴾. [1] فما أروع أداء الشيخ عبدالباسط لهذه الآيات في قراءته المجودة، حيث تصور حالة احتضار الكفار ذوي الوجوه الباسرة خير تصوير، وتجعل المستمع مشدوهاً بجمال الأداء وكأنه يشاهد هذه الحالة. وكذا أداؤه للآيات التالية لها والتي توضح الأسباب التي تجعل وجوه الكافرين يوم لقاء ربهم على هذه الهيئة الباسرة، خلافا لوجوه المؤمنين النضرة بنظرتها إلى ربها ﷻ.

وللفاصلة القرآنية دور رئيس وبارز ومؤثر في جمال الأداء وفي حسن الإيقاع إذ هي عنصر أساس من عناصر اللغة الإيقاعية، والقرآن الكريم يمتاز بحسن الإيقاع، فتأتي الفاصلة في ختام الآيات حاملة تمام المعنى، وتمام التوافق الصوتي في آن واحد. لكن فضلنا أن ندرس أثرها في جمال الأداء بعيدًا عن الإيقاع ؛ لارتباطها من حيث تكوينها الصوتي بلغة القرآن الكريم أكثر من ارتباطها بأداء القارئ.

ويعد الوقف – أيضاً – دعامة أساسية تسهم في إبراز الجمالية الإيقاعية للسجع ؛ ذلك أنه يكفل لخاصية التوازن والتعادل الظهور من خلال ما يحدثه من جرس موحد ناتج عن مجئ التماثل الصوتي بين أحرف الروي مصحوباً بتماثل في الحركات النطقية. [2]

كما يعد التزمين – وهو السرعة التي يقرأ بها القرآن الكريم وهي ما بين التحقيق والترتيل والتدوير والحدر– لوناً مهماً من ألوان الإيقاع ورافداً من روافده المتعددة ؛ لما له من أثر في إيصال إحساس المتكلم وانفعالاته أو الحالة النفسية المصاحبة للنص

---

(١) سورة القيامة الآيات من (٢٦) إلى (٣٠).

(٢) السجع القرآني دراسة أسلوبية ص ١٣٩.

المستمع، وإفهامه المعنى المطلوب. كما في قوله تعالى: ﴿ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [1] فقد صورت لنا الآية الكريمة الحالة النفسية التي كن عليها نبي الله يعقوب – عليه السلام – بعد ما فقد ابنه يوسف أحب أبنائه إليه، كما صورت شدة حزنه وحسرته على فقده فلذة كبده، وقد تم التعبير عن ذلك كله بتزمين طويل، فكلمة (تولى) فيها مد طبيعي يستغرق زمناً مقداره حركتان كما يسميه علماء التجويد، وكذلك الفعل (قال)، ثم (يا أسفى) هذا المد المنفصل الذي يؤديه التالي للآية بنبرة طويلة توحي بهذه الحالة النفسية الأليمة، ثم كلمة (عيناه) بالمد الطبيعي، وأخيراً كلمة (كظيم) بالمد العارض للسكون، فنلاحظ أن سرعة المقطع كانت بطيئة لتعبر عن المعنى المراد بخلاف قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ القَمَرُ* وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ* وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ [2] فإن تلاحق الآيات بسرعة يوحي بخطورة الموقف وهو اقتراب الساعة ويا له من هول يستلزم السرعة. [3]

فالقارئ الجيد الفاهم لما يقرئ أو العارف بمضمون الآي يستخدم في تلاوته لآي الذكر الحكيم الإيقاع المناسب لأجواء كل سورة من سوره سرعة أو بطئاً، وهذا التنويع يتناسب مع معاني الآيات ومضامينها. فالإيقاع الذي يطلق في جو الدعاء والضراعة والخشوع والحزن كما في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ ﴾ [4] إيقاع بطئ متموج رخي مناسب

---

(١) سورة يوسف الآية : (٨٤).

(٢) سورة القمر الآيات : (١، ٢، ٣).

(٣) الأداءات المصاحبة للكلام وأثرها في المعني ص ٧٥، ٧٦.

(٤) سورة إبراهيم الآية : (٣٨).

لمضمون الآيات. أما قوله تعالى: ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الكَافِرِينَ* قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ المَاءِ قَالَ لاَ عَاصِمَ اليَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا المَوْجُ فَكَانَ مِنَ المُغْرَقِينَ ﴾ [1] فينبغي أن يكون الإيقاع فيها طويلاً وعميقاً يساعد على تصوير مشهد الطوفان وما فيه من هلع وفزع، وتساعد المدات المتوالية على إكمال الإيقاع وتكوينه واتساقه مع جو المشهد الرهيب العميق. فالإيقاع بما له من دور مهم في رسم الجو الخاص الذي تهدف إليه كل آية مما يزيدها وضوحاً وجلاء يحقق جمال الأداء والإعجاز الصوتي للقرآن الكريم، وبخاصة في قصار السور فكأنها أحجام متساوية في كل شيء. [2]

وبالتأمل لسماع قراءة الشيخ / عبدالباسط عبدالصمد – رحمه الله – لبدايات سور التكوير والانفطار والانشقاق على الرغم من أنها تتحدث عن مشاهد الانقلابات الكونية يوم القيامة ندرك أنه قد قرأ هذه السور بثلاث إيقاعات تزمينية مختلفة ففي سورة التكوير: ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ * وَإِذَا الجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا العِشَارُ عُطِّلَتْ * وَإِذَا الوُحُوشُ حُشِرَتْ * وَإِذَا البِحَارُ سُجِّرَتْ * وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ * وَإِذَا المَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ * وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ * وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ * وَإِذَا الجَحِيمُ سُعِّرَتْ * وَإِذَا الجَنَّةُ أُزْلِفَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴾. [3] كان الإيقاع أو التزمين سريعاً متلاحقاً ومرتفعاً في درجته ويهز النفس البشرية هزاً عنيفاً؛ لما فيه من تصوير مشهد الانقلابات الكونية يوم القيامة بسرعة فائقة دالة على القدرة الإلهية،

(١) سورة هود الآيتان: (٤٢، ٤٣).

(٢) التصوير الفني في القرآن ص ١١٣، والأداءات المصاحبة للكلام وأثرها في المعني ص ٧٧، ٧٨ بتصرف.

(٣) سورة التكوير الآيات من (١: ١٤).

فسبحان من يقول للشيء كن فيكون، وقد ساعد على صنع هذا الإيقاع أن الشيخ قد قرأ الآيات التسع سريعاً وفي نفس واحد مما يدل على فهمه للمعنى المتصور. وفي سورة الانفطار: ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ * وَإِذَا الكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ * وَإِذَا البِحَارُ فُجِّرَتْ * وَإِذَا القُبُورُ بُعْثِرَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾[1] جاء الإيقاع متوسطاً بين بين، على حين جاء التزمين في سورة الانشقاق: ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ * وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ * وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾[2] بطيئاً هادئاً رخياً وعميقاً ينساب في دعة وخفوت واستسلام حتى إننا نجد الشيخ قد قرأ آيات هذه السورة منفردة غير متصلة وبصوت أخفت كثيراً من سابقتيها. وقد كان أداء الشيخ متوافقاً تماماً في السور الثلاث مع أداء كل من الشيخين / مصطفى إسماعيل، ومحمود خليل الحصري – رحمهما الله – خلافاً للشيخ / أبي بكر الشاطري الذي كان أداؤه واحدًا في السور الثلاث وبنبرة سريعة.

وقد تلونت الإيقاعات الثلاثة بلون الإطار أو الجو العام لكل سورة، فجو سورة التكوير التقريع الشديد والتهديد، ومما يناسب هذا الجو أن يكون الإيقاع قوياً عنيفاً وسريعا متلاحقا. أما جو سورة الانفطار فكان العتاب واللوم المبطن بالوعيد ويتفق مع هذا الجو أن يكون الإيقاع أهدأ وأرفق، وأما جو سورة الانشقاق فقد كان الخشوع والخضوع لله ويتناغم مع هذا الجو أن يكون الإيقاع خاشعاً يسير في طواعية ويسر وإشفاق.[3]

---

(١) سورة الانفطار الآيات من (١ : ٥) .

(٢) سورة الانشقاق الآيات من (١ : ٥) .

(٣) قواعد تشكل النغم في موسيقى القرآن الكريم – مقال في النت .

فالإيقاع في الأداء القرآني طبقا لفهم القارئ وفقهه بالمعنى والسياق القرآني يتنوع تبعاً لموضوع الآيات القرآنية والجو العام للسورة وإن اتحد الغرض كما في الآيات السابقة، وكما في آيات الدعاء: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ العَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِياً * وَإِنِّي خِفْتُ المَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِياً * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِياً ﴾ [1] وهو دعاء عذب سلس الإيقاع بما فيه من نداوة ولين ودعة يناسبه الأداء الناعم في صوت منخفض يتسم بالحنان والرقة على نحو ما نجده في القراءة المجودة للشيخ / المنشاوي حيث ظهرت في صوته العاطفة والرقة أكثر من غيره كـ عبدالباسط مثلا، أما الدعاء في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ دَيَّاراً * إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلاَ يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِراً كَفَّاراً ﴾ [2] وهو دعاء ممن يمتلكه الغيظ من عناد قومه وكفره فكانت الكلمات الثائرة الغضبى وجاء الإيقاع العنيف الذي يصور هذه الصرخات أصدق تصوير على نحو ما نجده في القراءة المجودة للشيخ / عبدالباسط، على حين اختلف الأداء في الدعاء الوارد في قوله: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاْ * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ العَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً ﴾ [3] فهو دعاء ينطلق من الحناجر المكبوتة حناجر الكافرين النادمين يوم الحساب العسير ولنا أن نتخيل هؤلاء المعذبين تلفح وجوههم النار فيتحسرون ويحاولون التنفيس عن كربه ببعض الأصوات المتقطعة

(١) سورة مريم الآيات (٣، ٤، ٥).

(٢) سورة نوح الآيتان (٢٦، ٢٧).

(٣) سورة الأحزاب الآيات : (٦٧، ٦٨) .

المتهدجة كأنه يتخففون من أثقال تنقض ظهورهم ويفرغون عن طريقها ما يعانون من عذاب أليم.[1]

ولا يستطيع أن يفعل ذلك إلا قارئ متقن مجود عارف بالأغراض القرآنية وطريقة أدائها، خلافا لأسلوب الأداء الرتيب الممل الذي نسمعه من مرتلين محترفين يكررون السورة من أولها إلى آخرها بنبرة واحدة لا يختلف فيها موقف الحزن من موقف الفرح من موقف الوعيد من موقف البشرى من موقف العبرة. نبرة واحدة رتيبة تموت فيها المعاني، وتتسطح العبارات.

ولا أدل على أهمية الإيقاع في جمال الأداء لآي الذكر الحكيم من أن عدم انتظام الإيقاع في التلاوة وكثرة تغير نبرات الصوت يذهب كلياً بجمال الأداء، ونفور المستمع وانصرافه عن السماع أو التأثر بما يسمع.

والقراء يتفاوتون ويتفاضلون في أداء هذه الطرق الإيقاعية، وعلى قدر تفاوتهم يكون الإحساس بجمال الأداء أو العكس. فليس كل قارئ يستطيع تأديتها كما ينبغي، إلا قارئ متقن مجود عارف بدلالات القرآن الكريم ومناسبة الآيات التي قيلت فيها، والجو الذي تصوره الآيات أو تحيط به، فعلى قدر علمه بذلك، وقدرته على أدائها بالطريقة التي ينبغي أن يؤديها بها يتحقق له جمال الأداء والقدرة على التأثير في المستمعين له بإيصال المعنى المقصود، وإشاعة الجو النفسي المحيط بالآيات المقروءة في نفوسهم، والعكس صحيح.

ويرى الرافعي أن هذا الإيقاع الفريد هو مناط الإعجاز والتحدي لقريش لما قرأه عليهم رسول الله – ﷺ – في بدء الدعوة. حيث يقول: "لما قرئ عليهم [يعني قريشاً]

---

(١) قواعد تشكل النغم في موسيقى القرآن الكريم.

القرآن رأوا حروفه في كلماته، وكلماته في جمله، ألحاناً لغوية رائعة، كأنها لائتلافها وتناسبها قطعة واحدة، قراءتها هي توقيعها، فلم يفتهم هذا المعنى وأنه أمر لا قبل لهم به ؛ وكأن ذلك أبين في عجزهم.... وحسبك بهذا اعتباراً في إعجاز النظم الصوتي في القرآن، وأنه مما لا يتعلق به أحد، ولا ينفق على ذلك الوجه الذي هو فيه إلا فيه، لترتيب حروفه باعتبار من أصواتها ومخارجها، ومناسبةِ بعض ذلك لبعضه مناسبة طبيعية في الهمس والجهر، والشدة والرخاوة، والتفخيم والترقيق ؛ والتفشي والتكرير، وغير ذلك... ولولا القرآن وهذا الأثر من نظمه العجيب، لذهب العرب بكل فضيلة في اللغة، ولم يبق بعدهم للفصحاء إلا كما بقي من بعد هؤلاء في العامية، بل لما بقيت اللغة نفسها ".[1]

أما مُقَوِّمات الإيقاع فكثيرة ومنها: إقامة الإعراب على وجهه، فبإقامة أحكام العربية بنية وتركيباً يتحقق الإيقاع الجيِّد في الأداء، وبه – (النحو) – يرتّل القرآن، إلى جانب إتقان أحكام التجويد خاصّة ما يتعلق بالغنة، والمدّ بأنواعه المختلفة وقدر حركاتها، ومعرفة الأحكام الخاصة لبعض الحروف، مع تحقيق الحروف بأدائها من مخارجها وعلى صفاتها، وهي أمور إذا لاقت موهبة فطرية، وطبيعة طَيِّعةً، مع دربة وممارسة، وتثقيف، وحسن تأتٍّ، مع جمالٍ فطري للصوت، وسلامةٍ لأعضاء النطق، وتأثر القارئ بما يقرأ، كان منها تلاوة هي الغاية في الإيقاع والسلاسة، من دون نكير أو نشازٍ، وهذا من مقاصد القراءة "ليس مِنّا من لم يتغنَّ بالقرآن" و"ما أَذِن الله لشيء كأَذَنِهِ لنبيٍّ حَسَنِ الصّوتِ أن يتغنَّى بالقرآن".[2]

---

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية – الرافعي صـ ١٤٨، ١٤٩ دار الكتاب العربي / بيروت – ط /ثامنة ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م.

(٢) عناية المسلمين باللغة العربية خدمة للقرآن الكريم – سليمان بن إبراهيم بن محمد العايد صـ٤١، ٤٢. الناشر / مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

يقول أحد الباحثين المحدثين: "لن يتحقق لبيان أن يرتّل وأن يتغنى به إلا إذا كان نسقه ونظمه، وجرس كلماته، وموقع معانيه غنياً بمقومات الإيقاع وأنواعه وألوانه المتعددة وهذا ما تحقق للقرآن الكريم، فلا يشاركه فيه بيان آخر".[1]

***

(١) العزفُ على أنوار الذِّكر - ص ٢١٣

المبحث الثالث

عـوامل جمال الأداء التي ترتبـط بلغـة القـرآن الكريـم

لكل لغة سماتها ومميزاتها الخاصة بها، ويستوي في ذلك أن تكون هذه الخواص صوتية أو صرفية أو نحوية أو أسلوبية أو على مستوى الألفاظ ودلالتها. ومن البديهي أن تكون هذه السمات هي جملة الفروق بين لغة وأخرى، وأن تكون الأساس الذي ينبني عليه تحديد اللغات والحكم على هوية كل واحدة منها، وإعطاؤها اسماً خاصاً بها تنفرد به ويتعرف إليها في كل الحالات. وليست العربية بدعاً في ذلك، فلها ملامحها وظواهرها التي مازتها عن غيرها من اللغات، وجعلتها لغة ذات ضوابط وحدود معينة أهلتها للتسمية المعروفة بها منذ أزمان بعيدة، وهي اللغة العربية. وسمات عربيتنا هذه كثيرة كثرة فائقة هي – في الحق – جملة القواعد والقوانين الضابطة لها ولاستعمالاتها. ومن هذه القواعد ما يرتبط بالنظام الصوتي للغة العرب: وأول ذلك أن اللغة العربية استخدمت جهاز النطق عند الإنسان خير استخدام وأعدله. فقد جاءت أصوات هذه اللغة موزعة على مدارج النطق توزيعاً واسعاً شاملاً لكل نقاطه ومواضعه. فمن بداية هذا الجهاز – ونعني بذلك الحنجرة – جاءت الهمزة والهاء، ومن نهايته ـ وتتمثل في الشفتين ـ جاءت الباء والميم. ومن بين هاتين المدرجتين خرجت بقية الأصوات العربية مندرجة في شبه سلسلة متصلة الحلقات، بحيث لا يقع ازدحام في منطقة أو مناطق، ولا يحدث إهمال لبعضها. [1]

كما تتميز لغة العرب عن غيرها من اللغات بأنها لغة موسيقية، بحيث تجد التشكيل اللغوي عند أصحاب الفطرة والموهبة متناغماً منسجماً، وهذا لا يختص

---

(١) دراسات في علم اللغة – د/ كمال بشر ص ١٩٣، ١٩٤.

بالشعر الذي يكتسب من أوزانه وقوافيه موسيقية بارزة، بل نجد هذه الموسيقية في النثر أيضاً بحيث تجد سهولة في التركيب وانسياباً في التأليف حتى تجري العبارة من سمعك مجرى النسيم في أصل الربيع.[1] يقول الرافعي مبيناً طريقة العرب في منطقهم: " الأصوات تنزل منزلة النبرات الموسيقية المرسلة في جملتها كيف اتفقت، فلا بد لها من ذلك من نوع في التركيب وجهة من التأليف حتى يمازج بعضها بعضاً، ويتألف منها شيء مع شيء، فتتداخل خواصها، وتجتمع صفاتها، ويكون منها اللحن الموسيقي، ولا يكون إلا من الترتيب الصوتي الذي يثير بعضه بعضاً على نسب معلومة ترجع إلى درجات الصوت ومخارجه وأبعاده. فكان العرب يترسلون ويحذمون في منطقهم كيفما اتفق لهم، لا يراعون أكثر من تكييف الصوت ؛ دون تكييف الحروف التي هي مادة الصوت، إلى أن يتفق من هذه قطع في كلامهم تجيء بطبيعة الغرض الذي تكون فيه، أو بما تعمل لها المتكلم، على نمط من النظم الموسيقي، إن لم يكن في الغاية ففيه ما عرفوه من هذه الغاية..... ".[2]

وبعد أن بينا في المبحثين السابقين العوامل التي على أساسها يتم الحكم على جمال الأداء لآي الذكر الحكيم أو العكس، وتفاوت جمال الأداء بين القراء تبعا لهذه العوامل التي يتميز بها قارئ عن آخر لارتباطها بالقارئ نفسه، نبين هنا العوامل التي ترتبط بالقرآن نفسه من حيث رصف حروفه، وأصوات كلماته، وجرس ألفاظه، ومقاماته، وفواصله، ومدوده. وتفصيل ذلك على النحو التالي :

---

(١) البلاغة الصوتية في القرآن الكريم ص ٧ .

(٢) تاريخ آداب العرب ١٤٢/٢، ١٤٣.

أولا: للقرآن الكريم لغة خاصة تساعد على جمال أدائه وتجويده :

إذا كان للغة العربية مميزاتها التي تميزها عن غيرها من اللغات الأخرى فللقرآن الكريم – وهو بلغة العرب – لغته الخاصة التي تميزه عن لغة أي نص آخر كتب بهذه اللغة، فقد نزل القرآنَ الكريم بأحلى لغة العرب لفظاً، وأجملها صوتاً وأوفاها تركيباً، وبأوضحها دلالة في المعنى. وتتمثل خواص لغة القرآن – أيضاً – في جودة مفرداته، وجمال تصويره، وعذوبة إيقاعه، ودقّة معانيه. (١)

وقد أكد ذلك الرافعي في قوله: " وأنت تتبين ذلك إذا أنشأت ترتل قطعة من نثر فصحاء العرب أو غيرهم على طريقة التلاوة في القرآن، مما تراعى فيه أحكام القراءة وطرق الأداء، فإنك لا بد ظاهر بنفسك على النقص في كلام البلغاء وانحطاطه في ذلك عن مرتبة القرآن، بلى ترى كأنك بهذا التحسين قد نكرت الكلام وغيرته فأخرجته من صفة الفصاحة، وجردته من زينة الأسلوب، وأطفأت رواءه، وأنضبت ماءه ؛ لأنك وزنته على أوزان لم يتسق عليها في كل جهاته. فلا تعد أن تظهر من عيبه ما لم يكن يعيبه إذا أنت أرسلته في نهجه وأخذته على جملته ". (٢)

وقد جعل الشيخ / محمد أبو زهرة ذلك وجها من وجوه الإعجاز فقال: " الإعجاز أبعد مما سبق، ذلك أنك إذا قرأت القرآن مرتلًا، أو كاشفًا بالصوت مع الترتيل تحسّ بأنه ليس من الكلام الذي سمعته وتسمعه وتقرؤه، وأنك تميّز بذوقك القرآن عند سماعه من غيره، فله نظم يعلو عن كلام البشر، وله نغم أعلى من أن تسميه موسيقى، يذوقه كل فاهم، وإن كان لا يستطيع وصفه ولا تعريفه، ولا بيان سره، كما يذوق الذائق طعامًا

---

(١) وظيفة الصورة الفنية في القرآن – عبدالسلام الراغب صـ ٣٨٦ – فصلت للدراسات والترجمة / حلب – ط / أولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م

(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية صـ ١٤٨، ١٤٩.

طيبًا، ولا يعرف اسمه ولا أرضه ولا سر طيبه، ولكنه يحكم بطيبه وإن كان تفصيل السبب لا يعرف... لقد وجدنا للقرآن حلاوة في الألفاظ والأسلوب والفواصل، وغير الفواصل، ليست في غيره، وهذا ما سميناه النظم تقريبًا للفهم، ولكلام الله تعالى المثل الأعلى... إن نظم القرآن ليس من أي نوع من أنواع من النظم الذي عند أهل البيان، فليس نثرًا مرسلًا، وليس نثرًا مصنوعًا، وليس نثرًا فيه ازدواج، كما أنه ليس نثرًا مسجوعًا، وليس فيه فواصل تشبه السجع، ولكنه شيء غير هذا، وغير ذلك ".[1]

إن المتأمل في حروف القرآن الكريم وكلماته لا يجد فيها شيئاً خارجاً عن المألوف المتداول في لغة العرب قديماً وحديثاً، ولكن عندما نتلو آيات الله نشعر أن للعبارة القرآنية كياناً خاصاً بني عليه تراكيبه، ورسم معالم صورة نظمه الفريد على هذا الكيان الفريد... إن النظم القرآن البديع بهر العرب بحسن مبادئ الآي والمقاطع وتماسك الكلمات واتساقها في التراكيب، وقد تأمّلوه آيةً آيةً وعُشراً عُشراً وسورةٌ سورة فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها ولفظة يُنكر شأنها أو يُرى غيرها أصلح هناك أو أشبه أو أحرى، بل وجدوا اتساقاً بهر العقول وأعجز أهل الحكم والبلاغات، ونظاماً والتئاماً وإتقاناً وإحكاماً بهر العقول وأعجز أهل الحكم والبلاغات، ونظاماً والتئاماً وإتقاناً وإحكاماً لم يدع في نفس واحد منهم موضع طمع حتى خرست الألسن أن تدّعي وتتقوّل. وأقروا في قرارة أنفسهم أن هذا ليس من قول البشر وإن أنكروا ذلك بألسنتهم. ومجيء النظم القرآني على هذا الشكل من الإتقان والإحكام إنما يعود – كما يقول ابن عطية – إلى أن الله تعالى قد أحاط بكل شيء علماً وأحاط بالكلام كله علماً إذا ترتبت اللفظة من القرآن علم بإحاطة أي لفظة تصلح أن تبين المعنى بعد المعنى

(١) المعجزة الكبرى القرآن ص ٢٠٥.

ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره، والبشر معهم الجهل والنسيان والذهول ومعلوم ضرورة أن بشراً لم يكن قط محيطاً. فلهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة.[1]

كما بين الشيخ / الزرقاني الأسباب التي تجعل للغة القرآن الكريم طبيعة أدائية خاصة فقال: " إن من ألقى سمعه إلى مجموعة القرآن الصوتية وهي مرسلة على وجه السذاجة في الهواء مجردة من هيكل الحروف والكلمات كأن يكون السامع بعيداً عن القارئ المجود بحيث لا تبلغ إلى سمعه الحروف والكلمات متميزاً بعضها عن بعض بل يبلغه مجرد الأصوات الساذجة المؤلفة من المدات والغنات والحركات والسكنات والاتصالات والسكتات نقول: إن من ألقى سمعه إلى هذه المجموعة الصوتية الساذجة يشعر من نفسه ولو كان أعجمياً لا يعرف العربية بأنه أمام لحن غريب وتوقيع عجيب يفوق في حسنه وجماله كل ما عرف من توقيع الموسيقى وترنيم الشعر ؛ لأن الموسيقى تتشابه أجراسها وتتقارب أنغامها فلا يفتأ السمع أن يملها والطبع أن يمجها، ولأن الشعر تتحد فيه الأوزان وتتشابه القوافي في القصيدة الواحدة غالباً وإن طالت على نمط يورث سامعه السأم والملل، بينما سامع لحن القرآن لا يسأم ولا يمل ؛ لأنه يتنقل فيه دائماً بين ألحان متنوعة، وأنغام متجددة على أوضاع مختلفة يهز كل وضع منها أوتار القلوب وأعصاب الأفئدة. وهذا الجمال الصوتي أو النظام التوقيعي هو أول شيء أحسته الآذان العربية أيام نزول القرآن ولم تكن عهدت مثله فيما عرفت من منثور الكلام سواء أكان مرسلاً أم مسجوعاً حتى خيل إلى هؤلاء العرب أن القرآن شعر ؛ لأنهم

(١) الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن صـ ٢٧٩ نقلا عن: كتاب مباحث في إعجاز القرآن – د / مصطفى مسلم صـ ١٣٣ : ١٤٢ طبعة / دار القلم .

أدركوا في إيقاعه وترجيعه لذة، وأخذتهم من لذة هذا الإيقاع والترجيع هزة لم يعرفوا شيئاً قريباً منها إلا في الشعر، ولكن سرعان ما عادوا على أنفسهم بالتخطئة فيما ظنوا... ". [1]

كما تتميز لغة القرآن بالمعاني الخاصة للألفاظ، والأنماط النحوية، وإيقاع الصوت، وتماثل البنى التركيبية، وهذا السجع الموزون بميزان دقيق غاية في الدقة عند من يقول بوجوده في لغة القرآن، وهذا الذي يبدو للبعض تكرارًا، وما هو بتكرار بل ترسيخ للمعنى وتأمين للسياق ". فتكرار الأصوات في لغة القرآن الكريم مما يحدث أثرًا قويًا في النفس وخشوعًا في القلب مثل قوله تعالى: ﴿ كلاّ ذا دكت الأرض دكًا دكًا * وجاء ربك والملك صفًا صفًا ﴾ [2]

وقد وصف الزركشي جمال لغة القرآن الكريم بقوله: " فهو من تناسب ألفاظه وتناسقِ أغراضه قِلَادَةٌ ذات اتساقٍ، ومن تَبَسُّمِ زَهْرِهِ وَتَنَسُّمِ نَشْرِه حديقة مُبْهِجَة للنفوس والأسماع والأحداقِ، كل كلمة منه لها من نفسها طَرَبٌ، ومن ذاتها عَجَب، ومن طلعتها غُرَّةٌ، ومن بهجتها دُرَّة، لَاحَتْ عليه بهجة الْقُدْرَة، ونزل ممن له الأمر، فله على كل كلامٍ سلطان وَإِمْرَة، بهر تَمكُّن فواصله، وحسن ارتباط أواخره وأوائله، وبديع إشاراته، وعجيب انتقالاته من قصص باهرة إلى مواعظ زاجرة، وأمثال سائرة، وحِكَمٍ زاهرة، وأدلة على التوحيد ظاهرة، وأمثال بالتنزيه والتحميد سائرة، ومواقع تعجب واعتبار، ومواطن تنزيل واستغفار ". [3]

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن ٢/٢٢٢ .

(٢) سورة الفجر الآيتان : (٢١-٢٢) .

(٣) البرهان في علوم القرآن ١/٤ .

ويقول أحد الباحثين المحدثين: " إن اللغة في القرآن تؤدي دوراً كبيراً في العطاء الموسيقي، ذلك أن الموسيقى فيه لا تنبع من وزن شعري كالذي عرفناه في تفعيلات الشعر العربي ولكنها تنبع من اللغة نفسها، وما في ائتلاف الأصوات في اللفظة الواحدة وفي سياق الألفاظ وتناسقها وتناغمها وأدائها للمعنى ودلالتها عليه".[1]

ويتخير القرآن الألفاظ تخيرًا يقوم على أساس الجرس المتسق مع جو الآية وجو السياق بل جو السورة كلها في كثير من الأحيان، وبخاصة تلك السور القصار التي حفل بها العهد المكي لتأكيدها أصول العقيدة... فالقرآن يستعمل الألفاظ ذات الجرس الناعم الرخي والسلس الموحي في المواضع التي يشيع فيها جو من الحياة الهادئة الجميلة. [2]

وليست الموسيقى في القرآن على غرار موسيقى الشعر الخارجية من تفعيلات متزنة متكافئة، وقواف مطردة متناظرة، وإنما هو نثر له خصائص النثر جملة، إلا أنه من نوع فريد، نثر لم تعرف له العربية نظيرا في تراثها الأدبي وفنها القولي.[3]

إن لغة القرآن الكريم بكلماتها واستعمالاتها المختلفة قائمة على أصول ومبادئ، وكل لفظة منها أخذت سمتاً معيناً حسب قواعد خاصة روعيت فيها من حيث تناسق الأصوات وتآلفها مع بعضها في الكلمة القرآنية، وإمكان اجتماعها أو عدم اجتماعها في أصل واحد في كلمات القرآن الكريم. فلغة القرآن خاصة لغة جميلة يتوافق فيها النظام الصوتي مع جمالها، والأصوات الحادثة من التقاء الحروف ببعضها وأدائها على وجهها الصحيح من الصفات والمخارج توافقاً يأسر الأسماع والقلوب معًا، ومجمل القول: إن جمال اللغة في القرآن الكريم قرين النظام الصوتي وهما يشكلان وحدة واحدة تصب

---

(١) الجرس والإيقاع في تعبير القرآن - د/ كاصد ياسر حسين ص ٣٤٢، ٣٤٣ بتصرف .

(٢) السابق ص ٣٣٥ .

(٣) السابق ص ٣٢٩ .

في جمال التأثير وقوته ".[1] وقد أشار إلى ذلك الرافعي في قوله: " إن طريقة نظم القرآن تجري على استواء واحد في تركيب الحروف باعتبار من أصواتها ومخارجها، وفي التمكين للمعنى بحس الكلمة وصفتها، ثم الافتنان فيه بوضعها من الكلام وباستقصاء أجزاء البيان وترتيب طبقاته على حسب مواقع الكلمات لا يتفاوت ذلك ولا يختل ".[2]

وقد بيّن د / دراز أن جمال البيان القرآني أول ما يتجلى لك حين تصغي إليه يتجلى في: " تلك الظاهرة العجيبة التي امتاز بها القرآن في رصف حروفه وترتيب كلماته ترتيباً دونه كل ترتيب ونظام تعاطاه الناس في كلامهم. وبيان ذلك: أنك إذا استمعت إلى حروف القرآن خارجة من مخارجها الصحيحة تشعر بلذة جديدة في رصف هذه الحروف بعضها بجانب بعض في الكلمات والآيات هذا ينقر وذاك يصفّر، وهذا يخفى وذاك يظهر، وهذا يهمس وذاك يجهر إلى غير ذلك مما هو مقرر في باب مخارج الحروف وصفاتها في علم التجويد، ومن هنا يتجلى لك جمال لغة القرآن حين خرج إلى الناس في هذه المجموعة المختلفة المؤتلفة الجامعة بين اللين والشدة والخشونة والرقة والجهر والخفية على وجه دقيق محكم، وضع كلاً من الحروف وصفاتها المتقابلة في موضعه بميزان حتى تألف من المجموع قالب لفظي مدهش وقشرة سطحية أخاذة امتزجت فيها جزالة البداوة في غير خشونة برقة الحضارة من غير ميوعة، وتلاقت عندها أذواق القبائل العربية على اختلافها بكل يسر وسهولة. ولقد وصل هذا الجمال اللغوي إلى قمة الإعجاز بحيث لو دخل في القرآن شيء من كلام الناس لاعتل مذاقه في أفواه قارئيه واختل نظامه في آذان سامعيه.

---

(١) المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام – جمع وإعداد / علي بن نايف الشحود ٨٣/١١ بالمكتبة الشاملة.

(٢) تاريخ آداب العرب – مصطفى صادق الرافعي ١٥٩/٢، ١٦٠ – دار الكتاب العربي.

ومن عجيب أمر هذا الجمال اللغوي، وذاك النظام الصوتي أنهما كما كانا دليل إعجاز من ناحية كانا سوراً منيعاً لحفظ القرآن من ناحية أخرى، وذلك أن من شأنِ الجمال اللغوي والنظام الصوتي أن يسترعي الأسماع، ويثير الانتباه، ويحرك داعية الإقبال في كل إنسان إلى هذا القرآن الكريم، وبذلك يبقى أبد الدهر سائداً على ألسنة الخلق، وفي آذانهم، ويعرف بذاته ومزاياه بينهم، فلا يجرؤ أحد على تغييره، وتبديله مصداقاً لقوله سبحانه: ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾.

فقد أتي القرآن الكريم بما يُعجز الجميع حيث انماز بنظامه الصوتي الذي لا يقترب منه في خصائصه نظام أبداً. ذلك أن النظام الصوتي في لغة القرآن متميز ويراعى فيه الجمال الصوتي الذي يبدو في أدائه، وفي استعمال حروفه وحركاته، ومداته وغناته، ووقفه وسكتاته، وفي نظمه وتآلف الحرف مع غيره في الكلمة القرآنية، وفي حذف الحرف أو إثباته، وفي زيادته وإبداله، وفي فواصله، وفي رسمه... إلخ. (١)

وقد تحدث د / دراز عن خاصية تأليفه الصوتي مبيناً أنها سر من أسرار جماله اللغوي في أساليبه المتنوعة فقال: " أول ما يستدعي انتباهك من أسلوب القرآن الكريم خاصية تأليفه الصوتي في شكله وجوهره ". (٢) ويقول أيضاً: " هديت إلى السر الذي فطنت له العرب ولم يفطن له المستعربون إن أول شيء أحسته تلك الأذن العربية في نظم القرآن هو ذلك النظام الصوتي البديع الذي قسمت فيه الحركة والسكون تقسيماً منوعاً يجدد نشاط السامع لسماعه ووزعت في تضاعيفه حروف المد والغنة توزيعاً بالقسط يساعد على ترجيح فيجد عندها راحته العظمى، وهذا النحو من التنظيم الصوتي إن

(١) النبأ العظيم – د / محمد عبد الله دراز ص ١٠٥ بتصرف – دار الثقافة / الدوحة ١٩٨٥م .
(٢) السابق ص ١٢٧، ١٢٨ بتصرف .

كانت العرب قد عمدت إلى شيء منه في أشعارها فذهبت فيها إلى حد الإسراف في الاستهواء ثم إلى حد الإملال في التكرير فإنها ما كانت تعهده قط ولا كان يتهيأ لها بتلك السهولة في منثور كلامها سواء منه المرسل والمسجوع، بل كان يقع لها في أجود نثرها عيوب تغض من سلاسة تركيبه ولا يمكن معها إجادة ترتيله إلا بإدخال شيء عليه أو حذف شيء منه.... فترى الجمال اللغوي ماثلاً أمامك في مجموعة مختلفة مؤتلفة لا كركرة ولا ثرثرة ولا رخاوة ولا معاظلة ولا تناكر ولا تنافر وهكذا ترى كلاماً ليس بالحضري الفاتر ولا بالبدوي الخشن بل تراه وقد امتزجت فيه جزالة البادية وفخامتها برقة الحاضرة وسلاستها وقدر فيه الأمر تقديراً، لا يبغي بعضهما على بعض فإذا مزيج منهما كأنما هو عصارة اللغتين وسلالتهما، أو كأنما هو نقطة الاتصال بين القبائل عندها تلتقي أذواقهم وعليها تأتلف قلوبهم ". [1]

وكان لكل هذه المميزات التي تميزت بها لغة القرآن الكريم وغيرها دور بارز ساعد على جمال الأداء لأي الذكر الحكيم والترنم به، فنظامه الصوتي البديع بما يحتويه هو الذي استهوى النفوس واسترعى الأسماع كما سبق أن ذكرت، وكان داعية إلى الإقبال عليه وتأمله وتدبر كلماته الأمر الذي جعل الوليد بن المغيرة يقر بذلك ويقول لبني مخزوم قولته المشهورة قد سبق ذكرها.

ويقول د / عبد الفتاح لاشين: " النص الكريم حينما يختار منظومته الأدائية المؤلفة من حروف كلماته فإنها تأتي خفيفة على السمع، رقيقة في الكلام، أنيقة في الكلمة، لا يصيبها في التأليف القرآني ما يصيبها في التأليف البشري، فكل حرف يصيب موقعه في

(١) السابق ص ١٣١. ١٣٣ بتصرف .

الكلمة، ويقع موضعه في اللفظ، ويكون من الذوق بمكان، ولا عجب فهو وضع الحكيم الخبير، وتنزيل من الرحمن الرحيم ". [1]

ومن هذا كله يمكننا أن نقول: إن حقيقة الإعجاز الصوتي للقرآن الكريم إنما تبدو فيما تبدو في تآلف حروفه وترتيبها، وتناغم أصواته، وجمال أدائه وتوقيعه بما لا يدع مجالاً للشك في أنه خارج عن نطاق البشر، وأنه ليس بإمكانهم مهما أوتوا من الفصاحة أو البلاغة الإتيان بشي من مثله نظراً لترتيب أصواته وتآلف حروفه في كلماته، وكلماته في جمله، وجمله في أساليبه وغير ذلك مما بلغ به حد الإعجاز الصوتي.

كما تتميز لغة القرآن الكريم بقوة الإقناع والتأثير، فالناظر في لغة الوحي يجد أنها تجمع بين جودة المعنى، ودقة التعبير، وجمال الإيقاع، وإمكان التغنّي به. حيث انفردت لغة الوحي بالإيقاع الجميل المؤثر والذي لا يمكن أن يتحقق في غيره من النصوص النثرية، ولا الشعرية، ومن هنا جاء التجويد وأحكامه. يقول الرافعي: " لما قرئ عليهم القرآن رأوا حروفه في كلماته، وكلماته في جمله، ألحانا لغوية رائعة كأنها لإتلافها وتناسبها قطعة واحدة، قراءاتها هي توقيعها فلم يفتهم هذا المعنى وأنه أمر لا قبل لهم به ". [2] كما أن للقرآن الكريم حال تلاوته تأثير في النفوس ؛ لما فيه من طلاوة وروعة ومهابة، فتستبشر به النفوس وتنشرح له الصدور، وتقشعر منه الجلود وتنزعج له القلوب.

فلغة القرآن – إذن – تختلف عن لغة البشر الطبيعية في طريقة أدائها ؛ إذ يظهر هذا من خلال أحكام التجويد الخاصة بنص الوحي (اللفظي) القرآن ما بين تلاوة وحدر، وما فيه

---

(١) من أسرار التعبير في القرآن – د /عبد الفتاح لاشين ص ٣١ – دار عكاظ / الرياض ١٩٨٣م .

(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص ١٤٨ .

من تحزين وتغنٍّ، وحثٍّ عليه، وترغيب فيه، وإقرار رسول الله – ﷺ – لهذا التجويد في التلاوة، وترغيبه في التحبير "لو كنت أعلم مقامك لحبّرته لك تحبيرًا ".[1] ويظهر في اصطباغ كل سورة من سوره بإيقاع عذب مؤثر تنفرد به عن غيرها من السور. وبهذه اللغة التي تميزت بها لغة القرآن الكريم عن غيرها صار للقرآن الكريم ـ بلغته الجميلة بمفرداتها وتآلف حروفها وبتراكيبها المعبرة ونهايتها الجميلة وما فيه من مد أو غنة أو وقف بطريقة معينة موحية بالغرض ـ أداءً صوتياً متميزاً وتأثيراً صوتياً عجيباً، ويتجلى ذلك في تنقله بين مقاطع مختلفة وأساليب متعددة من الأداء الصوتي، مما يثير الشجن أو الأمل أو الفرح لدى سامعه ولو لم يكن يعرف العربية. وقد تنبه العلماء من قبل إلى هذه الميزة الصوتية للقرآن الكريم، وعدوها من وجوه إعجازه كما سبق أن ذكرنا.

ثانيا: معاني التنزيل ودورها في جمال الأداء :

بالنظر والتأمل في القرآن الكريم نجد أنه يشتمل على كثير من المقامات والأغراض منها: التشويق إلى الجنة ونعيمها وبيان صفاتها وصفات أهلها، والتخويف من النار وعذابها وبيان صفاتها وصفات أهلها، والدعوة إلى الحق، والترغيب في الجهاد، والدعاء، والحث على التوبة، والخشوع والتواضع، والدعوة إلى توحيد الله وتمجيده، والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على النوائب، والرضا بقضاء الله، والحديث عن البعث، ويوم القيامة وما فيه، وصفات كل من المؤمنين والكافرين والمنافقين والمكذبين، ومدح المؤمنين الأبرار، وذم الكافرين الفجار، وبيان التكاليف والعبادات وما فيها من أمر أو نهي أو زجر وعقاب، والترهيب، والإنذار والتخويف، والوعد، والوعيد، والتحسر والندم... إلخ. وليس طبعياً ولا سديداً أن تقرأ

---

(١) سبق تخريجه .

موضوعات هذه الأغراض كلها بأسلوب واحد، فاللين غير الشدة، والأمر والنهي غير الدعاء والالتماس، والإقرار غير التعجب، والوعد والوعيد وهكذا. فلكل مقام من هذه المقامات طريقة أدائية خاصة تناسبه ولا تناسب غيره من المقامات الأخرى، والقارئ الجيد هو الذي يعرف هذه المقامات وكيفية تأديتها بنبرة صوتية معينة منخفضة أو مرتفعة، أو حزينة باكية تثير في المستمع إحساساً مماثلاً، أو فرحة طروبة تثير في السامع تشويقاً وتفاؤلاً أو شجناً مماثلاً.

وهذه الأغراض القرآنية ذات طرائق أدائية خاصة يتفاوت فيها القراء ويتفاضلون، فليس كل قارئ قادر على تأديتها بحقها، ففي كثير من الأحيان يكون لكل قارئ طريقة أدائية خاصة يشتهر بها تميز صوته وأداءه عن غيره من القراء، أو طابع أدائي معين يتميز به ويتقنه ويلتزم به حين التلاوة فيشتهر بالقراءة في هذا الغرض أو المقام أكثر من غيره من الأغراض أو المقامات الأخرى ويبرز فيه عن غيره من بقية القراء. ومن هؤلاء الشيخ / محمد صديق المنشاوي – رحمه الله – الذي وصف بأنه أكثر القراء قراءة بالتحزين. فتأمل نبرات صوته حين يرتل الآيات التي تحمل طابع الحزن والخوف والخشوع تجد أنه في أدائه يجسد وتر الحزن والمشاعر أفضل من أي قارئ آخر.. ودليل ذلك استمع إلي الشيخ في خواتيم البقرة والفجر والبلد. ومن القراء الذين أتقنوا هذا المقام أيضاً وتفننوا فيه هم في التلاوة المرتلة القارئ خالد القحطاني، والشيخ / علي عبد الرحمن الحذيفي. أما التلاوة المحققة فأكثر من يجيدونه هم الشيخ / محمد رفعت وتتلمذ علي يديه الشيخ / محمد صديق المنشاوي، والشيخ / كامل يوسف البهتيمي ...مع أنهم لم يدرسوا علوم الصوت أو المقامات لكنها الموهبة الفطرية التي منحهم الله – ﷻ – إياها. ويصف كاتب آخر قراءة الشيخ رفعت بقوله: "سمعته ذات يوم يستحضر الحزن والرهبة في قراءته، وسمعت نغمة الحزن في صوته آتية من حنجرته

كما لو كانت غارقة في دموعه ". [1] وقرأ به أيضاً الشيخ / مصطفي إسماعيل – رحمه الله – في ختام المصحف المرتل ؛ لحزنه الشديد لختام المصحف لأول مره في الإذاعة، فكان هؤلاء القراء من الرعيل الاول يحزنون حزناً شديداً عندما يقتربون من ختام المصحف المرتل سواء أو المجود ؛ ولذلك كانوا يقرأون دائماً جزء عم بهذا الأداء المشعر بالحزن. [2]

وهذا الأداء لبعض الآيات القرآنية يتناسب مع الفطرة الإسلامية لمن رزقهم الله الخشوع ورقة القلب وحسن التدبر مرتلين كانوا أو مستمعين. فكثير من المسلمين يستحبون البكاء وخشوع القلب عند سماع القرآن وفي دينهم أن الأنبياء كانوا يبكون إذ تتلى عليهم آيات الله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِياً﴾. [3]

ومن القراء من يبدع في الآيات التي تتصف بالعاطفة أكثر من غيرها وذلك على نحو ما نجده في القراءة المجودة من الشيخ / مصطفى إسماعيل في قراءته للآيات الأخيرة من سورة الفجر وأول سورة البلد، وهي قوله تعالى: ﴿ كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكّاً دَكّاً * وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفاً صَفاً * وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى * يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي * فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ * وَلاَ يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ * يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي

---

(١) شرح كتاب العلوم الجلية في الوصول الي المقامات الصوتية – منتديات الشيخ / محمد صديق المنشاوى .

(٢) السابق نفسه .

(٣) سورة مريم الآية : (٥٨) .

جَنَّتِي ﴾. [1] وكما في قراءته لقوله تعالى من سورة التحريم: ﴿ إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ المُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ * عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً ﴾ [2] وقد كان للقراءات القرآنية في أدائه دور بارز في جمال الأداء وعذوبته وروحانيته التي لا تخفى على مستمع، وهذا يعد أفضل أداء صوتي يستطيع المقرئ أن يعبر من خلاله عن تفاعله مع الآيات عن طريق الازدياد النسبي في عدد اهتزاز النبرات الصوتية تارة وانخفاضها تارة ثانية ؛ لذلك يحبذ للقارئ أن يقرأ مثل هذه الآيات، وكذا الآيات التي تتحدث عن أهوال يوم القيامة بهذه الطريقة الأدائية .. وكذا آيات أهل النار والعذاب للكفار في نار جهنم ؛ وذلك لإعطاء السامع انطباعاً مؤلماً في النفس ومن ذلك قراءة الشيخ / المنشاوي في الآية القرآنية التالية: ﴿ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوه ﴾ [3]

ومن القراء من يجيد الأداء في الآيات التي يبدو فيها الفرح والسرور أكثر من غيرها وذلك في آيات التبشير بدخول الجنة وصفاتها وبيان نعيمها ومن فيها على نحو ما نجده في قراءة الشيخ / المنشاوي لقوله تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾ [4]

ومن القراء من يحسن القراءة في أغراض أو سياقات متنوعة دون التقيد بسياق أو غرض معين فيلون في نبرات صوته ودرجاته ارتفاعاً تارة وانخفاضاً تارة ثانية بشكل

---

(١) سورة الفجر الآيات من (٢٢ إلى ٣٠) .

(٢) سورة التحريم الآيتان : (٤ ، ٥) .

(٣) سورة الحاقة الآية (٣٢).

(٤) سورة الرحمن الآية (٥٤).

منسق متدرج منتظم، حزيناً باكياً تارة وفرحاً مستبشرًا تارة ثانية، خاشعاً خاضعاً تارة ومبكتاً تارة أخرى تبعاً للمقام وما يتطلبه من ضرورة أدائه بطريقة مناسبة تثير إحساس السامع وتصور له المشهد المتحدث عنه بدقة كأنه مجسم ومشاهد وحاضر للعيان، وذلك لا يتحقق له إلا عن طريق التنغيم، والعلم بمعاني التنزيل وبطريقة أدائها، والتحكم الجيد في طبقة الصوت ونبراته، والقدرة على ضبط النفس وتنظيمه، والسيطرة على حركة اللسان داخل الفم، وعلى حركة الفك الأسفل في الاتجاهات المختلفة، وكذا الاستماع المتكرر إلى مقاطع من آيات الذكر الحكيم مقروءة بطرائق عدة، وعن طريق التدريب الجيد على قراءة مثل هذه الآيات بطريقة معينة تناسب صوته. فلكل صوت قدرات معينة، وبعد في وضوح أصوات الحروف والكلمات والاهتزازات الوترية، فكلما استطاع القارئ التحكم في طبقات صوته تحكماً صحيحاً كلما خرجت نبرات صوته جميلة معبرة وموحية وكان أداؤه مؤثرا وبليغاً. أما إذا ما تم القفز عن درجة ما فإنه يصبح صوتاً نشازاً. والنشاز: يعني الخروج من مقام إلى آخر غير متناسق مع المقام الأصلي وهو غير مريح للأذن المستمعة. ويعد الشيخ / عبدالباسط عبدالصمد من القراء الذين يجيدون التنقل بين السياقات أو الأغراض القرآنية المتنوعة بسلاسة إذ تبدو على صوته نغمة الحزن في قراءته لقوله تعالى: ﴿ لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ القِيَامَةِ * وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ * أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَن لَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ﴾ [1]، وتشعر في قراءته بالرقة والعاطفة حين تسمع أداءه لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي البَحْرِ يَبَساً لاَّ تَخَافُ دَرَكاً وَلاَ تَخْشَى ﴾ [2]، وتشعر معه بالخشوع حين تسمع

(١) سورة القيامة الآيات (١، ٢، ٣).

(٢) سورة طه الآية (٧٧).

قراءته لقوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَيَالٍ سَوِياً ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً ﴾[2]، وتدرك معنى الفرح والبشرى ونعيم الجنة حين تسمع قراءته لقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الخَالِيَةِ ﴾[3]، وتسمع لنبرة الحسرة والندم حين تسمع قراءته لقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ القَاضِيَةَ * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴾.[4]

من هنا ندرك أن أساس استخدام القارئ لطريقة معينة من الأداء تختلف عن غيرها تبعاً للغرض من الآية وليس العرف أو الذوق. إنه يستخرج المعني للناس حسب فهمه. وقد أكد الشيخ الحصري – رحمه الله – علي أن: ' القارئ يحتاج الي موهبة وصوت، ليأتي بألوان مختلفة للمعاني المختلفة. وليس بوسع كل إنسان أن يفعل هذا ".[5]

وقد بين الزركشي – رحمه الله – أن جمال الأداء لآي الذكر الحكيم يكمن في معرفة القارئ لهذه السياقات أو المقامات والأغراض المعنوية وكيفية تأديتها بطريقة أدائية تستطيع تصوير المشهد بدقة وإحساس بحيث تثير في نفس المستمع التأثر

---

(١) سورة مريم الآية (١٠).

(٢) سورة الإسراء الآية (٩).

(٣) سورة الحاقة الآيات من (١٩) إلى (٢٤).

(٤) سورة الحاقة الآيات من (٢٥) إلى (٢٩).

(٥) شرح كتاب العلوم الجلية في الوصول الي المقامات الصوتية ص ٤، ٥.

والانفعال بالمشهد ثم التدبر والاتعاظ فقال: " إذا كان سياق الكلام ترجية بسط، وإن كان تخويفاً قبض، وإذا كان وعداً أبهج، وأن كان وعيداً أزعج، وإن كان دعوة حدب، وإن كان زجرة أرعب، وإن كان موعظة أقلق، وإن كان ترغيباً شوق ". [1]

ووافقه في ذلك الشيخ / محمد أبو زهرة حيث قال: " إن التلاؤم في ألفاظ القرآن الكريم وجمله وآياته ومواضع الوقف فيه ليس في المخارج فقط، بل هو فيما هو أعلى من ذلك، إنما هو في النغم، وجرس القول وموسيقاه، فلا تجد حرفًا ينشز في موسيقاه عن أخيه، ولا الكلمة عن أختها، ولا الجملة عن لاحقتها، والآية كلها تكون مؤتلفة النغم في الغرض الذي سيقت له، فإن كان إنذارًا كان النغم إرعادًا، وإن كان تبشيرًا كان نسيمًا، وإن كان عظة كان تنبيهًا، وإن كان تفكيرًا كان توجيهًا لافتًا عمَّا سواه، وهكذا ". [2]
وكذا وصف الشيخ / إبراهيم الشعشاعي قراءة والده بقوله: ' الآية التي لها معني الترهيب تأخذ نغمة خاصة، والآية التي تبشر بالخير تكون لها نغمة أخري '. ووصف الشيخ رشاد كيف تأخذ الإشارة إلي جهنم صوتاً غليظاً ضخماً، ويكون الصوت عند الإشارة إلي الجنة مشرقاً وأكثر حدة وأخف. وقد اتفق القراء بوجه عام في تحديد حالة نفسية معينة لكل مقام معين، وقد بين الشيخ / أحمد الرزيقي – (رحمه الله) – دور القارئ في إبراز الحالة النفسية مع آية معينة، حين قرأ الآيتين الكريمتين: ﴿ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى * يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴾ [3]

---

(١) البرهان في علوم القرآن ١/ ٤ .

(٢) المعجزة الكبرى القرآن ص ٢١٣ .

(٣) سورة الفجر الآيتان (٢٣ ، ٢٤) .

بمقامين مختلفين: الأول بمقام يبرز الألم والحزن، والثاني يعكس اللوم الذاتي والندم. (١)

فالقارئ الجيد من إذا سمعته يترنم بالقرآن حتى إنه تارة (يبكيك) وتارة (يطربك).. وذلك بطريقة ترتيله وباستغلال طبقات صوته المتعددة ونبراته المتنوعة إذا أحسن توظيفها واستغلالها والتنقل بينها، والقارئ المتقن لأحكام التلاوة والعارف بالسياقات القرآنية أو الغرض من الآية وسبب نزولها يعرف كيف يختار الأداء المناسب لتلاوته وطبقات صوته من دون إخلال بالأحكام التجويدية المطلوبة، ومن دون تعلم فن المقامات الموسيقية – (لأنها عدول بالقرآن عن نهجه القويم إذ تنافي جلال القرآن وتخرج عن قواعد أدائه) – وإنما يستغل صوته الحسن الرخيم في تصوير المشهد الذي يقرأه بدقة كأنك تعايشه فيريك المعقول محسوساً، والمعنوي مجسداً. فنقف مثلاً خاشعين مبهورين بهذا الأداء الذي يبعث في النفس المؤمنة المطمئنة ارتياحًا وسرورا حين نسمع للأداء الذي يشيع في النفس المؤمنة تفاؤلاً بالبشرى وتحققا من النتيجة التي وعدت بها فيصور القارئ المتقن هذا الأثر النفسي للبشرى أروع تصوير من خلال الأداء كأنك تعيش المشهد وذلك في قراءته لقوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ * فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ * إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهْ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾، وعلى العكس من ذلك ينتقل القارئ عن طريق التغيير في طبقات صوته ونبراته والانتقال إلى الأداء الحزين لبيان الصورة العكسية التي تبرز حالة اليأس والشقاء الذي يعانيه الكافرون وهم يعذبون في جهنم ويقول أحدهم عندما يؤتي صحائفه في حسرة وندم على ما فات ووقع منه في دنياه: ﴿ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ * وَلَمْ

(١) شرح كتاب العلوم الجلية في الوصول الي المقامات الصوتية ص ٤، ٥ .

أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهْ﴾. ولا يستطيع أن يفعل هذا إلا القارئ المتقن لطرائق الأداء والعالم بالسياقات والأغراض القرآنية وطرق أدائها.

ولعل هذا هو المقصود بالتغني بالقرآن في الأحاديث النبوية الشريفة، وليس القراءة بالألحان كألحان الموسيقى، وإن أجاز القراءة بها السادة الحنفية والشافعية بشرط التقيد والالتزام بأحكام التلاوة والتجويد، وعدم إسقاط شيء من الحروف، أو الإفراط في الغنن والمدود، وألا يقرأ على صفة المغنين، وألا يطغى المقام على صحة الأداء وإلا صار حراماً يأثم فاعله باتفاق الفقهاء ؛ لأنه عدل به عن نهجه القويم. وكره القراءة بها المالكية وبعض الحنابلة وإن لم يخل القارئ بقواعد التجويد وأحكام التلاوة. فمن المبتدعات الصوتية التي تنافي جلال القرآن وتخرج عن قواعد أدائه وتناله بشيء من التحريف وتعوق حسن فهمه والتأثر به:

- القراءة بالترعيد: وهو أن يرعد القارئ صوته كأنه يرعد من برد أو ألم أصابه.
- القراءة بالتطريب المفسد للمعنى: وهو أن يترنم القارئ بالقرآن ويتنغم به على نحو من شأنه أن يمد في غير مواضع المد، ويزيد في المد على مالا ينبغي.
- القراءة بالتحزين المصطنع: وهو أن يأتي القارئ بتلاوته على وجه فيه حزن وتباك متكلفان مظنة الرياء.
- القراءة بالترقيص: ومعناه أن يرقص القارئ صوته بالقرآن فيزيد في حروف المد حركات بحيث يصير كالمتكسر الذي يفعل الرقص.
- القراءة بالتحريف: وهو ما أحدثه الذين يجتمعون ويقرأون بصوت واحد فيقطعون القراءة، ويأتي بعضهم ببعض الكلمة، والآخر ببعضها الآخر، ويحافظون على مراعاة الأصوات.

• ترك التجويد مطلقا. وأمور أخرى أوصلها لبيب السعيد إلى خمسة وعشرين.[1]

(١) الجمع الصوتي الأول للقرآن ص ٣٤٥ وما بعدها، وإبراز المعاني بالأداء القرآني - د/ إبراهيم بن سعيد بن حمد الدوسري ص ٤٦- دار الحضارة للنشر/ السعودية - ط/ أولى ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

ثالثا: الفاصلة القرآنية ودورها في جمال الأداء :

يستصغي سمعك ويسترعي انتباهك في أواخر الآيات القرآنية طابع خاص مميز يسميه علماء القرآن الفاصلة القرآنية، إذ تحس وتشعر عندما تستمع للقارئ المجود للقرآن الكريم أو تتلوه أن لهذه الفواصل وقعاً صوتياً محبباً ومؤثراً يبعث في الفؤاد طمأنينة وارتياحاً ينبع من اختيار أصوات معينة ذات جرس وصدى أو ذائقة سمعية محببة لنفس السامع تكون نهاية للآية، وكذا من اتحاد الفواصل أو تقاربها في الصوت والأثر السمعي المنبعث عنها.

فالفواصل القرآنية ذات جرس رائع تجعل الأذن تتشنف لسماعها، والفكر يثور عند ذكرها، والقلب يصحو لدى ترددها، والخيال ينبعث مع وقعها وحسن أدائها، فهي من أساليبه البلاغية الجميلة، وتراكيبه الرصينة المبدعة، وهي رؤوس آياته؛ لذا جعلناها ركنا مهماً في لغة القرآن الكريم. إذ تعد الفواصل القرآنية مظهرًا من مظاهر إعجازه، وأثرًا من آثار نظمه ووصفه. وأبرز ما يكون هذا التجلي في ذلك التناسق والتناغم الصوتي المذهل، وفي ذلك الإيقاع اللغوي الآسر، الذي بزّ كل أساليب أساطين البيان، وجعلهم حيارى لا مرام لهم ولا مطمع في أن يقاربوا أو يدانوا بيان القرآن الكريم ونظمه ولغته. ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام أن الفواصل القرآنية استخدمت كثيرا في السور المكية، ولعل مرد ذلك أن الخطاب في هذه المرحلة المبكرة إنما كان لأهل مكة أهل الفصاحة واللسن؛ ولذا كانت هذه الفواصل البديعة إمتاعا للشعور والعاطفة، وخطابا للعقل، وإثراء وتفنناً فيما لم يألفه العرب في خطابهم. ومن هنا تميزت الفاصلة القرآنية من قافية الشعر. فقافية الشعر كان يؤتى بها غالبا محسنا لفظيا لإتمام الكلام حتى وإن أقحمت إقحاما، وخرجت عن سياق الكلام، وكثيرا ما يضطر الشاعر إلى ذلك. أما الفاصلة القرآنية فهي مرتبطة بسياق الكلام ارتباطا محكما، بل هي مفصحة عن معان

زائدة مرادة، يفتقر السياق إليها ويتطلبها. ومن ثمّ لم تكن حلية لفظية فحسب كما هو الحال في الشعر في كثير من الأحيان.[1]

ومما لا شك فيه أن من أهم مقاصد الفواصل القرآنية أن تؤدي دورها في قوة التركيب وتمام المعني ووضوحه ثم أن تكون شجية النغم، حلوة الجرس، عذبة الرنين، تطرب بلفظها كما تطرب بمعناها ؛ ليتم لها الحسن من جميع جهاته، ومن هنا كانت تلاوة القرآن ؛ لأن الأداء الدقيق الجميل يستطيع أن يبرز هذا الانسجام الساري في الفواصل على أكمل صورة أُريدت له، وإذا كانت الفاصلة القرآنية يتم بها عذوبة الأداء في الآية، أو العبارة القرآنية فإنه يتم بها أيضاً إكمال معنى الآية، فليس النغم الصوتي هو الذي يحكم هذه الفاصلة أو تلك، إذ لا يصح للنغم أن يطغى على المعنى المراد في الآية فيعكس هذا المعنى أو يغيره ؛ لأن علو الفواصل القرآنية وسموها في البلاغة كان بسبب أنها واقعة في موقعها، وأن المعاني هي المقصد الأول، والألفاظ بحسن أدائها، ورنة أنغامها تابعة لذلك.[2]

يقول د / محمد أبو موسى: " والذي نعتقده أن القرآن حين يراعي الفاصلة، ويبقى على تنغيمها إنما يحفظ وسيلة من أقوى وسائله في التأثير ؛ لأن رنين الكلمات وجرسها، وتوافق إيقاعاتها لغة تغلغل في النفس والضمير.... يحسها من يرتل هذه الآيات... ".[3]

---

(١) معجم علوم القرآن – إبراهيم محمد الجرمي ص ٢٠٩ – دار القلم / دمشق – ط /أولى ١٤٢٢ه /٢٠٠١م.

(٢) دلالة الأصوات في فواصل آيات جزء عم (دراسة تحليلية) – د / محمد رمضان البع – مجلة جامعة الأقصى (سلسلة العلوم الإنسانية) المجلد (١٣) – العدد (الثاني) ٢٠٠٩م – ص ٥٧ .

(٣) خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني – د / محمد محمد أبو موسى ص ٣٢٤ مكتبة وهبة – ط /سابعة.

لذا عرفها أحد الباحثين المحدثين موضحاً دورها في الإيقاع وحسن وقعها في السمع بقوله: " هي لفظ آخر الآية ينتهي بصوت قد يتكرر محدثاً إيقاعاً مؤثراً في صورة السجع وقد لا يتكرر، ولكن الفاصلة تحتفظ دائماً بإحدى صور التوافق الصوتي مع الفواصل السابقة واللاحقة ".[1]

فقد أشار هذا التعريف إلى كون الفاصلة القرآنية في خاتمة الآية، وإلى أنها تحتفظ دائماً بإحدى صور التوافق الصوتي مع الفواصل السابقة واللاحقة، وأن الحرف الأخير منها يتكرر فيحدث إيقاعاً صوتياً مؤثراً، وهذا الإيقاع له دوره الواضح في تحسين الأداء لاسيما عند قراءة القرآن الكريم مرتلاً أو مجوداً. وهذا ما أكده كثير من علماء العربية يقول الرماني: " تقوم الفاصلة بتحقيق فوائد جمة منها ما يتصل بجانب الإيقاع، ومنها ما يتصل بجانب الاستدلال على تمام المعنى. فأما الجانب الإيقاعي الذي تؤديه الفاصلة فهو دلالتها على المقاطع، وتحسينها الكلام بالتشاكل، وإبداؤها في الآي بالنظائر ".[2]

وقد وضح د/ تمام حسان دور الفاصلة في جمال الأداء لآي الذكر الحكيم فقال : " تأتي الفاصلة في نهاية الآية لتحقق للنص جانباً جمالياً لا يخطئه الذوق السليم ، لأننا مهما يكن من شيء نحس أنها تضفي على النص قيمة صوتية منتظمة ينقسم للسياق النصُ بها إلى وحدات أدائية تعد معالم للوقف والابتداء، وتتضافر مع الإيقاع فينشأ من تضافرهما أثر جمالي لا يبعد كثيراً عما نحسه من وزن الشعر وقافيته، ولكن هذا الأثر يمتاز عن ذلك بالحرية من كل قيد مما تفرضه الصنعة على الوزن والقافية. ولأمر ما كان الوقف على رؤوس الآي سنة إلا أن يفسد به المعنى. ذلك أن الوصول بالقراءة إلى فاصلة

---

(١) الفواصل القرآنية دراسة بلاغية – د/السيد خضر ص١ – مكتبة الإيمان بالمنصورة .

(٢) النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) ص ٩٩ .

الآية يتفق في الأغلب الأعم مع طاقة النفس الواحد لدى القارئ فيقف القارئ عند الفاصلة ليتزود بزاد نفسي جديد، وليحس عند الفاصلة بأنه يقف لدى معلم من معالم السياق المتصل تحف به روائق الإيقاع وروائعه من كل جانب ". [1]

وعلى هذا تكون الفاصلة القرآنية من المظاهر الصوتية التي تشكل لوحة جمالية تعطي النص القرآني ميزة الإعجاز في الأداء... وقد ساهمت في اختيار الكلمات القرآنية التي تثري السياق وتقوي بنية القراءة القرآنية ؛ لإبراز جمال النص القرآني من منابعه اللغوية التي تكسبنا القدرة على التذوق، وتوصلنا إلى صورة مثالية مقنعة لإدراك عظمة كتاب الله – ﷻ –.... وقد اهتم القرآن الكريم باختيار كلمات مناسبة ذات نغمة تؤدي وظيفتها في تشكيل الفاصلة ؛ لتولد إيقاعاً يبعث في النفس تصويرًا للمعنى. [2]

فاستعمال القرآن الكريم للفاصلة مظهر من مظاهر الإعجاز اللغوي عامة والصوتي خاصة وذلك بموقعها من الآية واتصالها بها، وباختيارها دون غيرها، فليست معجزة بمفردها، إذ الفاصلة القرآنية هي كلمة في آخر الآية، هذه الكلمة كغيرها من كلمات القرآن تختار اختياراً دقيقاً لتؤدي الرسالة التي جاءت من أجلها، ويظهر فيها إعجاز القرآن. وتقع الفاصلة عند الاستراحة بالخطاب لتحسين الكلام بها، وهي الطريقة التي يباين القرآن الكريم بها سائر الكلام، وتسمى فواصل ؛ لأنه يفصل عندها الكلامان، وذلك أن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها.[3]

---

(١) البيان في روائع القرآن (دراسة لغوية وأسلوبية للنص للقرآني) – د/ تمام حسان ١/ ١٩٥، ١٩٦– عالم الكتب.

(٥) جمال الفاصلة في القرآن – د/ عبدالقادر بن فطة . بحث في مجلة عود الند الثقافية الشهرية بالجزائر ص ١٦، ١٧بتصرف

(٣) البرهان في علوم القرآن ١/ ٥٤.

ولعل من أهم ما يبرز جمال الأداء في الفاصلة القرآنية :

أ ـ كثرة استعمال القرآن الكريم في فواصله لوحدات صوتية معينة، وذلك مراعاة للبعد الصوتي في الفاصلة القرآنية المتمثل في حسن جرس هذه الوحدات التي كثر استعمالها فيها، وطيب وقعها في السمع ولذاذة مستمعها، وجمال إيقاعها، ورقة نغمتها تارة، أو لإثارة انتباه السامع ودعوته إلى التأمل في مبان كلمات القرآن الكريم تارة ثانية، أو مراعاة للمعنى وإيصاله على نحو بديع معجز تارة ثالثة. كما أن هذه الوحدات التي كثر استعمالها في الفواصل القرآنية تتميز بأن أكثرها يتبعها عند الوقف عليها صويت ذو نغمة محببة تلذ الأذن سماعها كـ حروف المد واللين لما لها من نغمات منتظمة تسيطر على لحن الكلام، والنون والميم والراء واللام والباء وغيرها مما يتميز بصفة انفرادية ذات وقع سمعي متميز. وقد ذكر أحد الباحثين المحدثين إحصائية للحروف المستعملة في الفواصل القرآنية ونسب استعمال كل منها في الفاصلة، وقد توصل من خلالها إلى أن حرف النون هو أكثر الحروف وروداً في الفاصلة بنسبة (٥٠,٩٣ %) يليه حرف الميم بنسبة (١٢,٤٠%)، ثم الراء بنسبة (١١,٠٤%)، ثم الدال بنسبة(٤,٦٢%)، ثم الألف المقصورة (٣,٩٢%) وهكذا إلى أن انتهى من ذكر جميع حروف العربية مرتبة من الأعلى إلى الأدنى حسب نسبة ورود كل منها في الفاصلة وعدد مرات ورودها فيها، وكان آخرها حرف الخاء وذكر أنه لم يرد فاصلة قط ؛ لصعوبتها وصعوبة الوقف عليها. وقد تحدثت عن ذلك تفصيلاً في بحث سابق بما يغني عن إعادته هنا.[1]

---

(١) ينظر تفصيل ذلك في : الوحدات القطعية في لغة القرآن الكرم عددها واستعمالاتها والملامح الصوتية المميزة لها – للباحث. مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط العدد (٣٠) ج (٤) سنة ٢٠١١م .

أما الصوائت الطويلة لاسيما الألف والياء فقد كثر ورودها فاصلة في القرآن الكريم عن معظم الصوامت، وقد تفوقت الألف على الياء في نسبة الورود ؛ لكونها أسهل الصوائت الطويلة نطقاً، وتلتها الياء ؛ لأنها أوسط الحركات من حيث سهولة النطق بها ؛ وذلك لأن الحركات الطويلة من الحروف الزمانية الصرفة، فهي باقية وممتدة مع الصوت زماناً من دون توهم تكرار، وليست آنية أي منقطعة كالتاء.[1] وهذا الامتداد يوجد إيقاعاً لطيفاً خفيفاً يعبر عن حركات سريعة ويقتضي مداً قصيراً له صوتياته الملائمة.[2]

ب ـ كثرة ختم الفاصلة القرآنية بالحركات الطويلة – وهو ما يسمى (حروف المد واللين) – قبل الحرف الأخير من الفاصلة في الأكثر. فبتتبع الفواصل القرآنية نلحظ أنها قد ختمت بالنون أو الميم كثيراً أو بغيرهما، وقد سبقت بحرف من حروف المد حتى عد ذلك سراً صوتياً متجلياً في جزء كبير من فواصل آيات سوره. وسر ختم مقاطع الفواصل بحروف المد واللين وإلحاق النون أو الميم في كثير من الفواصل القرآنية هو ما يتميز به هذان الصوتان الأنفيان من نغمة صوتية محببة في أذن السامع ناتجة عن صفة الغنة، فالنون والميم هما الصوتان الأنفيان الوحيدان في اللغة مما يسمح بالتنغيم والترديد.[3] فقد جاء القرآن الكريم على أعذب مقطع وأسهل موقف كما ذكر الزركشي.[4] ويقول أحد الباحثين المحدثين: " كثر ورود الحركات وبخاصة الطويلة –

---

(١) التفسير الكبير– الفخر الرازي ٤٣/١ . دار إحياء التراث العربي / بيروت – ط /ثالثة ١٤٢٠ه ، وكتاب المواقف – عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي – تح د/ عبد الرحمن عميرة ٢١/٢، ٢٢ – دار الجيل / بيروت – ط /أولى ١٩٩٧م.

(٢) الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم ص٤١.

(٣) لغة القرآن دراسة توثيقية – د/أحمد مختار عمر ص ١٣٢، ١٣٣ . مؤسسة الكويت للتقدم العلمي . ط /ثانية ١٤١٨هـ/١٩٩٧م

(٤) البرهان في علوم القرآن ١/ ٦٨ .

[حروف المد: الألف، والواو، والياء] – بما لها من نغمات منتظمة تسيطر على لحن الكلام، يضاف إلى هذا كثرة ورود الصوامت المتوسطة – (النون ـ الميم ـ الراء ـ الواو ـ الياء) – وهي قريبة من الناحية الفيزيائية إلى طبيعة الحركات التي تسهم في خاصية التنغيم الشجيّ بشكل واضح. يدعم هذا ظواهر صوتية خاصة بالقرآن: المد والغنّة. وكل هذه العناصر الصوتية لا تكون بهذا التناسب الفريد في غير القرآن من فنون الشعر والنثر ". [1] ففي كل منهما خاصية التنغيم الشجيّ النابع من المد والغنة. ووجه الشبه بينهما أن في النون غُنَّةً في الخياشيم، كما أن في حروف المد واللين مدًّا، والغنة والمد كل واحد منهما فضل صوت في الحرف ". [2]

ولعل لحروف المد واللين خصوصية في هذا الموضع من الفاصلة القرآنية إذ نراها كثيراً في الموضع الذي يسبق الفاصلة وإن لم يكن بعدها نون ولا ميم، وهذه الخصوصية تبدو في وضوحها السمعي إذ هي أعلى الأصوات وضوحاً في السمع على الإطلاق، كما أن في إطالة زمن النطق بها ترنماً وتنغيماً حسناً. فالغرض في اختيار حروف المد واللين ما يتأتى فيها من مد الصوت، وإنه يمكن فيها من ذلك ما لا يمكن في غيرها كما ذكر التنوخي. [3]

فحروف المد واللين تمتاز بميزة الوضوح السمعي وسهولة نطقها وهو ما جعلها أصواتاً موسيقية منتظمة قابلة للقياس خالية من الضوضاء لها القدرة على الاستمرار بجريان الصوت بها وهي بهذا تختلف عن الحروف الساكنة الصحيحة التي هي عبارة عن

---

(١) الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم ص ٦٢ .

(٢) الممتع الكبير في التصريف – ابن عصفور ص ١٧٦ – مكتبة لبنان – ط / أولى ١٩٩٦م.

(٣) القوافي – القاضي أبو يعلي التنوخي – تح د / عوني عبد الرءوف ص ١١٢ – الخانجي / مصر – ط / ثانية ١٩٧٨م.

ضوضاء ناتجة عن الاحتكاك ".[1] وسر ختم مقاطع الفواصل بحروف المد واللين وإلحاق النون أو الميم هو السير على طريقة العرب في الترنم والإنشاد، فالنون والميم هما الصوتان الأنفيان الوحيدان في اللغة مما يسمح بالتنغيم والترديد.[2] يقول الزركشي: " قد كثر في القرآن الكريم ختم كلمة المقطع من الفاصلة بحروف المد واللين وإلحاق النون وحكمته وجود التمكن من التطريب – (أي جمال التوقيع بحسن الأداء) – بذلك قال سيبويه – رحمه اللّه – أما إذا ترنموا فإنهم يلحقون الألف والواو والياء ما ينون وما لا ينون ؛ لأنهم أرادوا مد الصوت ".[3]

وأحياناً تخلو الفاصلة من حرف المد ويستعاض عنه بالقلقلة، أو التفخيم، أو الهمس، أو الحلق، أو السكت... مثل سور: الكوثر، والصمد، وأبي لهب، والفلق، والانفطار، والهمزة، ومعظم التكوير، والعصر، وهذا الإيقاع المباشر الصامت والساكن يوحي غالباً بالقوة والفخامة والجلال الجرسي.[4]

ج ـ الإيقاع الصوتي الناشئ من أصوات الحروف والحركات في الكلمة، إذ تساعد الفاصلة القرآنية على تلاوة القرآن مرتلاً أو مجوداً بأنغام آسرة ذات إيقاع جميل. وهذا الجمال التوقيعي في القرآن لا يخفى على أحد. ويتحقق هذا الجمال التوقيعي في الفاصلة القرآنية في صور عدة أهمها :

---

(١) ظاهرة المد في الأداء القرآني دراسة صوتية للمدة الزمنية للمد العارض للسكون – يحيى بن علي المباركي – مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة – العدد ١٢٠ صـ ٤٣٦ – السنة ٣٥ – ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م .

(٢) لغة القرآن دراسة توثيقية ص ١٣٢، ١٣٣ .

(٣) البرهان في علوم القرآن ٦٨/١ ، وكتاب سيبويه – تح / عبد السلام محمد هارون ٢٠٤/٤ – الخانجي /القاهرة – ط /ثالثة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

(٤) الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم ص٤١.

ـ التماثل أو التقارب في الفاصلة: مثال المتماثلة قوله ﷻ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ * وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ * وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ*وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ * وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ * وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ * وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ * وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ﴾ [1] فقد انتهت فواصل الآيات الأربع عشرة بالتاء الساكنة. وهي من الحروف المهموسة، وتساوت الوحدات الصوتية فصارت في دقة النظم وجمال التركيب تلوينات وتنغيمات صوتية سريعة الحركة لاهثة الإيقاع تشترك بتصويرها الصوتي في تجسيم المشهد وتمثيله للخيال. ومثل ذلك ما جاء في سورة الشمس التي ختمت جميع فواصلها بالهاء الممدودة، ولا شك أن الصوت الممدود يترك أثراً عذباً في نفس المتلقي فينساق له وينجذب إليه.

فالفواصل المتماثلة تحقق رتابة في الأداء القائم على وحدة النغمة وحسن وقعها في السمع نتيجة تكرار الحرف الواحد في عدة فواصل متوالية، ويتجلى هذا النغم الصوتي المتميز بأبهى صوره وأروع مظاهره في سورة القمر، إذ تختتم فيها الفاصلة بصوت (الراء) مردداً بين طرف اللسان وأول اللهاة مما يلي الأسنان. وهذا التماثل في الفواصل القرآنية يشبع رغبة القارئ والسامع في الاستمرار على هذه الوتيرة لاسيما إذا سبق بحرف من حروف المد أو اللين مما يمكن القارئ من المد والتنغيم الشجي الذي لا يلبث السامع له والعارف بألحان العرب في لغتهم إلا أن يقول: " حقاً إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه حقا يعلو ولا يعلى عليه ".

---

(١) سورة التكوير الآيات من (١) إلى (١٤).

إن ورود هذه الآيات في نسق صوتي متجانس، يضفي على الفاصلة القرآنية جمالها وحسها الإيقاعي الهادر، دون تطلع إلى تعبير مماثل أو مغاير، فهي تمتلك النفس، وتأخذ بالإحساس.[1] ومثل ذلك كثير في فواصل القرآن الكريم لاسيما في السور القصار.

أما الفواصل المتقاربة في الحروف: فتتمثل في الوقوف عند حرف معين للفاصلة في بعض السور، والانتقال منه للوقوف عند حرف آخر للفاصلة مقارب للأول في مخرجه في بعضها الآخر. ومثله ما جاء في سورة الحاقة قال تعالى :﴿ إِنَّهُ كَانَ لاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ العَظِيمِ * وَلاَ يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ المِسْكِينِ * فَلَيْسَ لَهُ اليَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ * وَلاَ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ * لاَ يَأْكُلُهُ إِلاَّ الخَاطِئُونَ * فَلاَ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لاَ تُبْصِرُونَ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ * وَلاَ بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ * تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ العَالَمِينَ * وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ ﴾ [2]

فبتأمل الفواصل السابقة يمكننا أن نقول: إذا كانت الفواصل المتماثلة قد حققت رتابة في الأداء القائم على وحدة النغمة وحسن وقعها في السمع نتيجة لتكرار الحرف الواحد في عدة فواصل متوالية، فإن الفواصل المتقاربة تكسر هذه الرتابة وتخلق نوعاً من الدهشة القائمة على الانتظار والمفاجأة المؤسسة على التوقع نتيجة اختلاف الحرف فيها، ولعل في هذا التغيير من الدلالات الجمالية والفكرية ما يؤكد نسق القرآن الصوتي المعجز. وهذا لا يسمى سجعاً قطعاً عند القائلين بإطلاق السجع في القرآن الكريم ؛ لأن السجع ما تماثلت حروفه كما ذكر الزركشي.[3]

---

(١) الصوت اللغوي في القرآن ص ٢٠٣، ٢٣٣.

(٢) سورة الحاقة الآيات رقم (٣٣ - ٤٤).

(٣) البرهان في علوم القرآن ٧٥/١.

فتنوع الفواصل ليس معياره كثرة الآيات في السورة وامتداد سياقها بل مرده اقتضاء المعنى والغرض المنصوب له الخطاب.[1] فالقرآن الكريم يلون وينوع أواخر الفواصل ليحدث تنوعاً في الإيقاع تبعاً لنوع الموضوع والتعبير في السورة الواحدة وهذا ما عليه أكثر الفواصل القرآنية.

ـ زيادة وحدة صوتية في الفاصلة: عناية للبعد الصوتي، واهتماماً بنسق البيان، ليؤثر في النفس تأثيره الحسّاس، فتتطلع الأفئدة حين يتواصل النغم بالنغم، ويتلاحم الإيقاع بالإيقاع. وأبرز مظاهر هذه الظاهرة: زيادة هاء السكت في فواصل بعض الآي من سور القرآن الكريم (وهي الهاء التي تلحق أواخر بعض الكلمات عند الوقف عليها) كما في قوله ـ ﷻ ـ: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾[2] فقد زيدت هاء السكت وألحقت بكلمة (هي) لتوافق الفاصلة الأولى الثانية.[3] ونلحظ – أيضاً – هذا الملحظ في سورة الحاقة وما أضافته (هاء السكت) في لحوقها ببعض الفواصل في جملة من آياتها، فنقف خاشعين مبهورين بهذا الوضع الأدائي الحزين، المنبعث من أقصى الصدر وأواخر الحلق، فتتقطع الأنفاس واجمة ومتفكرة ومتطلعة، فنصادف المناخ المتفائل حيناً، والمتشائم حيناً آخر، ونحن فيما بينهما متأرجحين بين اليأس والرجاء، والأمل والفزع، والخشية والتوقع، فسبحان الله حيث يقول: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ * فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ * إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهْ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ * يَا لَيْتَهَا

(١) أنظر توضيح ذلك في العزف على أنوار الذكر ص ٢٦٥ وما بعدها.

(٢) سورة القارعة: الآيتان رقم (١٠، ١١).

(٣) البرهان في علوم القرآن ١/٦٠.

كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهْ﴾. [1] نلاحظ أن الفواصل (كتابيه، وحسابيه، وكتابيه، وحسابيه، وماليه، وسلطانيه) قد زيدت فيها هاء السكت رعاية لفواصل الآيات المختومة بالتاء القصيرة والتي اقتضى السياق نطقها هاءً للتوافق.[2] أي لتتوافق الهاء إيقاعياً مع التاء المربوطة التي تصير هاءً بالوقف. [3] يقول أحد الباحثين المحدثين مبينا جمال الهاء في فواصل هذه الآيات: " نشعر عند نطقنا لصوت الهاء أنه صوت يخرج من أعماقنا مما يجعله صالحاً للتعبير عن مشاعرنا وأحاسيسنا، ولذلك نتصور أنه تعبير عن آهات وحسرات الناس يوم الحشر، وهم حفاة عراة ينتظرون أدوارهم في قلق واضطراب، فمن أخذ كتابه بيمينه فقد فاز الفوز العظيم، ومن أوتي كتابه بشماله فقد خسر الخسران المبين ". [4]

وهي من ناحية ثانية تبدو في الحالتين – من أوتي كتابه بيمينه، ومن أوتي كتابه بشماله – تابعة لنفسية المتكلم، وتنبىء عن حالة معينة يعيشها، ونفسية خاصة انعكست بداخلها تلك الحالة التي يعيشها والأحاسيس التي يحس بها كلاهما، فهاء السكت في هذه الآيات تسهم في تمكين الصوت وتوفيته ليمتد ويقوى في السمع حتى يكون ذلك معبراً عن تلك الحالتين. وهي من ناحية أخرى تعد دليلا على أن ظاهرة الوقف في القرآن الكريم ليست ناشئة عن تدخل المتلقي في إنتاج أو إظهار جمالية النص القرآني حين تلاوته كما قد يتبادر إلى الذهن وإنما الوقف خاصية أصيلة في بناء النص

---

(١) سورة الحاقة : الآيات رقم (١٨ – ٢٩) .

(٢) ينظر : من وحي القرآن – د / إبراهيم السامرائي ص ١٢٢ : ١٢٨ – دار الفكر / دمشق ١٩٩٩م.

(٣) الفواصل القرآنية ص ٤

(٤) نماذج من الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم دراسة دلالية – د / دفة بلقاسم – مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية – جامعة محمد خيضر بسكرة الجزائر ٢٠٠٩م.

القرآني كما أنزله رب العزة جل شأنه. وقد عزا العلماء ظهور هذه الهاء في نهاية تلك الكلمات لغرض تبيين وإظهار صوت المد الذي في نهاية الكلمة. قال ابن جنى: " وذلك أنك لما أردت تمكين الصوت وتوفيته ليمتد ويقوى فى السمع، وكان الوقف عليه يضعف الحرف ألحقت الهاء ليقع الحرف حشوًا فيبين ولا يخفى ". (١)

ويمكن تعليل ظهور هذه الهاء بأنها امتداد للصوت الخارج من الرئتين الذي يكون الإنسان قد حشده للنطق، وبعد انتهاء النطق المطلوب يزفر الناطق ما تبقي من ذلك الهواء الذي احتشد في الفم فيسمع صوت الهاء الذي هو نفس. (٢)

ومن هنا ندرك أن هناك سمات إيقاعية في سياق فواصل الآيات، ومن خلال عبارات الجمل والفقرات التي ارتبطت بنسق جمهرة من آيات القرآن المجيد، وأن للإيقاع في فن الأداء القرآني دوره المؤثر في إحداث بعض التغييرات في الفاصلة القرآنية لإحداث لون مهم من ألوان التجانس الصوتي في صياغة النص القرآني ومسايرة للعرب في الترنم والإنشاد كما سبق. كما ندرك أن لكل هذه التغيرات أو المؤثرات الصوتية دورها البارز في التشكيل الإيقاعي للنص القرآني من حيث التخفيف من حدة الإيقاع، أو تكثيفه، أو جعله بين الاثنين كما في زيادة هاء السكت على الفاصلة في الآيات السابقة من سورة الحاقة، وكل ذلك حسب المقام أو الغرض من المقطع.

فكل فاصلة ضمن أسرتها تنزع إلى تحقيق لون جمالي من الجرس الظاهر والخفي، والإيقاع القوي أو السلس الرتيب، القصير والمتوسط والطويل، وتنسجم في تركيب الآية، وتتسق في مهناها حتى يمكن أن تنغم بالصوت الحسن المشروع. (٣)

---

(١) الخصائص ٢/ ٣٣٠.

(٢) صوت الهاء في العربية – د/ إبراهيم كايد محمود مجلة جامعة أم القرى العدد (١٩) ص ٢٥٧ سنة ١٤٣٢هـ.

(٣) الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم ص ٤١، ٤٢.

رابعا: المد ودوره في جمال الأداء :

تعتبر أحكام المد والقصر الأساس الأول لدراسة الأحكام الكمية في علم التجويد، وهو من أبرز الحلى المزينة لتلاوة القرآن الكريم، مع التسليم بدور هذه الحلى اللفظية في خدمة السياق الدلالي العام لأغراض الخطاب القرآني. ويتم هذا المد لأصوات المد خاصة برفع الصوت وإطالة المد بنداوة. (١)

فظاهرة المد من أغنى أصول الأداء في صيغها ومعانيها، وإنما ثبت المد في الألف والياء والواو لخفائها، فمقصد القراء بيانها وتمكينها. والأصوات اللغوية عامة والمدية خاصة تتفاوت في مدة النطق بها، وقد ضبط علماء الأداء أوزان أزمنة نطق الحروف القرآنية ضبطاً بلغوا فيه شأواً في الإتقان فنقلوا كيفية النطق بالكلمات القرآنية بأساليب متناهية في الدقة والإحكام تناقلها خلف متبع عن سلف صالح.

فأصوات المد واللين أطول من الأصوات الساكنة، وأصوات المد الطويلة (الياء، والألف ، والواو) أطول من أصوات المد القصيرة (الكسرة والفتحة والضمة)... وتتفاوت أصوات المد في طولها أيضاً، فالفتحة أطول من الكسرة والضمة ؛ لاتساع مخرج الفتحة. وأصوات المد الطويلة أطول من صوتي اللين (الياء والواو) ؛ لأن طرف اللسان مع الياء اللينة أكثر ارتفاعا منه نحو الغار مع الياء المدية، وكذلك أقصاه يكون أكثر ارتفاعاً منه نحو الطبق مع الواو المدية مما يجعل مجرى الهواء أقل اتساعاً مما هو عليه في المديتين. وذكر ابن جني أن: "الألف أصل المد وأقواه وأعلاه وأنعمه وأنداه. وإنما الياء والواو في ذلك محمولان عليها، وملحقان في الحكم بها". (٢)

---

(١) إذهاب الحزن وشفاء الصدر السقيم ص ٢٣٤.

(٢) الخصائص ٣ / ١٢٩.

وتمتاز حروف المد واللين (الصوائت) – كما سبق – بميزة الوضوح السمعي وسهولة نطقها وهو ما جعلها أصوات موسيقية منتظمة قابلة للقياس خالية من الضوضاء لها القدرة على الاستمرار بجريان الصوت بها وهي بهذا تختلف عن الحروف الساكنة الصحيحة (الصوامت) التي هي عبارة عن ضوضاء ناتجة عن الاحتكاك. إلا أن أصوات المد – بحكم طبيعة تكوينها – تكون عرضة للتغيير فقد تطول إلى أكثر من ضعف مما هي عليه، وقد تقصر إلى درجة الصفر. ولم تلق هذه الظاهرة من علماء الأصوات – باستثناء علماء التجويد – اهتماماً، ولعل سر ذك أن هذه الظاهرة ليست لازمة في كل أشكال النطق العربي، وأن بعضها غير ملزم حتى في تلاوة القرآن الكريم.

فهناك مدود قرآنية خاصة بتلاوة القرآن الكريم يقرآ بها وحده، وتختلف عن المدود المشهورة مثل المد المتصل والمنفصل والعارض للسكون واللازم والصلة الكبرى... فهذه وإن اختص بها القرآن ويمد بعضها على أوجه: القصر والتوسط والطول، فإن مدودا أخرى تعتمد عليها قراءات ثابتة أيضاً. وهذه وتلك تجعل اللفظة أو الجملة القرآنية ذات نفس مديد صوتي وإيقاعي تزيد من طلاوتهما وجمالهما وأثرهما. ومن هذه المدود :

- مد الحجز: وهو مد يفصل بين همزتين فيخففهما، وذلك في نحو: (آأنذَرْتَهُمْ)، (آأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا)، (آأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ)، (أَإِذَا) [1]. فللقراء في الهمزة الثانية أربعة مناهج هى: تحقيق الأولى وتخفيف الثانية وبها قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب (آنذرتهم). وتحقيق الهمزتين معاً وبها قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى [2]،

(١) الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم ص ٢٠٦.

(٢) إعراب القرآن – أبو جعفر النحاس – تح / زهير غازى زاهد ١/١٨٤ عالم الكتب – ط / ثانية ١٤٠٥ه / ١٩٨٥م.

وتحقيقهما وزيادة ألف بينهما ونسبها الأزهرى لنافع [1]. وعزاها غيره لهشام (آأنذرتهم) [2]. وتحقيق الأولى وتخفيف الثانية وزيادة ألف بينهما وعزاها الأزهرى لأبى عمرو، وعزاها غيره لأبى عمرو وقالون وهشام، والمسيبى [3]. ونسبت أيضاً لأبى جعفر (٤). فزيادة الألف بين الهمزتين يسمى مد الحجز وله دوره المؤثر في جمال الأداء.

- مد العدل: وهو في كل حرف مشدد وقبله حرف مد لين، نحو: (الضالين)، وذلك لأنه يعدل حركة أي يقوم مقامها في الحجز بين الساكنين.
- مد الروم: وهو تليين الهمزة من غير إخفاء أو تحقيق، وذلك في نحو: ها أنتم، فيشار إلى الهمزة فلا تخفى ولا تترك أصلا. (وهو ما يسمي قراءة الهمزة بين بين).
- مد الفرق: وهو المد الذي يفرق بين ا لاستفهام والخبر في مثل قوله تعالى: (آلآن).[5]

ومن هنا كانت لبعض المدود القرآنية طبيعة صوتية وطريقة أدائية خاصة تختلف باختلاف القراء، وهذه الطرق المتنوعة تجعل للمد القرآني ترنماً خاصاً ذا ذائقة سمعية محببة تختلف عن أي منطوق آخر، وجرساً إيقاعياً عذباً ومؤثراً في جمال الأداء، بل

---

(١) معانى القراءات – أبو منصور الأزهرى – تح د/عيد مصطفى درويش، وآخر١/ ١٢٩ دار المعارف – ط/ أولى١٤١٢/١٩٩١.

(٢) المجيد فى إعراب القرأن المجيد – إبراهيم بن محمد الصفاقسى – تح/ عبدالعزيز أحمد محمد إسماعيل ١/ ٦٨ رسالة دكتوراة بمكتبة كلية اللغة العربية بالقاهرة برقم (١٢٧٨) سنة ١٩٧٨م.

(٣) التذكرة فى القراءات – ابن غلبون – تح د/ عبدالفتاح بحيرى ١/ ١٥٢ – الزهراء للإعلام العربى – ط/ أولى ١٤١٠ه/ ١٩٩٠م.

(٤) التوجيهات والآثار النحوية والصرفية للقراءات الثلاثة بعد السبعة لأصحابها أبو جعفر المدنى، ويعقوب البصرى، وخلف الكوفى – د/ على محمد فاخر ١/ ٥٢ – مكتبة وهبه – ط/ أولى ١٤٢٠ه/ ١٩٩٩م.

(٥) الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم ص ٢٠٦.

وتنغيماً جميلاً يضفي على المعنى المراد من الأداء تحديداً دقيقاً ويكسبه لوناً تركيبياً معيناً يتفق مع السياق والمقام.

وقد قدر علماء التجويد أصوات المد بتشكلاتها المختلفة بالحركات وبالألفات، ومثلوا ذلك برفع الأصبع وخفضها، وقد بين علماء الأصوات المعاصرين بالاعتماد على الأجهزة الحديثة أن طول الحركة أو زمن امتداد الحركة بالثانية هو (١٦، ٠) من الثانية.[١] والألف ضعف ذلك، وعلى هذا يكون زمن النطق بالمد الطبيعي أو الأصلي هو (٣٢، ٠) من الثانية. وسمي أصليا لأصالته بالنسبة إلى غيره من المدود، وذلك لثبوته على حالة واحدة وهي مده حركتان فقط. وسمى طبيعيا ؛ لأن صاحب الطبيعة السليمة لا يزيده ولا ينقصه عن حركتين. وحكمه الوجوب.[٢] لكن هذه الأصوات قد تطول أكثر من زمن نطقها الطبيعي وهو إطالة الصوت بالحركة القصيرة حتى تبلغ أربعة أمثالها أو خمسة أو ستة فتصل إلى (٩٦، ٠) عند بعض القراء، وهو أداء اختص به النص القرآني دون سواه ومشروط بضوابط وأسباب يتحقق بها وقد سماه علماء التجويد بالمد الفرعي. وعرفوه بأنه "زيادة مط في حرف المد على المد الطبيعي وهو الذي لا تقوم ذات حرف المد دونه".[٣] وهو ما يعنيه أهل الأداء عند استخدامهم لهذا المصطلح. وهو موضع اهتمامهم فبينوا حقيقته، وسببه، وأقسامه، ومقاديره، ومحاذيره، وأنواعه. وليس هذا مجال تفصيلها.

---

(١) المختصر في أصوات اللغة العربية – د/ محمد حسن جبل صـ١٨٧ – مكتبة الآداب / القاهرة – ط/ رابعة ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

(٢) عن علم التجويد القرآني صـ ٣٣٣ .

(٣) الإتقان في علوم القرآن ١/ ٢٥٧ .

وقد اختلف الْقُرَّاء في تقدير المدّ فمنهم من رآه طوِيلًا، ومنهم من رآه قصيرًا، ومنهم من بالغ في الْقَصْرِ، ومنهم من تزايد فحمزة وورش بمقدار سِت لغات وقيل خمس وقيل أربع وعن عاصم ثلاث وعن الكسائي ألفان ونصف وقالون ألفان والسوسي ألف ونصف. [1]

واختلاف القراء في إشباع المد وتطويله أو العكس إنما هو على قدر قراءتهم وتمهلهم أو حدرهم، فليس مدّ من يتمهل ويرتل كمدّ من يحدر ويسرع. ونحو من هذا قول برتيل مالمبرج: " فأول ما يجب أن نلاحظه هو أن كمية كل صوت تتوقف على سرعة الإلقاء، وأنه كلما ازدادت سرعة الكلام ازداد كل صوت في القصر، والعكس صحيح... وحكى أبو علي عن أبي الحسن قوله في المد: " والعرب تفعل هذا في حال التطريب، وإذا أراد أحدهم الرقة والترتيل ". [2]

فالعرب تستعمل المد عند التطريب وقد حكى أبو علي عن أبي الحسن قوله في المد: " والعرب تفعل هذا في حال التطريب، وإذا أراد أحدهم الرقة والترتيل ". [3]، وكذا عند تعظيم الأمور بالوعظ والتهديد وما أشبه ذلك... وللمد سمته البارزة في التغني بالقرآن الكريم التي تضفي على القراءة طلاوة وحلاوة، وقد عد بعض العلماء السبب في وقوعه في ختم الآيات وجود التمكن من التغني، ذلك أن المدود تعطي القارئ مساحة أكبر للتغني ؛ لما فيها من امتداد للصوت وقابلية للترنم. فتنوع المدود في القرآن الكريم

---

(١) البرهان في علوم القرآن ١/ ٣١٩ .

(٢) الصوتيات – برتيل مالمبرج – تر د / محمد حلمي هليل صـ ١٠٠ – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم / الخرطوم ١٩٨٥م.

(٣) الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات –عبدالبديع النيرباني صـ٢٠٦ – دار الغوثانى /دمشق ط /أولى ١٤٢٧ه /٢٠٠٦م.

يعد ظاهرة جمالية عجيبة الشأن، كما يمكن المد القارئ من تصوير المعاني ويساعد على إيضاح دلالاتها.[1]

أما أسبابه: فقد حصرها العلماء في سببين: أحدهما لفظي وهو ما يجاور حرف المد في السياق فيتأثر به من حيث مقداره في الأداء، وذلك إذا جاور حرف المد الهمز قبله أو بعده، أو السكون ؛ لذا قسموا المد الفرعي إلى قسمين هما: مد فرعي بسبب الهمز، ومد فرعي بسبب السكون.[2] وقسموا المد الفرعي بسبب الهمز إلى ثلاثة أقسام هي:

• المد المتصل: وهو الذي ترد فيه الهمزة بعد حرف المد في كلمة واحدة.[3] وحكمه وجوب المد باتفاق القراء. وإن تفاوتوا في مقداره. فأكثره بمقدار ثلاث ألفات وأقله بمقدار ألف ونصف.[4] وذلك كما في قوله تعالى: ﴿اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[5]

• المد المنفصل: وهو ما كان فيه حرف المد آخر كلمة والهمزة أول كلمة أخرى.[6] وحكمه الجواز أي يجوز مده وقصره، فابن كثير والسوسي يقصرانه ويمدانه، والباقون يمدونه بلا خلاف. وإن تفاوتوا في مده فأكثرهم يمده بمقدار ثلاث ألفات، وأقله ألف.[7] ومنه قوله – ﷻ – : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾[8]

---

(١) إبراز المعاني بالأداء القرآني ص ٥٥ بتصرف .

(٢) النشر ٣٤٤/١ .

(٣) السابق نفسه .

(٤) نهاية القول المفيد في علم التجويد – الشيخ / محمد مكي نصر ص ١٣٢.١٣٣ بتصرف – مصطفى الحلبي ١٣٤٩هـ.

(٥) سورة البقرة آية (٢٥٧) .

(٦) الإتقان في علوم القرآن ٢٥٧/١ ، ونهاية القول المفيد ص ١٣٤ .

(٧) نهاية القول المفيد ص ١٣٤ بتصرف .

(٨) سورة البقرة آية (٢٥٧) .

- مد البدل وهو: الذي يتجاور فيه صوت الهمزة وصوت المد، شريطة أن يأتي الهمز أولاً والمد ثانياً.[1] في كلمة أو في كلمتين. وحكمه جواز مده وقصره. فيجوز للقارئ أن يمده على طبيعته بمقدار حركتين، ويجوز له أن يمده بمقدار أربع حركات، كما يجوز له أن يمده مداً مشبعاً بمقدار ست حركات.[2] وسمي بالبدل ،لأن حرف المد فيه مبدل من الهمزة غالبا ومنه قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ، وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾. [3]

أما المد الفرعي بسبب السكون فقد قسمه علماء التجويد إلى :

- المد اللازم: وهو الذي يأتي بعد صوت المد فيه صوت ساكن مشدد في كلمة واحدة نحو: (الحآقة) في قوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾. [4] و(حاج) بتضعيف الجيم في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ﴾ [5] ويسمى المد اللازم الكلمي المثقل. أو غير مشدد نحو (الآن) في قوله تعالى: ﴿ الآنَ خَفَّفَ اللّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً﴾. [6] ويسمى المد اللازم الكلمي المخفف. أو يأتي بعد صوت المد فيه صوت ساكن سكونا أصليا مشددا في حرف من فواتح السور مثل: (الم): ألف لام ميم، فإن الميم الساكنة في كلمة (لام) جاءت بعد ألف المد وقد أدغمت في الميم الأولى في كلمة (ميم) ويسمى المد اللازم الحرفي المثقل. أو يأتي بعد صوت المد فيه

---

(١) عن علم التجويد القرآني ص ٣٥٠.

(٢) السابق ص ٣٥٢، ٣٥٣.

(٣) سورة سبأ الآيتان (٤، ٥).

(٤) سورة الحاقة الآيات (١،٢،٣)

(٥) سورة البقرة آية (٢٥٨).

(٦) سورة الأنفال آية (٦٦)

صوت ساكن سكوناً أصلياً غير مشدد في حرف من فواتح السور نحو: (ص) صاد، (ق) قاف، ويسمى المد اللازم الحرفي المخفف. وسمى لازما ؛ لأن السكون الموجب له لازم في الكلمة. وقدر مده بمقدار ست حركات وهو المعروف بمرتبة الإشباع. وحكمه الوجوب. [1] لذا قسمه علماء الأداء القرآني إلى أربعة أقسام هي: المد اللازم الكلمي المثقل، والمد اللازم الكلمي المخفف، والمد اللازم الحرفي المثقل، والمد اللازم الحرفي المخفف. فيجعلون طولها ـ حروف المد الثلاثة ـ ووفاء الصوت بها عوضا عما كان يجب لالتقاء الساكنين – حشوا – من تحريكها.[2]

- المد العارض: وهو أن يقع بعد حرف المد أو اللين ساكن عارض لأجل الوقف أو للإدغام عند بعض القراء كالإدغام الكبير لأبى عمرو من رواية السوسي. وحكمه الجواز. أي جواز مد وقصره ؛ لذا كان للقراء فيه ثلاثة مذاهب: الإشباع كاللازم لاجتماع الساكنين اعتدادا بالعارض. التوسط لمراعاة اجتماع الساكنين مع ملاحظة كونه عارضا فحطه عن الأصل. القصر لعروض السكون فلا يعتد به ؛ لأن الوقف يجوز فيه التقاء الساكنين مطلقا. [3] وسببه: هو وجود الصوت الساكن بعد أصوات المد واللين، سواء أكان هذا عارضاً نتيجة للوقف على هذا الصوت التالي لصوت المد كما في (الرحيم... وغفور) أم كان عارضا بسبب الإدغام الكبير على مذهب أبي عمرو كما في قوله تعالى:

---

(١) عن علم التجويد القرآني ص ٣٧١ .

(٢) الخصائص ٣ / ١٢٨ .

(٣) نهاية القول المفيد ص ١٤٠ – ١٤١ بتصرف .

﴿ذلك الكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾. [1] فالقارئ لكتاب الله – ﷻ – يطيل في زمن صوت المد عن قدره الطبيعي ليتمكن من نطق الصوت الساكن بعده. [2]

أما عن دور المد الفرعي أو الزائد في جمال الأداء لآي الذكر الحكيم فيرى أحد الباحثين المحدثين أن إطالة أصوات المد الطويلة قبل الهمزة الصوت القوي الشديد يمنح الأداء العذب في تنوع الدرجات والوحدات الزمنية للمسموع، وهذا يعني علوا في أصوات المد يقابله هبوط في صوت الهمزة مما يحدث إيقاعاً أدائياً عذباً. [3]

وكثيراً ما يستخدم المد في القرآن الكريم ليلائم الجو العام ولينسجم مع قواعد تشكيل الأداء الجميل المؤثر والدال. فهنالك مقاطع صوتية مغرقة في الطول والمد والتشديد وبالرغم من ندرة صيغة هذه المركبات الصوتية في اللغة العربية حتى أنها لتعدّ بالأصابع، فإننا نجد القرآن الكريم يستعل أفخمها لفظاً، وأعظمها وقعاً ؛ فتستوحي من دلالتها الصوتية مدى شدّتها، لتستنتج من ذلك أهميتها وأحقيتها بالتلبث والرصد والتفكير. من تلك الألفاظ: الحاقّة، الطّامة ؛ الصّاخة. وقد تأتي مجّردة عن التعريف فتهتدي إلى عموميتها، مثل: دابّة. كافة. هذه الصيغة صوتياً تمتاز بتوجه الفكر نحوها في تساؤل، واصطكاك السمع بصداها المدوي، وأخيراً بتفاعل الوجدان معها مترقباً: الأحداث، المفاجئات، النتائج المجهولة.

فمثل هذه الكلمات (الحاقة، والطامة، والصاخة): تستدعي نسبة عالية من الضغط الصوتي، والأداء الجهوري لسماع رنتها، مما يتوافق نسبياً مع إرادتها في جلجلة الصوت، وشدة الإيقاع، كل ذلك مما يوضح مجموعة العلاقات القائمة بين اللفظ ودلالته في مثل

---

(١) سورة البقرة آية (٢).

(٢) عن علم التجويد القرآني ص ٣٥٦.

(٣) إطالة أصوات المد في الأداء القرآني ص ٢٧ بتصرف.

هذه العائلة الصوتية الواحدة، فإذا أضفنا إلى ذلك معناها المحدد في كتاب الله تعالى – ﷻ –، وهو يوم القيامة، خرجنا بحصيلة علمية تنتهي بمصاقبة الشدة الصوتية للشدة الدلالية بين الصوت والمعنى الحقيقي.[1] وغالبا ما يكون ذلك في المد الذي يعقبه صامت مشدد أي في المد اللازم الكلمي المثقل وهو نوع من أنواع المد الفرعي بسبب السكون كما ذكرنا.

* * *

(١) الصوت اللغوي في القرآن صـ ١٦٨.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على من بعثه الله هادياً، ومبشراً، ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه، وسراجاً منيراً، اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين.

وبعد...

فقد تم هذا البحث بنعمة الله وفضله، وقد خلص هذا البحث إلي نتائج كثيرة، أهمها ما يلي:

١. يمثل الأداء الصوتي جانباً مهماً من جوانب اللغة، وأساساً من الأسس التي يبنى عليها الكلام، وتدرك من خلالها الأفهام مراد المتكلم. وتنبع فائدته أساساً من اتصاله بالأداء الحسن لكتاب الله – ﷻ – فالأداء الصوتي للنص القرآني يزيد المعنى جمالاً ويكسب اللفظ نغماً يأسر القلب ويأخذ اللب ؛ لذا كان تعلمه من أجل العلوم نظراً لهذا الارتباط.

٢. لتلاوة القرآن الكريم أسلوب فريد، ونموذج رائع جمع بين استحسان الشرع، وملائمة الطبع، بحيث يحقق الهدف المنشود من تلاوته، وهذا الأسلوب الخاص الذي تفرَّد به القرآن الكريم تلاوةً وأداء – يعتمد أساساً على تصحيح الحروف، وإجادة الوقوف، وتدبُّر المعنى، وتفهم المغزى، مع لطف الأداء الصوتي، وجمال النطق به، والترديد له.

٣. للأداء القرآني من ذي صوت حسن رخيم اجتمعت فيه مقومات الصوت الجميل أهمية بالغة في فقه لغة العرب وإدراك أسرارها الجمالية وقيمها التعبيرية.

٤. أن لجمال الأداء لآي الذكر الحكيم أثر كبير في نفس السامع، وسيدنا محمد – ﷺ – هو أوّل من أسّس تلاوة القرآن وقراءته بصوت حسن، وكان يؤكّد كثيرًا على قراءة القرآن بالأصوات الحسنة فجاءت في هذا المجال أحاديث كثيرة تؤكّد على

حسن الأداء والقراءة الصحيحة بل دعت صراحة إلى التغني بالقرآن الكريم حال ترتيله، فالصوت الحسن مع مراعاة أحكام التجويد يزيد في جمال القرآن، وله أثر في نفس الإنسان.

٥. يشترط في تحسين الصوت عند قراءة القرآن الكريم أو الترنم به الالتزام بأحكام التجويد وآداب التلاوة، والخروج عن نغم الألحان الموسيقية ؛ لأنه إذا كان القارئ متحاشياً الأنغام الموسيقية وألحان أهل الفسق قارئاً على لحون العرب محسناً صوته فلا مجال للطعن فيه، كما يشترط في تحسين الصوت عند قراءة القرآن ألا يغيّر التلحين والتطريب من ألفاظ القرآن، أو يخلّ بما نقل إلينا من طرق الأداء، وألا يكون تكلّفاً وتصنّعاً ورفعاً وخفضاً على نحو توقيعات الموسيقى، فلا كلام في أن هذا ممنوع ومحرّم، كما يشترط في جمال الأداء معرفة القارئ بالسياقات والأغراض القرآنية وما تشتمل عليه من وعد ووعيد، ومن إنذار وتخويف أو تبشير... إلخ وكيفية تأديتها بحيث تثير في المستمع لآي الذكر الحكيم إحساساً وتفاعلاً مع المشهد المتحدث عنه وكأنه ماثل أمام عينيه، وهذا لا يعني العلم بالمقامات الصوتية أو الموسيقية فقد كره القراءة بها المالكية وبعض الحنابلة. فالقارئ المتقن لأحكام التلاوة والعارف بالسياق القرآني أو الغرض من الآية وسبب نزولها يعرف كيف يختار الأداء المناسب لتلاوته وطبقات صوته من دون إخلال بالأحكام التجويدية المطلوبة، ومن دون تعلم فن المقامات الموسيقية ؛ لأنها عدول بالقرآن عن نهجه القويم إذ تنافي جلال القرآن وتخرج عن قواعد أدائه. فالقارئ الجيد من إذا سمعته يترنم بالقرآن حتى إنه تارة (يبكيك) وتارة (يطربك).. وذلك بطريقة ترتيله وباستغلال طبقات صوته المتعددة ونبراته المتنوعة إذا أحسن توظيفها واستغلالها والتنقل بينها، والقارئ المتقن لأحكام التلاوة وللأغراض القرآنية يعرف كيف يختار المقام المناسب لتلاوته وطبقات صوته من دون إخلال بالأحكام التجويدية

المطلوبة، وإنما يستغل صوته الحسن الرخيم في تصوير المشهد الذي يقرأه بدقة كأنك تعايشه فيريك المعقول محسوساً، والمعنوي مجسداً.

٦. أن للعوامل الفسيولوجية (العضوية) دوراً رئيسا في الإحساس بجمال الأداء لآي الذكر الحكيم واختلاف الصوت الصادر عنها جمالاً وتأثيرا في نفوس المستمعين، أو قبحاً وعدم تأثر بالأداء. ونتيجة للاختلاف التكويني لأعضاء النطق بين القراء وغيرهم تفاوت القراء في حسن الأداء وجمال الصوت.

٧. يستطيع القارئ بما يمتلكه من مرونة في أعضاء نطقه التحكم في عمق الصوت وحدته وتغيير نبراته وغير ذلك مما يمنح الأداء جمالاً وحلاوة حسب مقدار هذه المرونة. وهذه المرونة يمكن اكتسابها عن طريق تدريب اللسان على النطق الصحيح وإخراج الحروف من مخارجها مع المحافظة على الجرس النغمي للكلمة والعبارة، وخاصة اللسان والفك الأسفل وعضلات الحنجرة.

٨. لمدى قدرة القارئ على التحكم في تيار النفس وتنظيمه وضبطه دور بارز في تحسين الأداء وتناغمه في صورة أخاذة تشحذ السامعين إلى التأثر بجماله، كما يعد غيابها في ذات الوقت مدعاة للانصراف عن القارئ وذهاب جمال الأداء كلية عنه. وعن طريق تنظيم التنفس ـ أيضاً ـ يمكن للإنسان أن يتحكم في حدة صوته ونغمته أي شدته ودرجته.

٩. القارئ الجيد هو الذي يستطيع التحكم – عن طريق السيطرة على أعضاء نطقه – في نبرات صوته ويتنقل بين طبقاته – حسب المقام وحسب طبيعة صوته – بطريقة سلسلة ومهارة متقنة يستطيع من خلالها جذب انتباه السامع والتفاعل معه. وذلك بالانتقال من طبقة صوتية إلى طبقة أخرى بطريقة طبيعية ومنضبطة... إن صوت القارئ

قـادر بطبقاتـه المتعـددة علـي عكـس الحالـة التـي يريـد القـرآن أن يوصـلها إلـي قرائـه أو مستمعيه

١٠. تجعـل قواعـد التلاوة والتجويـد لأسـلوب القـرآن الكـريم انسـجاماً وإيقاعـاً عـذبا جميلاً، وهذه القواعد ليست شيئاً طارئاً على القرآن، وليست خارجة عنه بل هي من ذات القرآن ؛ لأنها أصول تتعلق بصحة تلاوته.. فالتجويد حلية التلاوة، وزينة القراءة.

١١. للإيقـاع فـي الأداء القرآنـي دور بـارز ومـؤثر فـي جمـال الأداء، والقـراء يتفـاوتون ويتفاضلون في أداء هذه الطرق الإيقاعية، وعلى قدر تفاوتهم يكون الإحساس بجمال الأداء أو العكس.

١٢. للقرآن الكريم – وهو بلغة العرب – لغة ذات طبيعة أدائية خاصة تميزه عن لغة أي نص آخر كتب بهذه اللغة.

* * *

المصادر والمراجـع

أولا: المصـادر :

- القرآن الكريم.
- إبراز المعاني بالأداء القرآني – د / إبراهيم بن سعيد بن حمد الدوسري – دار الحضارة للنشر / السعودية – ط / أولى ١٤٢٨ه /٢٠٠٧م.
- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر– أحمد بن محمد شهاب الدين الشهير بالبناء – تح /أنس مهرة – دار الكتب العلمية / لبنان – ط /ثالثة ١٤٢٧هـ /٢٠٠٦م.
- الإتقان في علوم القرآن – جلال الدين السيوطي – تح / محمد أبو الفضل إبراهيم – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.
- أثر القراءة بالتجويد في تدبر القرآن المجيد – دراسة تأصيلية – د / باسم بن حمدي بن حامد السيد – دار الحضارة للنشر / الرياض – ط /أولى ١٤٣٥ه / ٢٠١٤م.
- أحكام القرآن – القاضي أبو بكر بن العربي– راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه/ محمد عبد القادر عطا – دار الكتب العلمية / بيروت – ط / ثالثة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- إحياء علوم الدين – محمد بن محمد الغزالي أبو حامد – دار المعرفة / بيروت.
- الإدراك الآلي للنظام الأدائي في اللغة العربية في ضوء ظاهرة التزمين – د / أميرة زين رفاعي سمبس – المملكة العربية السعودية / كلية التربية للبنات مكة المكرمة.
- إذهاب الحزن وشفاء الصدر السقيم في تعليم النبي ﷺ. أصحابه ألفاظ القرآن الكريم = المنهج النبوي في التعليم القرآني . عبد السلام مقبل اليمني . دار الإيمان/الإسكندرية،مصر . ط /أولى ٢٠٠٤م.
- أساس البلاغة – الزمخشري – تح / محمد باسل عيون السود– دار الكتب العلمية /بيروت – لبنان
- أسباب التعدد في التحليل النحوي – د / محمود حسن الجاسم – المكتبة الشاملة.

- أصوات العربية بين الوصف والتنظيم ـ د /محمد عبدالحفيظ العريان – مطبعة أبناء وهبة حسان – طنطا – ط /أولى ١٤١٢ه /١٩٩١م.
- أصوات اللغة – د / عبد الرحمن – مكتبة الشباب – من دون تاريخ.
- الأصوات اللغوية – د / إبراهيم أنيس – مكتبة الأنجلو المصرية – ١٩٩٥م.
- الأصوات اللغوية – د / زين كامل الخويسكي – دار المعرفة الجامعية / الإسكندرية ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.
- أصوات حروف القلقلة بين المتقدمين والمتأخرين – فرغلي سيد عرباوي – زوائد النسخة المكية.
- إعجاز القراءات القرآنية (دراسة في تاريخ القراءات واتجاهات القراء) – د / صبري الأشوح – مكتبة وهبة / القاهرة – ط /أولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية – مصطفى صادق الرافعي – دار الكتاب العربي / بيروت – ط /ثامنة ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م.
- إعراب القرآن – أبو جعفر النحاس ـ تح /زهير غازى زاهد ـ عالم الكتب – ط /ثانية ١٤٠٥ه / ١٩٨٥م.
- البحث اللغوي عند إخوان الصفا – د / أبو السعود الفخراني – مطبعة الأمانة ١٤١١ه /١٩٩١م.
- البحث اللغوي عند العرب – د / أحمد مختار عمر – عالم الكتب – ط /ثامنة ٢٠٠٣م.
- البديع في ضوء أساليب القرآن – د / عبدالفتاح لاشين– دار الفكر العربي / القاهرة ١٤١٩ه / ١٩٩٩م.
- البرهان في علوم القرآن – بدر الدين الزركشي – تح / محمد أبو الفضل إبراهيم – دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه – ط /أولى ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م.
- البلاغة الصوتية في القرآن الكريم – د /محمد إبراهيم شادي– مطبعة الرسالة– ط /أولى١٤٠٩ه ١٩٨٨م
- بيان إعجاز القرآن – أبو سليمان الخطابي ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن – سلسة ذخائر العرب – دار المعارف / مصر.

- البيان في روائع القرآن (دراسة لغوية وأسلوبية للنص للقرآني) – د / تمام حسان – عالم الكتب / القاهرة.
- البيان والتبيين – الجاحظ – تح / المحامي فوزي عطوي – دار صعب / بيروت – ط / أولى ١٩٦٨م.
- تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي – د / شوقي ضيف – دار المعارف / مصر.
- تاريخ الأدب العربي – مصطفى صادق الرافعي – دار الكتاب العربي.
- تاريخ دمشق – ابن عساكر – تح / عمرو بن غرامة العمروي – دار الفكر ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
- التحديد في الإتقان والتسديد في صنعة التجويد – أبو عمرو الداني – تح د / غانم قدوري الحمد – مكتبة دار الأنبار / بغداد – ط / أولى ١٤٠٧هـ / ١٩٨٨م.
- تذكرة الحفاظ – شمس الدين الذهبي – دار الكتب العلمية / بيروت – ط / أولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
- التذكرة في القراءات – أبو الحسن طاهر بن غلبون – تح د / عبدالفتاح بحيرى إبراهيم – الزهراء للإعلام العربى – ط / أولى ١٤١٠ه / ١٩٩٠م.
- التصوير الفني في القرآن – الشيخ / سيد قطب – دار الشروق / مصر – ط / رابعة ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.
- التعبير القرآني – د / فاضل صالح السامرائي – دار عمار / عمان – ط / رابعة ١٤٢٧ه / ٢٠٠٦م.
- التغني بالقرآن – لبيب السعيد – الهيئة العامة للتأليف والنشر ١٩٧٠م.
- تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) – أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي – تح / محمد حسين شمس الدين – دار الكتب العلمية / بيروت – ط / أولى ١٤١٩هـ.
- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم – أبو محمد عبد الرحمن الرازي ابن أبي حاتم – تح / أسعد محمد الطيب – مكتبة نزار مصطفى الباز / المملكة العربية السعودية – ط / ثالثة ١٤١٩هـ.
- التفسير الكبير – الفخر الرازي – دار إحياء التراث العربي / بيروت – ط / ثالثة ١٤٢٠ه.
- تفسير آيات الأحكام – محمد علي سايس – تح / ناجي سويدان – المكتبة العصرية ٢٠٠٢م.

- تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين – أبو الحسن النوري الصفاقسي – تح / محمد الشاذلي النيفر– مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله.
- تهذيب اللغة – أبو منصور الازهري – تح / عبد السلام هارون وآخرين – الدار المصرية / مصر الجديدة ١٣٨٤ه / ١٩٦٤م.
- التوجيهات والآثار النحوية والصرفية للقراءات الثلاثة بعد السبعة لأصحابها أبو جعفر المدنى، ويعقوب البصرى، وخلف الكوفى – د / على محمد فاخر – مكتبة وهبه – ط / أولى ١٤٢٠ه / ١٩٩٩م.
- جامع البيان في تأويل القرآن – محمد بن جرير أبو جعفر الطبري – تح / أحمد محمد شاكر – مؤسسة الرسالة – ط /أولى ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠ م.
- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) – أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي – تح / أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش – دار الكتب المصرية – ط /ثانية ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م.
- الجرس والإيقاع في تعبير القرآن – د / كاصد ياسر حسين.
- جمال التلاوة في الصوت والنغم– جمعيّة القرآن الكريم للتوجيه والإرشاد– بيروت /لبنان– ط /أولى ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م.
- جمال القراء وكمال الإقراء – علم الدين السخاوي – تح د / علي حسين البواب – مكتبة التراث / مكة المكرمة – ط /أولى ١٤٠٨هـ /١٩٨٧م.
- جماليات المفردة القرآنية – د / أحمد ياسوف – دار المكتبي / دمشق – ط / أولى ١٤١٩ه /١٩٩٩م.
- الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم أو المصحف المرتل بواعثه ومخططاته – لبيب السعيد – دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة.
- جمهرة اللغة أبوبكر بن دريد – تح / رمزي منير بعلبكي– دار العلم للملايين /بيروت ط /أولى١٩٨٧م.

- الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات عبد البديع النيرباني – دار الغوثانى /دمشق – ط /أولى ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
- الخصائص – أبو الفتح بن جني – الهيئة المصرية العامة للكتاب / القاهرة – ط /رابعة.
- خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني– د /محمد أبو موسى– مكتبة وهبة ـ ط /سابعة
- الخطابة – د / نقولا فياض – طبعة دار الهلال / مصر ١٩٣٠م.
- الخطابة أصولها وتاريخها في أزهر عصورها عند العرب – الشيخ / محمد أبو زهرة – دار الفكر العربي – ط /ثانية ١٩٨٠م.
- خلق أفعال العباد – أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري– تح د /عبدالرحمن عميرة – دار المعارف / السعودية – الرياض.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور – جلال الدين السيوطي – دار المعرفة للطباعة والنشر / بيروت
- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد – د / غانم قدوري الحمد – مطبعة الخلود / بغداد – ط / أولى ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- دراسات في أسلوب القرآن الكريم – الشيخ / محمد عبدالخالق عضيمة.
- دراسات في علم اللغة – د / كمال محمد بشر – دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع / القاهرة.
- دراسات في علوم القرآن – محمد بكر إسماعيل – دار المنار– ط /ثانية ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.
- دراسة السمع والكلام (صوتيات اللغة من الإنتاج إلى الإدراك) – د / سعد عبدالعزيز مصلوح – عالم الكتب / القاهرة ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
- دراسة الصوت اللغوي – د / أحمد مختار عمر – عالم الكتب / القاهرة – ١٤١٨ه /١٩٩٧م.

- دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون – القاضي عبد رب النبي بن عبد رب الرسول الأحمد نكري . تح وتعريب / حسن هاني فحص . دار الكتب العلمية / بيروت – ط /أولى ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
- دلائل الإعجاز في علم المعاني – أبو بكر عبد القاهر الجرجاني – تح / محمود محمد شاكر – مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة – ط /ثالثة ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.
- ديناميكية الأداء الصوتي في القرآن الكريم – نعيم الحمصي – مؤسسة الرسالة / بيروت – ط /ثانية ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة – مكى بن أبى طالب . تح د /أحمد حسن . دار الكتب العربية.
- روائع البيان تفسير آيات الأحكام – محمد علي الصابوني – مكتبة الغزالي / دمشق، ومؤسسة مناهل العرفان / بيروت – ط /ثالثة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
- روح البيان – إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي – دار الفكر / بيروت.
- سر صناعة الإعراب – أبو الفتح عثمان بن جنى – تح / أحمد فريد أحمد – المكتبة التوفيقية.
- سنن ابن ماجه – أبوعبد الله محمد بن يزيد القزويني – تح / محمد فؤاد عبد الباقي – دار إحياء الكتب العربية / فيصل عيسى البابي الحلبي.
- سنن أبي داود – أبو داود سليمان بن الأشعث – تح / محمد محيي الدين عبد الحميد – المكتبة العصرية / صيدا – بيروت.
- سنن الترمذي – محمد بن عيسى الترمذي – تح / أحمد محمد شاكر، وآخرين – مطبعة مصطفى البابي الحلبي / مصر – ط /ثانية ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.
- السيرة النبوية – عبدالملك ابن هشام – تح / مصطفى السقا، وآخرين – مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده / مصر – ط / ثانية ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م.

- شرح السنة – أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي – تح / شعيب الأرنؤوط، وآخر– المكتب الإسلامي / دمشق، بيروت – الطبعة / الثانية ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- شرح تشريح القانون – ابن النفيس – تح / سلمان قطاية السوري الحلبي – المكتبة الشاملة.
- شرح صحيح البخاري لابن بطال – ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك – تح / أبو تميم ياسر بن إبراهيم – مكتبة الرشد / السعودية، الرياض – ط / ثانية ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م
- شعب الإيمان – أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي – تح د / عبد العلي عبد الحميد حامد – مكتبة الرشد / الرياض – ط /أولى ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.
- الشمعة المضية بنشر قراءات السبعة المرضية – أبو السعد زين الدين بن محمد الطَّبَلاوي – تح د /علي سيد أحمد جعفر– مكتبة الرشد – السعودية / الرياض – ط /أولى ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان – محمد بن حبان التميمي أبو حاتم – تح / شعيب الأرنؤوط . مؤسسة الرسالة / بيروت – ط /ثانية ١٤١٤هـ /١٩٩٣م.
- صحيح الجامع الصغير وزياداته – أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني – المكتب الإسلامي.
- الصوت اللغوي في القرآن – محمد حسين علي الصغير – دار المؤرخ العربي / بيروت – ط /أولى.
- الصوتيات العربية – د / منصور بن محمد الغامدي – مكتبة التوبة بالرياض ط /أولى١٤٢١هـ /٢٠٠١م.
- طيبة النشر في القراءات العشر– شمس الدين بن الجزري – تح / محمد تميم الزغبي – دار الهدى / جدة – ط /أولى ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
- الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم –نذير حمدان–دار المنايرة جدة /السعودية– ط /أولى ١٤١٢ه /١٩٩١م.
- العزف على أنوار الذكر معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآنيّ في سياق السورة – د / محمود توفيق سعد

- علم الأصوات اللغوية (الفونتيكا) – د/عصام نور الدين ـ دار الفكر اللبناني / بيروت ط /أولى ١٩٩٢م.
- علم التجويد كمدخل وقائي وعلاجي لاضطرابات النطق والكلام – د/ محمد محمود عبد العزيز النحاس – المكتبة الشاملة.
- علم الصوتيات – د/عبد الله ربيع، ود/عبد العزيز علام – مكتبة الطالب الجامعي /مكة المكرمة – ط/ ثانية ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- علم اللغة – د/ علي عبد الواحد وافي – نهضة مصر– الطبعة / الأولى.
- علم اللغة العام (الأصوات) – د/ كمال محمد بشر – دار غريب / القاهرة ٢٠٠٠ م.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري – بدر الدين العيني – دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- عن علم التجويد القرآني في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة – د/عبدالعزيز أحمد علام – ط/أولى ١٤١٠ه/ ١٩٩٠م.
- عناية المسلمين باللغة العربية خدمة للقرآن الكريم – سليمان بن إبراهيم بن محمد العايد . الناشر/ مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.
- غرائب القرآن ورغائب الفرقان – نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري – تح الشيخ/ زكريا عميرات – دار الكتب العلمية / بيروت – ط/ أولى ١٤١٦هـ.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري – ابن حجر العسقلاني – رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه/ محمد فؤاد عبدالباقي – دار المعرفة / بيروت ١٣٧٩ه.
- فتوح مصر وأخبارها – أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله القرشي المصري – تح/ محمد الحجيري – دار الفكر / بيروت – ط/ أولى ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
- فضائل القرآن – أبو الفداء إسماعيل بن كثير – مكتبة ابن تيمية – ط/ أولى ١٤١٦هـ.
- فن الإلقاء – محمد عبد الرحيم عدس – دار الفكر/الأردن – ط/ أولى.

- فـن الخطابة – للشيخ / علي محفـوظ – طبعة / دار الاعتصام.
- الفواصل القرآنية دراسة بلاغية – د /السيد خضر – مكتبة الإيمان بالمنصورة.
- الفوز الكبير في أصول التفسير– الإمام / أحمد بن عبد الرحيم المعروف بـ ولي الله الدهلوي – عَرَّبَه من الفارسية / سلمان الحسيني النَّدوي– دار الصحوة / القاهرة – ط / ثانية ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.
- في ظلال القرآن – الشيخ / سيد قطب – دار الشروق / بيروت، القاهرة – طبعة (١٧) ١٤١٢هـ
- فـيض القـدير شـرح الجـامع الـصغير – زيـن الـدين محمـد المـدعو بعبـد الـرؤوف المنـاوي – المكتبـة التجارية الكبرى / مصر – ط / أولى ١٣٥٦ه.
- قالوا عن القرآن – د / عماد الدين خليل – المكتبة الشاملة.
- القاموس المحيط – الفيروز أبادي– الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧م.
- القـراءات المتواترة وأثرها في الرسـم القرآني والأحكام الشرعية – محمد حبش – دار الفكر / دمشق – الطبعة / الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.
- القـوافي – القاضي أبـو يعلـي التنـوخي – تـح د / عـوني عبـد الـرءوف – الخـانجي /مـصر– ط /ثانيـة ١٩٧٨م.
- كتاب المواقف – عـضد الدين عبد الرحمن بـن أحمد الإيجي – تـح د / عبد الرحمن عميرة – دار الجيل / بيروت – الطبعة /الأولى ١٩٩٧م.
- كتاب سيبويه – تح / عبد السلام محمد هارون – الخانجي / القاهرة – ط / ثالثة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- كـشاف اصطـلاحات الفنـون والعلـوم – محمـد علـى التهانـوى – مكتبـة لبنـان ناشـرون / بيـروت ١٩٩٦م.
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن – أبو إسحاق الثعلبي– تح الإمام / أبي محمد بن عاشور – دار إحياء التراث العربي بيروت / لبنان – الطبعة / الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.

- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال – علاء الدين علي بن حسام الدين الهندي – تح / بكري حياني، وصفوة السقا – مؤسسة الرسالة – ط / خامسة ١٤٠١هـ /١٩٨١م.
- لسان العرب – ابن منظور– دار صادر / بيروت – ط / ثالثة ١٤١٤ه.
- اللغة – فندريس – تر د /عبد الحميد الدواخلي، ود / محمد القصاص– طبعة لجنة البيان العربي ١٩٥٠م
- اللغة العربية أداءً ونطقاً وإملاء وكتابة – فخري محمد صالح – الوفاء للطباعة النشر.
- لغة القرآن دراسة توثيقية – د /أحمد مختار عمر– مؤسسة الكويت للتقدم العلمي– ط /ثانية ١٤١٨هـ /١٩٩٧م.
- مباحث في علوم القرآن – د / صبحي الصالح – دار العلم للملايين – الطبعة (٢٤)– ٢٠٠٠م.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد – أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي – تح / حسام الدين القدسي – مكتبة القدسي / القاهرة ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
- محاولة في أصل اللغات– جان جاك روسو– تعريب /محمد محجوب – دار الشؤون الثقافية العامة /بغداد ١٩٨٦م.
- المختصر في أصوات اللغة العربية (دراسة نظرية وتطبيقية) – د / محمد حسن جبل – مكتبة الآداب / القاهرة – الطبعة / الرابعة ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.
- المدخل إلى علم الأصوات دراسة مقارنة – د / صلاح الدين صالح حسنين – ط / أولى ١٩٨١م.
- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي – د / رمضان عبد التواب – مكتبة الخانجي / القاهرة – الطبعة / الثالثة ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
- مدخل إلى معرفة اللسانيات – د / محمد إسماعيل بصل – دار المتنبي / دمشق.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل – أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل – تح / شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرين – مؤسسة الرسالة – الطبعة / الأولى ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.

- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله – ﷺ – مسلم بن الحجاج – تح / محمد فؤاد عبد الباقي – دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول – حافظ بن أحمد بن علي الحكمي – تح / عمر بن محمود أبو عمر – دار ابن القيم / الدمام – الطبعة / الأولى ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) – أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي – تح / عبدالرزاق المهدي – دار إحياء التراث العربي / بيروت – الطبعة / الأولى ١٤٢٠ه.
- معانى القراءات – أبو منصور الأزهرى – تح د / عيد مصطفى درويش، ود /عوض بن حمد القوزى – دار المعارف – ط / أولى ١٤١٢ / ١٩٩١.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن – السيوطي – دار الكتب العلمية / بيروت ط /أولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- المعجزة الكبرى القرآن – محمد بن أحمد المعروف بأبي زهرة – دار الفكر العربي.
- المعجم – أبو يعلى أحمد بن علي التميمي – تح / إرشاد الحق الأثري – إدارة العلوم الأثرية / فيصل آباد – الطبعة / الأولى ١٤٠٧ه.
- المعجم الوسيط – إبراهيم مصطفى، وآخرون – أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة – دار الدعوة.
- معجم علوم القرآن – إبراهيم محمد الجرمي – دار القلم / دمشق – ط /أولى ١٤٢٢هـ /٢٠٠١م.
- المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام ـ جمع وإعداد /علي بن نايف الشحود– المكتبة الشاملة.
- مقاييس اللغة – أحمد بن فارس – تح /عبد السلام هارون – دار الجيل / بيروت.
- المقدمات الأساسية في علوم القرآن – عبد الله بن يوسف بن عيسى بن يعقوب اليعقوب – مركز البحوث الإسلامية ليدز / بريطانيا – ط / أولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

- مقدمة في أصوات اللغة العربية – د / عبدالفتاح عبدالعليم البركاوي.
- مقدّمة لدراسة فقه اللغة – د / محمد أحمد أبو الفرج – دار النهضة العربية / بيروت – ط / أولى ١٩٦٩م
- الممتع الكبير في التصريف ابن عصفور – مكتبة لبنان – طبعة / أولى ١٩٩٦م.
- من أحكام علم التجويد (الإخفاء) – د / سيد أحمد علي الصاوي.
- من أسرار البناء الداخلي في القرآن الكريم – محمد صبحي السويركي – الطبعة / الأولى.
- من أسرار التعبير في القرآن – د /عبد الفتاح لاشين – دار عكاظ / الرياض ١٩٨٣م.
- من وحي القرآن – د / إبراهيم السامرائي – دار الفكر / دمشق ١٩٩٩م.
- مناهل العرفان في علوم القرآن – محمد عبدالعظيم الزرقاني – دار الفكر / بيروت – ط / أولى ١٩٩٦م.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج – أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي – دار إحياء التراث العربي / بيروت – ط /ثانية ١٣٩٢ه.
- موسوعة الخطب والدروس جمعها ورتبها الشيخ علي بن نايف الشحود.
- النبأ العظيم (نظرات جديدة في القرآن) – د / محمد عبد الله دراز– دار الثقافة /الدوحة ١٩٨٥م
- النشر في القراءات العشر – شمس الدين بن الجزري – تح / علي محمد الضباع – المطبعة التجارية.
- النكت في إعجاز القرآن – علي بن عيسى الرماني– ضمن كتاب ثلاث رسائل في إعجاز القرآن.
- نهاية القول المفيد في علم التجويد – الشيخ / محمد مكى نصر – مصطفى البابي الحلبى ١٣٤٩هـ.
- النهاية في غريب الحديث والأثر – مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير – تح / طاهر أحمد الزاوى، ومحمود محمد الطناحي – المكتبة العلمية / بيروت ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

• وظيفة الصورة الفنية في القرآن – عبدالسلام أحمد الراغب – الناشر / فصلت للدراسات والترجمة / حلب – ط /أولى ١٤٢٢هـ /٢٠٠١م.

ثانيا: الأبحاث والدوريات :

• أثر التلوين الصوتي في البلاغة القرآنية – د / أسامة عبد العزيز جاب الله – رسالة دكتوراة في كلية الآداب بطنطا / قسم اللغة العربية.

• أثر التنغيم في توجيه الأغراض البلاغية لعلم المعاني (الاستفهام نموذجا) – د / مزاحم مطر حسين – مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية – العددان (٣، ٤) – المجلد (٦) – ٢٠٠٧م

• الأداء الصوتي في اللغة العربية – د / سالم محمد سالم – مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية مجلد (٢) العدد (٢) ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

• الأداء الصوتي في المستوى الأسلوبي لأدونيس في أغاني مهيار الدمشقي – رسالة ماجستير في كلية الآداب / جامعة القادسية قسم اللغة العربية وآدابها – للباحث / عادل نذير بيري الحساني ١٤٢٣هـ /٢٠٠١م

• أداء الكلام وعلاقته بالمعنى والإعراب – محمد بن علي محمد العمري – مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها – العدد (الثالث) ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م.

• الأداءات المصاحبة للكلام وأثرها في المعنى – حمدان رضوان أبو عاصي – مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية) المجلد (١٧) العدد (الثاني) ٢٠٠٩م.

• الإعجاز التأثيري في القرآن الكريم – د / زياد عوّاد – مجلة جامعة دمشق- المجلد (الثامن عشر) العدد (الأول) ٢٠٠٢م.

• الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم – د / خالد محمد القضاة – بحث مقدم إلى مؤتمر كلية الشريعة السابع (إعجاز القرآن الكريم) جامعة الزرقاء الأهلية في ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

- الجاحظ والفصاحة اللغوية – د / أحمد مطلوب – مجلة المورد المجلد (١١) العدد (١) الجمهورية العراقية / بغداد – وزارة الثقافة والاعلام – دار الجاحظ للنشر.
- جمال الفاصلة في القرآن – د / عبدالقادر بن فطة – بحث في مجلة عود الند الثقافية الشهرية بالجزائر.
- جماليات الإيقاع الصوتي في لغة القرآن الكريم – رسالة ماجستير بكلية الآداب واللغات قسم اللغة العربية / جامعة محمد بسكرة في الجزائر للباحث / محمد الصغير ميسة – ٢٠١١، ٢٠١٢م.
- دلالة الأصوات في فواصل آيات جزء عم (دراسة تحليلية) – د / محمد رمضان البع – مجلة جامعة الأقصى (سلسلة العلوم الإنسانية) المجلد (١٣) – العدد (الثاني) ٢٠٠٩م.
- السجع القرآني دراسة أسلوبية – بحث ماجستير بكلية الآداب عين شمس – قسم اللغة العربية – للباحثة / هدى عطية عبدالغفار – سنة ٢٠٠١م.
- السلوك الانفعالي في أسلوب الاستفهام (دراسة لغوية تحليلية نفسية) – علي محمد نور المدني – مجلة جامعة الملك عبدالعزيز – كلية الآداب والعلوم الإنسانية مجلد (١٧) العدد (١) سنة ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م
- صوت الهاء في العربية – د / ابراهيم كايد محمود مجلة جامعة أم القرى العدد (١٩) سنة ١٣٢٤هـ.
- الصوت ونبراته في الإلقاء – د / نزار نبيل أبو منشار – (نقلا عن شبكة الألوكة).
- ظاهرة المد في الأداء القرآني دراسة صوتية للمدة الزمنية للمد العارض للسكون – يحيى بن علي المباركي – مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة – العدد(١٢٠) السنة (٣٥) ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.
- العوامل المؤثرة في الصوت الإنساني – د /ممدوح إبراهيم محمود – مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط ٢٠١٣م
- الغناء والموسيقى حتى نهاية العصر الأموي – د / شحادة علي الناطور – مجلة المورد – المجلد (١٣) العدد (٤) ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م.

- نماذج من الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم دراسة دلالية – د / دفة بلقاسم – مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية – جامعة محمد خيضر بسكرة الجزائر ٢٠٠٩م.
- المجيد فى إعراب القرآن المجيد – إبراهيم بن محمد الصفاقسى – تح / عبدالعزيز أحمد محمد إسماعيل رسالة دكتوراة – مكتبة كلية اللغة العربية بالقاهرة برقم (١٢٧٨) سنة ١٩٧٨م.
- الوحدات القطعية في لغة القرآن الكرم عددها واستعمالاتها والملامح الصوتية المميزة لها – د / ممدوح إبراهيم محمود – مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط – العدد (٣٠) الجزء / الرابع سنة ٢٠١١م.

ثالثا: المقالات في المواقع الإلكترونية :

- اضطرابات الصوت – د / إيهاب الببلاوي – نقلا عن منتدى أطفال الخليج ذوي الاحتياجات الخاصة.
- اضطرابات الصوت – مقال في النت لـ الزريقات – عام ٢٠٠٥.
- تلاوة القرآن الكريم – محمد الشرقاوي.
- الحنجرة ووظائف الصوت – مقال في النت على موقع طبيب دوت كوم.
- خصائص الصوت – نقلا عن موقع د / إبراهيم بن عبد الله المحيسن.
- شرح كتاب العلوم الجلية في الوصول إلي المقامات الصوتية – منتديات الشيخ محمد صديق المنشاوي.
- الصوت البشري وخصائصه – السيد لؤي – منتديات الشيخ محمد صديق المنشاوي.
- طرق التحكم بطبقة الصوت – عبدالرازق عبطان الدليمي – منتديات مزامير آل داود.
- عناصر الإلقاء الصوتي – د / محمد بدرة، مقال في النت بتاريخ: الأحد ٢٢ مـارس ٢٠٠٩م.
- قواعد تشكل النغم في موسيقى القرآن الكريم.
- كل شيء عن الحنجرة والحبال الصوتية – نقلا عن منتدى مزامير آل داوود.
- كيفية تقوية الحبال الصوتية – باسم المنصوري.
- مقومات الصوت الجميل – حوار مع الدكتور/عبد اللطيف حمدان – نقلا عن موقع مزامير آل داود.
- نبرة صوتك ما بين الجاذبية والنفور – ناهد أحمد البوعينين.

* * *

- Sayis, M. (2002). *Tafseer Aayaat al-aHkaam*. N. Suwaidaan (Ed.). Al-Maktabah Al-ASriyyah.
- Shaadi, M. (1988). *Al-balaghah al-Sawtiyyah fi al-quran al-kareem*.MaTba`atAl-Risaalah.
- *SharH kitaab al-uloom al-jaliyyah fi al-wuSool ila al-maqamaat al-Sawtiyyah*. (n.d.). MuHammad Siddeeq al-Manshaawi Forum.
- Sumbus, A. (n.d.). *Al-Edraak al-aali li al-nizhaam al-adaa'ee fi al-lughah al-arabiyah fi DHaw' zhahirat al-tazmeen*. Makkah: Girls College of Education.
- Taalib, M. (n.d.). *Al-Ri`aayah li tajweed al-qira'ah wa taHqeeq lafzh al-tilaawah*. A. Hasan (Ed.). Daar Al-Kutub Al-Arabiyyah.
- UDhaimah, M. (n.d.). *Dirasaat fi usloob al-quran al-kareem*. (n.p.).
- Umar, A. (1997). *Dirasaat al-Sawt al-lughawi*. Cairo: Daar Aalam Al-Kutub.
- Umar, A. (1997). *Lughat al-quran diraasah tawtheeqiyyah* (2nd ed.). Mu'assasat Al-Kuwait li Al-Taqaddum Al-Ilmi.
- Umar, A. (2003).*Al-BaHth al-lughawi ind al-Arab* (8th ed.).Daar Aalam Al-Kutub.
- Vendryes. (1950). *Al-Lughah*. A. Al-Dawaakhili & M. Al-QaSSaaS (Eds.). Lajnat Al-Bayaan Al-Arabi.
- Waafi, A. (n.d.). *Ilm Al-lughah*. NahDHat MiSr.
- Yaasoof, A. (1999). *Jamaliyyat al-mufradah al-quraniah*. Damascus: Daar Al-Maktabi.

* * *

- MaSlooH, S. (2005). *Dirasaat al-sam` wa al-kalaam (Sawtiyyaat al-lughah min al-entaaj ila al-edraak*. Cairo: Daar Aalam Al-Kutub.
- MaTloob, A. (n.d.). Al-JaaHizh wa al-faSaaHah al-lughawiyyah. *Al-Mawrid Journal, 1* (11).
- Meesah, M. (2012). Jamaaliyyat al-iqaa` al-Sawti fi lughat al-quran al-kareem (Masters' Thesis). Mohamed Biskra University, Algeria.
- *MuHammad Al-Sharqaawi recitation of the holy quran*. (n.d.).
- MuSTafa, I., et al. (n.d.). *Al-Mu`jam al-waseeT*. Cairo: Academy of the Arabic Language& Daar Al-Da`wah.
- NaSr. M. (1349). *Nihaayat al-qawl al-mufeed fi ilm al-tajweed*. MuSTafa Al-Baabi Al-Halabi.
- Nikri, A. (2000). *Dustoor al-ulamaa' aw jami` al-uloom fi eSTilaHaat al-funoon*. H. FaHS (Ed.). Beirut: Daar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
- Noor Al-Deen, A. (1992). *Phonetics*. Beirut: Daar Al-Fikr Al-Lubnaani.
- *Qawaa`id fi tashakkul al-nagham fi musiqaa al-quran al-kareem*. (n.d.).
- Qutub, S. (1412). *Fi zhilaal al-quran* (17th ed.). Beirut/ Cairo:Daar Al-Shurooq.
- Qutub, S. (1993). *Al-TaSweer al-fanni fi al-qura*n (4th ed.). Egypt: Daar Al-Shurooq.
- Rabee`, A.& Allaam, A. (1988). *Phonetics* (2nd ed.). Makkah: Maktabat Al-Taalib Al-Jaami`i.
- Rousseau,J. (1986). *MuHawalah fi aSl al-lughaat*. M. MaHjoob (Ed.). Baghdad: Daar Al-Shu'oon Al-Thaqaafiyyah Al-Aamah.
- Sa`ad, M. (n.d.). *Al-Azf ala anwaar al-dhikr ma`aalim al-Tareeq ila fiqh al-ma`na al-quraani fi siyaaq al-surah*. (n.p.).
- SaaliH, F. (n.d.). *Al-Lughah al-arabiyyah adaa'an wa emlaa'an wa kitaabatan*. Al-Wafaa'.
- Saalim, S. (2005). Al-Adaa' al-Sawti fi al-lughah al-arabiyyah. *University of Sharjah Journal of Humanities and Sharia Sciences, 2* (2).

- *IDHTirabaat al-Sawt*. (2005). Al-Zuraiqaat Forum.
- Ismaa`eel, M. (1999). *Dirasaat fi uloom al-Quran* (2nd ed.). Daar Al-Manaar.
- JaabAllah, U. (n.d.). *Athar al-talween al-Sawti fi al-balaaghah al-quraaniyyah* (Doctoral Dissertation). University of Tanta, TanTa.
- Jabal, M. (2006). *Al-MukhtaSar fi uSwaat al-lughah al-Arabiyyah: Diraasah nazhariyyah wa taTbeeqiyyah* (4th ed.). Cairo: Maktabat Al-Aadaab.
- *Jamaal al-tilaawah fi al-Sawt wa al-nagham*. (2012.). Beirut: The Holy Quran Association for guidance .
- Khaleel, I. (n.d.). *Qaloo `an al-quran*. Al-Maktabah Al-Shaamilah.
- *KhaSaa'iS al-Sawt*. (n.d.). Ibraheem Abdullah Al-MuHaisin Forum.
- KhuDHr, A. (n.d.). *Al-FawaaSil al-quraniyyah*. Mansoura: Maktabat Al-Imaan.
- *Kitaab Sibawayh* (3rd ed.). (1988). A. Haroon. (Ed.).Cairo: Al-Khaanji.
- *kull shay' `an al-Hunjarah wa al-Hibaal al-Sawtiyyah*. Mazameer Al-Dawood Forum.
- Laasheen, A. (1983). *Min asraar al-ta`beer fi al-quran*. Riyadh: Daar Ukaazh.
- Lasheen, A. (1999). *Al-Badee` fi Dhaw' asaleeb al-quran*. Cairo: Daar al-Fikr Al-Arabi.
- MaHfoozh, A. (n.d.). *Fann al-khaTaabah*. Daar Al-E`tiSaam.
- MaHmood, I. (1324). Sawt al-haa' fi al-arabiyyah. *Umm Al-Qura University Journal, 19.*
- MaHmood, M. (2011). Al-WiHdaat al-qaT`iyyah fi lughat al-quran al-kareem adaduha wa isti`malaatuha wa al-malaamiH al-Sawtiyyah al-mumaiyizah laha. *Journal of College of Arabic Language in Assuit, 3,* (30).
- MaHmood, M. (2013). Al-Awaamil al-mu'ath-thirah fi al-Sawt al-insaani. *Journal of College of Arabic Language and its Literature in Assuit.*

- Ibn Al-Atheer, M. (1979). *Al-Nihaayah fi ghareeb al-Hadeeth wa al-athar*. T. Al-Zaawi& M. Al-TanaaHi (Eds.). Beirut: Al-Maktabah Al-Ilmiyyah.
- Ibn Al-Hajjaaj, M. (n.d.). *Al-Musnad al-SaHeeH al-mukhtaSar bi naql al-adl `an al-adl ila rasool Allah Salla Allah alayh wa sallam*. M. Abdulbaaqi (Ed.). Beirut: Daar IHyaa' Al-Turaath Al-Arabi.
- Ibn Al-Jazari, Sh. (1994). *Taibat al-nashr fi al-qira'aat al-asher*. M. Al-Zughbi (Ed.). Jeddah: Daar Al-Huda.
- Ibn Al-Nafees. (n.d.). *SharH tashreeH al-qaanoon*. S. Al-Halabi (Ed.). Al-Maktabah Al-Shaamilah.
- Ibn Asaakir, (1995). *Tareekh Dimashq*. O. Al-Amrawi. (Ed.). Daar al-Fikr.
- Ibn ASfoor, (1996). *Al-Mumti` al-kabeer fi al- taSreef*. Maktabat Lubnaan.
- Ibn BaTTaal, A. (2003). *SharH SaheeH Al-Bukhaari li ibn bTTaal* (2nd ed.). Y. Ibraheem (Ed.). Riyadh: Maktabat Al-Rushd.
- Ibn Faaris, A. (n.d.). *Maqayees al-lughah*. A. Haroon. (Ed.). Beirut: Daar Al-Jeel.
- Ibn Haashim, A. (1955). *Al-Seerah al-nabawiyyah* (2nded.). M. Al-Saqa, et al. (Eds.). MaTba`at MuSTafa Al-Babi Al-Halabi wa Awladuh.
- Ibn Habbaan, M. (1993). *SaHeeH ibn Habbaan bi tarteeb ibn balbaan* (2nded.). Sh. Al-Arnaa'ooT (Ed.). Beirut: Mu'assasat Al-Risaalah.
- Ibn Hanbal, A. (2001). *Musnad al-imaam aHmad ibn Hanbal*. Sh. Al-Arnaa'ooT, A. Murshid, et al.(Eds.). Mu'assasat Al-Risaalah.
- Ibn Jinni, A. (n.d.). *Al-KhaSaa'iS* (4thed.). Cairo: The General Egyptian Book Organization.
- Ibn Jinni, U. (n.d.). *Sirr Sinaa`at al-e`raab*. A. Ahmad (Ed.). Al-Maktabah Al-Tawfeeqiyyah.
- Ibn Katheer, I. (1416). *FaDHaa'il al-quran*. Maktabat Ibn Taymiyyah.
- Ibn Manzhoor. (1414). *Lisan al-arab* (3rded). Beirut: Daar Saadir.

- DHaif, Sh. (n.d.). *Tareekh al-adab al-arabi al-aSr al-jaahilee*. Egypt: Daar Al-Ma`aarif.
- Duraid, M. (1987). *Jamharat al-lughah*. R. Ba`labki (Ed.). Beirut: Daar Al-Ilm li Al-Malaayeen.
- Faakhir, A. (1999). *Al-Tawjeehat wa al-aathaar al-naHwiyyah wa al-Sarfiyyah li al-qira'aat al-thalathah ba`d al-sab`ah li aSHabiha Abu Ja`far Al-Madani wa Ya`qoob Al-BaSri wa Khalaf Al-Kufi*. Maktabat Wahbah.
- FaTTah, A. (n.d.). Jamaal al-faaSilah fi al-quran. *Oud Nad Journal*.
- FayyaaDH, N. (1930). *Al-KhaTaabah*. Egypt: Daar Al-Hilaal.
- Ghalboon, T. (1990). *Al-Tadhkirah fi al-qiraa'at*. A. ibraheem (Ed.). Al-Zahraa li Al-E`laam Al-Arabi.
- Habash, M. (1999). *Al-Qira'aat al-mutawatirah wa atharuha fi al-rasm al-quraani wa al-aHkaam al-shar`iyyah*. Damascus: Daar Al-Fikr.
- Hamdaan, A. (n.d.). *Muqawimaat al-Sawt al-jameel. Mazameer*. Al-Dawood Forum.
- Hamdan, N. (1991). *Al-Zhahirah al-jamaaliyyah fi al-quran al-kareem*. Jeddah: Daar Al-Manayrah.
- Hasanain, S. (1981). *Al-Madkhal ila ilm al-aSwaat: Diraasah muqaaranah*. (n.p.).
- Hassaan, T. (n.d.).*Al-Bayaan fi Rawaa'i` al-quraan: Diraasah lughawiyyah wa uslubiyiah li al-naS al-qurani.*Cairo: Daar Aalam Al-Kutub.
- Hussain, K. (n.d.). *Al-Jaras wa al-eeqaa` fi ta`beer al-quran*. (n.d).
- Hussain, M. (2007). Athar al-tangheem fi tawjeeh al-aghraaDH al-balaagiyyah li ilm al-ma`aani (al-istifhaam namoodhajan). *Journal of University of Qadisiyah, 3,4* (6).
- Ibn Al-Ash`ath, S. (n.d.). *Sunan Abi Dawood*. M. AbdulHameed (Ed.). Beirut/ Sidon: Al-Maktabah Al-ASriyyah.

- Al-Tirmadhi, M. (1975). *Sunan al-tirmidhi* (2nd ed.). A. Shaakir, et al. (Eds.). Cairo: MuSTafa Al-Baabi Al-Halabi.
- Al-Ya`qoob, A. (2001). *Al-Muqaddimaat al-asaasiyyah fi uloom al-Quran*. Leads: Islamic Research Center. .
- Al-Yamani, A. (2004). *Edh-hab al-Huzun wa shifaa' al-Sadr al-saqeem fi ta`leem al-nabi Salla Allah alayh wa sallam aSHaabuh alfaazh al-quran al-kareem: Al-manhaj al-nabawi fi al-ta`leem al-quraani*. Alexandria: Daar Al-Emaan.
- Al-Zamakhshari. (n.d.). *Asaas al-balaghah*. M. Oyoon Al-Sood (Ed.). Beirut: Daar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
- Al-Zarkashi, B. (1957). *Al-Burhaan fi uloom al-quran*. M. ibraheem (Ed.).Daar Al-Baabi Al-Halabi.
- Al-Zarqaani, M. (1996). *Manaahil al-urfaan fi uloom al-quran*. Beirut: Daar Al-Fikr.
- Anees, E. (1995). *Al-ASwat al-lughawiyah*. The Anglo Egyptian Bookshop.
- Arbawy, F. (n.d.). *ASwaat Huroof al-qalqalah bayn al-mutaqaddimeen wa al-muta'akhireen*. (n.p.).
- Awwad, Z. (2002). Al-I`jaaz al-ta'theeri fi al-quran al-kareem. *Damascus University Journal 1* (18).
- Badrah, M. (2009). *AnaaSir al-ilqaa' al-Sawti*.
- Balqaasim, D. (2009). Namaadhij min al-i`jaaz al-Sawti fi al-quran al-kareem diraasah dalaaliyyah. College of Arts, Human and Social Sciences Journal, Mohamed Baskara University.
- BaSal, M. (n.d.). *Madkhal ila ma`rifat al-lisaaniyyaat*. Damascus: Daar Al-Mutanabbi.
- Bishr, K. (2000). *Ilm al-lughah al-aam* (phonetics). Cairo: Daar Gareeb.
- Bishr, K. (n.d.). *Dirasaat fi ilm al-lughah*. Cairo: Daar Ghareeb.
- Darraz, M. (1985). *Al-Naba' al-azheem*. Doha: Daar Al-Thaqaafah.

- *Al-Sayyid Lu'ai, Al-Sawt al-bashari wa khaSaa'isuh*. (n.d.). MuHammad Siddeeq al-Manshaawi Forum.
- Al-Sayyid, L. (1970). *Al-Taghanni bi al-quran*. The General Organization for Aurhorship and and Publication.
- Al-ShaHood, A. (n.d.). *Al-MufaSSal fi al-radd ala shubuhaat a`daa' al-islam*. Al-Maktabah al-Shaamilah.
- Al-ShaHood, A. (n.d.). *Mawsoo`at al-khuTab wa al-duroos*. (n.p.).
- Al-Sughaiyyir, M. (n.d.). *Al-Sawt al-lughawi fi al-quran*. Beirut: Daar al-mu'arikh Al-Arabi.
- Al-Suwairiki, M. (n.d.). *Min Asraar al-binaa' al-daakhili fi al-quran al-kareem*. (n.p.).
- Al-SuyooTi, J. (1974).*Al-etqaan fi uloom al-quran.*M. Ibraheem (Ed.).General Egyptian Book Organization.
- Al-SuyooTi, J. (n.d.). *Al-Durr al-manthoor fi al-tafseer bi al-ma'thoor*. Beirut: Daar Al-Ma`rifah.
- Al-SuyooTi. (1988). *Mu`tarak al-aqraan fi e`jaaz al-quran*. Beirut: Daar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
- Al-Tabalaawi, Z. (2003). *Al-Sham`ah al-muDhee'ah bi nashr qira'aat al-sab`ah al-murDHiyah*. A. Ja`far (Ed.). Riyadh: Maktabat Al-Rushd.
- Al-Tabari, M. (2000). *Jaami` al-bayaan fi ta'weel al-quran*. A. Shaakir (Ed.). Mu'assasat Al-Risaalah.
- Al-Tahaanawi, M. (1996). *Kash-shaaf iSTilaHaat al-funoon wa al-uloom*. Beirut: Maktabat Lubnaan Naashiroon.
- Al-Tameemi, A. (1407). *Al-Mu`jam*. E. Al-Athari (Ed.).Faisalabad: Edarat Al-Uloom Al-Athariyyah.
- Al-Tanookhi, A. (1978). *Al-Qawaafi* (2nd ed.). A. Al-Khaanji (Ed.). Cairo: (n.p).
- Al-Tha`labi, A. (2002). *Al-Kashf wa al-bayaan `an tafseer al-quran*. Beirut: Daar IHyaa' Al-Turaath Al-Arabi.

- Al-Raazi, A. (1419). *Tafseer al-quran al-azheem li ibn abi Haatim* (3rd ed.). A. Al-Tayyib (Ed.). Saudi Arabia: Maktabat Nizaar MuSTafa Al-Baz.
- Al-Raazi, A. (1420). *Al-Tafseer al-kabeer* (3rd ed.). Beirut: Daar IHyaa' Al-Turaath Al-Arabi.
- Al-Rafi`i, M. (2005). *E`jaaz al-quran wa al-balaghah al-nabawiyah* (8th ed.). Beirut: Daar Al-Kitaab Al-Arabi
- Al-Rafi`i, M. (n.d.). *Tareekh al-adab al-arabi.*Daar Al-Kitaab Al-Arabi.
- Al-Rumaani, A. (n.d.). *Al-Nukat fi i`jaaz al-quraan*. (n.p.).
- Al-Sa`eed, L. (n.d.). *Al-Jami` al-Sawti al-awwal li al-quran al-kareem aw al-muSHaf al-murattal bawa`ithuh wa mukhaTaTatuh*. Cairo: Daar Al-Kaatib Al-Arabi.
- Al-Saabooni, M. (1980). *Rawaai` al-bayaan tafseer aayaat al-aHkaam* (3rd ed.). Damascus/ Beirut: Maktabat Al-Ghazaali &Mu'assasat MAnaahil Al-Urfaan.
- Al-SaaliH, S. (2000). *MabaaHith fi uloom al-quran* (24thed.). Daar Al-Ilm li Al-Malaayeen.
- Al-Saamurraa'i, I. (1999). *Min waHi al-quran*. Damascus: Daar Al-Fikr.
- Al-Saamurraa'y, F. (2006). *Al-Ta`beer Al-Qurani* (4thed.). Amman: Daar Ammar.
- Al-Saawi, S. (n.d.). *Min aHkaam ilm al-tajweed (al-ikhfaa')*. (n.p.)
- Al-Safaaqisi, A. (n.d.). *Tanbeeh al-ghafileen wa ershaad al-jaheleen `amma yaqa` lahu, min al-khaTa' Hal tilaawatihim li kitaab Allah al-mubeen*. M. Al-Nayfar (Ed.). Muasasat Abdulkareem Ibn Abdullah.
- Al-Safaaqisi, I. (1978). *Al-Majeed fi i`raab al-quran al-majeed (Doctoral Dissertation)*. A. Isma`eel (Ed.) College of Arabic Language, Cairo.
- Al-Sakhaawi, E. (1987). *Jamaal al-qurraa' wa kamaal al-eqraa'*. A. Al-Bawwab (Ed.). Makkah: Maktabat Al-Turaath.
- Al-Sayyed, B. (2014). *Athar al-qiraa'ah bi al-tajweed fi tadabbur al-quran al-majeed: Diraasah ta'Seeliyyah*.Riyadh: Daar Al-HaDHarah.

- Al-MAnSoori, B. (n.d.). *Kayfiyyat taqwiyat al-Hibaal al-Sawtiyyah*.
- Al-MiSri, A. (1996). *FutooH miSr wa akhbaaruha*. M. Al-Hujairi (Ed.). Beirut: Daar Al-Fikr.
- Al-Mubaaraki, Y. (2003). Zhaahirat al-madd fi al-adaa' al-quraani diraasah Sawtiyyah li al-muddah al-zamaniyyah li al-madd al-aariDH li al-sukoon. *Islamic University of Madinah Magazine, 120* (35).
- Al-NaaToor, Sh. (1984). Al-Ghinaa' wa al-museeqa Hatta nihaayat al-aSr al-amawi. *Al-Mawrid Journal, 4* (13).
- Al-NaHHas, A. (1985). *E`raab al-quran* (2nd ed.). Z. Zaahid (Ed.).Daar Aalam Al-Kutub.
- Al-Nahhas, M. (n.d.). *Ilm al-tajweed ka madkhal weqaa'i wa elaaji li eDHTirabaat al-nuTq wa al-Kalaam*. Al-Maktabah Al-Shaamilah.
- Al-Nairbaani, A. (2006). *Al-Jawanib al-Sawtiyyah fi kutub al-eHtijaaj li al-qira'aat.*Damascus: Daar Al-Ghawthaani.
- Al-Naisaaboori, A. (1416). *Gharaa'ib al-quraan wa raghaa'ib al-furqaan*. Z. Umairaat (Ed.). Beirut: Daar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
- Al-Nawawi, Y. (1392). *Al-Minhaaj sharH SaHeeH muslim ibn al-Hajjaaj* (2nd ed.). Beirut: Daar IHyaa' Al-Turaath Al-Arabi.
- Al-QaDHaat, Kh. (2005). *Al-I`jaaz al-ta'theeri li al-quran al-kareem.* (A working paper presented at the Seventh Conference of College of Sharia). Zarqa Private University, Jordan.
- Al-Qazweeni, M. (n.d.). *Sunan ibn majah*. M. Abd Al-Baaqi (Ed.). Daar IHyaa' Al-Kutub Al-Arabiyyah& MaTba`at FaiSal Al-Baabi Al-Halabi.
- Al-Qurashi, I. (1419). *Tafseer al-quran al-azheem (Ibn Katheer)*. M. Shams Al-Deen. Beirut: Daar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
- Al-QurTubi, M. (1964). *Al-Jami` li aHkaam al-quran (Tafseer Al-QurTubi)* (2nd ed.). A. Al-Baradooni & E. ATfeesh (Eds.).Daar Al-Kutub Al-MiSriyyah.
- Al-Raaghib, A. (2001). Wazheefat al-Soorah al-fanniyyah fi al-quran. Aleppo: FuSSilat.

- Al-Hassaani, A. (2001). *Al-Adaa' al-Sawti fi al-mustawa al-usloobi li Adonis fi aghaani mihyaar al-dimashqi* (Masters' Thesis). University of Qadisiyah.
- Al-Hendi, A. (1981). *Kanz al-ummal fi sunan al-aqwaal wa al-af`aal* (5th ed.). B. Hayaani & S. Al-Saqqa (Eds.). Mu'assasat Al-Risaalah.
- Al-HimSi, N. (1980). *Dinaameekiyyat al-adaa' al-Sawti fi al-quran al-kareem* (2nded.). Beirut: Mu'assasat Al-Risaalah.
- *Al-Hunjarah wa wazhaa'if al-Sawt*. (n.d.). Tabeeb.com.
- Al-iyji, E. (1997). *Kitaab al-mawaaqif*. A. Omairah (Ed.). Beirut: Daar Al-Jeel.
- Al-Jaasim, M. (n.d.). *Asbaab Al-ta`addud fi al-taHleel al-NaHwi*. Al-Maktabah Al-Shaamilah.
- Al-JaHizh. (1968). *Al-Bayaan wa al-tabyeen*. F. ATawi (Ed.). Beirut: Daar Sa`b.
- Al-Jarmi, I. (2001). *Mu`jam uloom al-quran*. Damascus: Daar Al-Qlam.
- Al-Jazari, Sh. (n.d.). *Al-Nashr fi al-qira'aat al-ashr*. A. Al-DHabbaa` (Ed.). Al-MaTba`ah Al-Tijaariyyah.
- Al-Jurjaani, A. (1992). *Dalaa'il al-e`jaaz fi ilm al-ma`aani* (3rd ed.). Cairo/ Jeddah: MaTba`atAl-Madani & Daar Al-Madani.
- Al-KhaTaabi, A. (n.d.). *Bayaan e`jaaz al-quran*. Egypt: Daar Al-Ma`aarif.
- Al-Khuwaiski, Z. (2008). *Al-ASwat al-lughawiyah*. Alexandria: Daar Al-Ma`rifah Al-Jaami`iyah.
- Allaam, A. (1990). *`An ilm al-tajweed al-quraani fi DHaw' al-dirasaat al-Sawtiyyah al-Hadeethah*. (n.p.).
- Al-Madani, A. (2009). Al-Sulook al-infi`aali fi usloob al-istifhaam (diraasah lughawiyyah taHleeliyyah nafsiyyah). *King AbdulAziz University Journal, 1* (17).
- Al-Mannawi, A. (1356). *FayDH al-qadeer sharH al-jami` al-Sagheer*. Egypt: Al-Maktabah Al-Tijaariyyah Al-Kubra.

- Al-Bayhaqi, A. (2003). *Shu'ab al-emaan*. A. Hamid (Ed.). Riyadh: Maktabat Al-Rushd.
- Al-Bu`ainayn, N. (n.d.). *Nabrat Sawtuk ma bayn al-jaadhibiyyah wa al-nufoor*.
- Al-Bukhari, M. (n.d.). *Khalq af`aal al-ebaad*. A. Umairah (Ed.). Riyadh: Daar Al-Ma`aarif.
- Al-Daani, A. (1988*). Al-TaHdeed fi al-etqaan waal-tasdeed fi San`at al-tajweed*. Gh. Al-Hamad (Ed.). Baghdad: Maktabat Daar Al-Anbaar.
- Al-Dahlawi, A. (1986). Al-Fawz al-kabeer fi uSool al-tafseer (2nd ed.). S. Al-Nadawi (Ed.). Cairo: Daar Al-SaHwah.
- Al-Dhahabi, Sh. (1998*). Tadhkirat al-Huffaazh*. Beirut: Daar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
- Al-Dulaimi, A. (n.d.). *Turuq al-taHakkum bi Tabaqat al-Sawt*. Mazameer Al-Dawood Forum.
- Al-EsTanbooli, I. (n.d.). *RooH al-bayaan*. Beirut: Daar Al-Fikr.
- Al-Fairoozabaadi. (1977). *Al-Qamoos al-muHeeT*. The General Egyptian Book Organization.
- Al-Fakhraani, A. (2003).). *Al-BaHth a-lughawi ind ekhwaan al-Safa*. MaTba`at Al-Amaanah.
- AL-Gazaali, M. (n.d.).*EHyaa' uloom al-deen*. Beirut: Daar Al-Ma`rifah.
- Al-Ghaamidi, M. (2001). *Al-Sawtiyyat al-Arabiyyah*. Riyadh: Maktabat Al-Tawbah.
- Al-Haithami, A. (1994). *Mujamma` al-zawaa'id wa manba` al-fawaa'id*. H. Al-Qudsi (Ed.). Cairo: Maktabat Al-Qudsi.
- Al-Hakami, H. (1990). *Ma`aarij al-Qubool bi sharH al-wuSool ila ilm al-uSool*. O. Abu Umar (Ed.). Dammam: Daar Ibn A-Qayyim.
- Al-Hamad, Gh. (1986). *Al-Dirasaat al-Sawtiyyah ind ulamaa' al-tajweed*. Baghdad: MaTba`at Al-Khulood.

- Al-Arabi, A. (2003). *aHkaam al-quran* (3rd ed.). M. ATa (Ed.). Beirut: Daar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
- Al-Aryaan, M. (1991). *ASwaat Al-Arabiyah bayn al-waSf wa al-tanzheem*. Tanta: MaTba`at Abnaa Wahbah Hassan.
- Al-AshwaH, S. (1998*). E`jaaz al-qiraa'at al-quraaniyah: Diraasah fi taareekh al-qiraa'at wa etijahaat al-qurraa'*. Cairo: Maktabat Wahbah.
- Al-Asqalaani, I. (1379). *FatH al-baari sharH SaHeeH al-bukhari*. M. Abdulbaaqi (Ed.). Beirut: Daar Al-Ma`rifah.
- Al-Ayni, B. (n.d.). *Umdat al-qaari sharH SaHeeH Al-Bukhaari*. Beirut: Daar IHyaa' Al-Turaath Al-Arabi.
- Al-Azhari, A. (1964). *Tahdheeb al-lughah*. A. Haroon, et al (Eds.).,Egypt: Al-Daar Al-MiSriyyah.
- Al-Azhari, A. (1991). *Ma`aani al-qira'aat*. E. Darweesh& A. Al-Qawzi (Eds.). Daar Al-Ma`aarif.
- Al-Ba`, M. (2009). Dalaalat al-aSwaat fi fawaSil ayaat juz' amma (diraasah taHleeliyyah). *Al-Aqsa University Journal (Series of Human Sciences) 2* (13).
- Al-Bablaawi, I. (n.d.). IDHTirabaat al-Sawt. Gulf Kids of Special Needs Forum.
- Al-Baghawi, A. (1420). *Ma`aalim al-tanzeel fi tafseer al-quran (tafseer Al-Baghawi)*. A. Al-Mahdi (Ed.). Beirut: Daar IHyaa' Al-Turaath Al-Arabi.
- Al-Baghawi, A. (1983). *SharH al-sunah* (2nded.). Sh. Al-Arnaa'ooT, et al. (Eds.). Damascus/Beirut: Al-Maktab Al-Islaami.
- Al-Bannaa, A. (2006). *EtHaaf fuDHalaa' al-bashar fi al-qira'aat al-arba`ata ashar* (3rded.). A. Muhrah (Ed.).Lebanon: Daar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
- Al-Barakaawi, A. (n.d.). *Muqaddimah fi aSwaat al-lughah al-arabiyah*. (n.p.).

List of References:

- The Holy Quran
- Abbooj, M. (1969). *Muqaddimah fi aSwaat al-lughah al-arabiyyah*. Beirut: Daar Al-NahDHah Al-Arabiyyah.
- AbdulGhaffar, H. (2001). *Al-Saj` al-quraani diraasah usloobiyyah (Masters' Thesis).* Ain Shams University.
- Abdulrahman, (n.d.). *ASwaat al-lughah*. Maktabat al-shabbab.
- Abdultawwaab, R. (1997). *Al-Madkhal ila ilm al-lughah wa manaahij al-baHth al-lughawi* (3rd ed.). Cairo: Maktabat Al-Khaaniji.
- Abi Zahrah, M. (n.d.). *Al-Mu`jizah al-kubra al-quran*. Daar Al-Fikr Al-Arabi.
- Abu AaSi, H. (2009). Al-Ada'aat al-muSaaHibah li al-kalaam wa atharuha fi al-ma`na. *Islamic University Journal (Series of Humanities Studies) 2*(17).
- Abu Minshaar, N. (n.d.). *Al-Sawt wa nabratuh fi al-ilqaa'*. Retrieved from http://www.alukah.net/
- Abu Musa, M. (n.d.). *KhaSaa'iS al-taraakeeb: Diraasah taHleeliyyah li masaa'il ilm al-ma`aani* (7thed.). Maktabat Wahbah.
- Abu Zahrah, M. *Al-KhaTaabah:USuluha wa taareekhuha fi Azhar uSuriha ind al-Arab* (2nd ed.).Daar al-Fikr Al-Arabi.
- Adas, M. (n.d.). *Fann al-elqaa'*. Jordan: Daar Al-Fikr.
- Al Dossary, E. (2007). *Ebraz al-ma`aani bi al-adaa' al-qurani*. Saudi Arabia: Daar Al-HaDHarah.
- Al-Aayid, S. (n.d.). *Inaayat al-muslimeen bi al-lughah al-Arabiyyah khidmatan li al-quran al-kareem*. King Fahad Complex for the Printing of the Holy Quran.
- Al-Albaani, M. (n.d.). *SaHeeH al-jami` al-Sagheer wa ziyadaatuh*. Al-Maktab Al-Islaami.
- Al-Amri, M. (2010). Adaa' al-kalaam wa ilaaqatuh bi al-ma`na wa al-i`raab. *Umm Al-Qura University Journal for Languages Sciences and Arts, 3*.

The Beauty ofReciting Quran Verses in Light of Phonology

Dr. MamdooH Ebrahim MaHmood MuHammad
College of Arabic Language at Al-Azhar University, Asiut Branch
Deanship of Academic Research, Al-Imam Muhammad Ibn Saud Islamic University

Abstract:

Research related to the Holy Quran is the finest, the richest, and the most enjoyable. In fact, it is the purpose sought by researchers in Arabic from all specializations.One of the most important research topics is the beautiful recitation of theverses ofthe Quran.This isdue to its close relation to the Holy Quran on the one hand,and the focus on the proper recitation of Quran that is characterized by the beautiful performance and the perfect reading, on the other. The correct tajweed-basedrecitation attracts the listener's attention and leads to the contemplation of the intended meaning of verses, so the hearts becomehumbly submissive at the remembrance of Allah. Also, it is the basis for contemplating and being affected by the Holy Quran.

Accordingly, this research aims at showing how to recite the verses of the Holy Quran correctly, in addition to showing thebasis for identifying thedeterminantsof a beautiful performance and its features, and by which we can alsodescribe and evaluate the reader's performance. The research also analyzes and accounts for those factors withinPhonologywhich is primarilyconcerned withoral or spoken language.

This research shows the importance of improving the voice when reading the Holy Quran because a good voice has an effective role in attracting the attention and the hearts. Thus, the reader can contemplate and understand the intended meaning of the verses.

Moreover, the research shows that the good reader is the one who can control his organs of speech, his breath and the ability to change his voice level and intonations according to the meaning of the verses ofthe Quran. In addition,it shows the role of the languageof theQuran, its verse endings and sound lengthening whichresult in a beautiful performance.